

أنصار النبي ﷺ

السنة الثانية | سبتمبر ٢٠٢٣
العدد ١٦ | صفــر ١٤٤٥

إلى كل غضبان من زيارة أردوغان
د. محمد الصغير

حتى مشكلة البيئة جاء محمد ﷺ بحلها
محمد إلهامي

حرب تقليل السكان
الشيخ محمد الأسطل

التعامل مع البيئة في الحرب
د. حسن أبو غدة

بلطجة الكنيسة برعاية الحكومة
م. خالد حربي

وغيرها من المقالات...







أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد



إلى كل غضبان من زيارتنا للرئيس أردوغان — ٦
د. محمد الصغير

حتى مشكلة البيئة والسكان..
جاء محمد ﷺ بحلولها! — ١١
محمد إلهامي

هل في الموارد الطبيعية ندرة؟ — ٢٠
د. عبد الحي يوسف

الحفاظ على البيئة بين الإسلام وخصومه — ٢٦
د. سامي الساعدي

المدينة والتلوث البيئي قبل الهجرة
الداء.. والدواء النبوي — ٣٨
د. أحمد موفق زيدان

البيئة في الإسلام
وسائل الحماية والحفظ في ضوء السُّنة — ٥٠
د. علي الصلابي

إماطة اللثام عن حرب تقليل السكان جولةٌ في إحدى جبهات الحروب الأمريكية الباردة الجديدة — ٥٩
الشيخ محمد الأسطل

الفساد البيئي بين منظورين — ٧٧
د.حسن سلمان

قريةٌ كانت مطمئنة.. جشع الدول الغاشمة وتدمير الفطرة — ٩٠
د. يونس الأسطل

انعكاسات الظاهرة الفرعونية
على الظواهر المناخية
وكيف يكون الإسلام هو الحل؟ — ٩٩
بادية شكاط

رئيس الهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

حفظُ النسل حفظٌ للبيئة
الشيخ حسين عبد العال ١٠٨

من النملة إلى الحوت
جلال الشميري ١١٤

المقاطعة (٣/٢).. تكييفات شرعية وتطبيقات نبوية وواقعية
د. عبد السلام البسيوني ١٢٣

نحو علم للشمائل النبوية (٣/٣)
د. وصفي عاشور أبو زيد ١٣٥

أئمة الهدى

«من تراث علمائنا الراحلين»

إحياء الموات وإعمار الأرض بالزرع والنبات
الإمام الشوكاني ١٥٥

البيئة في السنة النبوية الشريفة
د. عبد الله شحاتة ١٦٥

التلوث.. أسبابه وأضراره
أ.د وهبة الزحيلي ١٧٦

آداب استعمال الماء
علامة العراق: محمود شكري الألوسي ١٨٥

ضوابط التعامل مع موارد البيئة في حال الحرب
د. حسن أبو غدة ١٩٢

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

التوازن في الكون
د. سفر الحوالي ٢٠٠

حماية البيئة وإماطة الأذى
الشيخ محمد صالح المنجد ٢١٢

بين التعمير والتدمير
د. صلاح سلطان ٢١٥

﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾
د. صالح أبو طالب ٢١٩

بلطجة الكنيسة برعاية الحكومة
خالد حربي ٢٢٨

 ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com



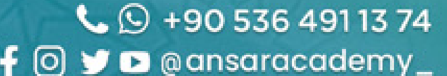
أكاديمية أنصار النبي

أكاديمية علمية ودعوية عالمية، منبثقة عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، تعتمد التقنيات والأساليب الحديثة في التعليم، تنظم وتقدم برامج ودورات علمية، ودبلومات شرعية وفنية ومهارية في مختلف مجالات النصرة النبوية، وتقوم على تخريج وتأهيل متخصصين في فقه نصرة النبي صلى الله عليه وسلم علميا وعمليا، وتعمل على تمكين الشباب المسلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشيخ د. محمد الصغير
الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

+90 536 491 13 74

الشيخ د. عبد الحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم





الافتتاحية

إلى كل غضبان من زيارتنا للرئيس أردوغان





د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

اهتمت وسائل إعلام عربية بزيارة وفد علماء المسلمين للرئيس أردوغان، وخرجوا بها عن سياق الزيارة الحقيقي، وما تحمله من دلالات، حيث كان المقصد الأول من الزيارة تهنئة الرئيس بعد فوزه في انتخابات كان لها طابعها الخاص وتابعها العالم كله.

سعى د. محمد جورماز رئيس شؤون الديانة السابق، والقائم على أمر الزيارة لجعلها لقاءً تاريخياً، وليس مجرد زيارة تهنئة، وأحسب أنه تحقق له ما أراد، وأن النية الطيبة كانت وراء تحقيق المراد، حيث ظهرت رغبته في أن يتحدث كل أعضاء الوفد، بما يمثلون من مدارس مختلفة، وجغرافيا متنوعة، في الوقت الذي أبدى فيه العلماء رغبتهم جميعاً في الاقتصار على الكلمات الرسمية من رؤوساء الوفد د. عصام البشير ود. علي القره داغي، أو يضاف إليهما كلمتان أو ثلاث على الأكثر، وأظهر العلماء صورة كريمة من الحرص على الصالح العام وتقديم الأصلح.



لكن حرص د. جورماز على صورة عالمية الوفد وتنوعه، رجحت كفة أن يتحدث الجميع كلمات مختصرة بعد الكلمات الرئيسة، وكان من تواضعه الجم وإكرامه لإخوانه، أنه استقبل الوفد في مكتبه، وعقد اجتماعاً تحضيريًا مطولاً قبل لقاء الرئيس، ورفض أن يذكر أية محددات أو مسارات للحديث، وقال أنتم من تعلمون الناس مراعاة المقام، ولو كان لي من نصيحة وحيدة، فهي تجنب مدح مواقف الرئيس الكريمة، فإنه لا يحب المدح، كما أنه لا يليق بمقامكم.

مع دخول الرئيس أردوغان لمكان الاجتماع ابتدر الجميع بتحية الإسلام، مع ابتسامة عريضة وبشاشة بادية، أضفت على اللقاء طابع الأخوّة والحفاوة، وأكد على هذه المشاعر ما حملته كلمات الرئيس من تقدير لمواقف العلماء تجاه تركيا، ومساندتهم ودعاهم أثناء الانتخابات الرئاسية، وصَدَّر فواتح كلمته -المعدة بعناية- بقوله: يا ورثة «الأنبياء».

وحرص على التعقيب على كلمات بعض المشايخ والاستفسار منهم عن أحوالهم الخاصة، وأحوال بلادهم العامة، كما فعل مع فضيلة الشيخ أسامة الرفاعي مفتي سوريا، وفضيلة الدكتور علي الصلابي المؤرخ الليبي المعروف، وحمّل د. نواف تكروري السلام لكل أهل فلسطين، وختم اللقاء بممازحة فضيلة الشيخ برهان سعيد الأمين العام لرابطة علماء إرتريا -قلب بلاد الحبشة- حيث قال له الرئيس: أسمعني آذان بلال ابن رباح الحبشي. وكان الشيخ برهان بالفعل قد رفع أذان الظهر عند د. محمد جورماز، فقال له: لعله لو أدركنا وقت العصر، تسمعون الأذان بإذن الرحمن، وكنا ننتظر صورة جماعية كما يحدث في مثل هذه المناسبات، وإذا بالرئيس يقول بل صورة مع كل واحد منكم، حيث أحضرت لكم أعظم هدية «القرآن الكريم»، وأهدى أعضاء الوفد نسخاً من مصحف مذهب كبير، كتبه الخطاط العثماني حسن رضا.



لعل هذه الحفاوة، وطول وقت الزيارة، وما نوقش فيها من قضايا الأمة، كان وراء التشويه المتعمد لها من قبل قناة (العربية) وغيرها، حيث عقدت أكثر من ست حلقات تليفزيونية، بخلاف التقارير الصحفية، للشغب على الحدث، وتشويه ما طرح من مطالب عامة، كالمطالبة بجامعة إسلامية عالمية تليق بقرن تركيا الجديد، ومع النص في الطلب على جملة على «غرار الأزهر الشريف» إلا أنهم حرفوا الكلم

عن مواضعه، وقالوا إنها دعوة لاستبدال الأزهر بغيره، مع أن الفكرة الأولى كانت من فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي ابن الأزهر والكُتّاب، وجدد الطلب وذكّر به فضيلة الشيخ علي القره داغي الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والذي يفتخر في كل موطن بأنه ابن كلية الشريعة الغراء بجامعة الأزهر الشريف، وأنه التحق بالجامعة العريقة والمعهد العتيق، بتزكية من الإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود رحمه الله.



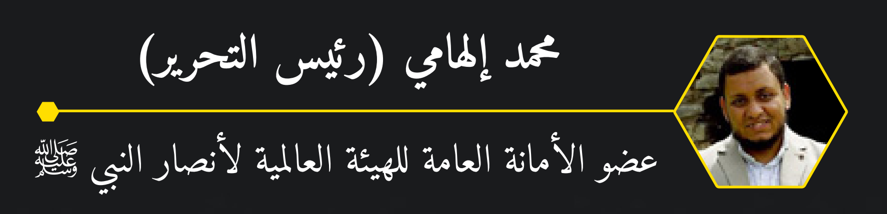
وفي تصوري أن الذي حرك مكامن الغضب عند الشانئين، مطالبة العلماء في بيانهم الرسمي بالسعي لإطلاق العلماء المعتقلين، وتأكيدي على ذلك في كلمتي بشيء من التفصيل، وطلبت تعميم الشفاعة لتشمل سائر المظلومين والمعتقلين، الذين تصل أعدادهم في بلدي -مثلاً- إلى عشرات الآلاف.

ويبقى أهم دلالات الزيارة ورسائلها، أنه يندر أن تجد رئيساً أو زعيماً في العالم الإسلامي، يمكن أن يستقبل مثل هذا العدد من العلماء، ويفرد لهم هذه المساحة، ويقابلهم بهذه الحفاوة، كما فعل الطيب أردوغان.

د. علاء اللقطة



حتى مشكلة البيئة والسكان..
جاء محمد ﷺ بحلولها!



محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

لم يكن الكفر بالله طريقاً إلى عذاب الآخرة فحسب، بل هو كذلك باب العذاب في الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].



ففي الوقت الذي يرفض فيه الإنسان الخضوع لله، ويتمرد على الله، فإنه يُنَصِّب نفسه إلهًا، ويجعل رغباته وشهواته دساتير وقوانين ومبادئ حاكمة، وما دام الإنسان مغروراً بنفسه فإنه يغفل عما في آرائه وأفكاره من النقص والخلل، ويغفل عما في تصرفاته من مآلات السوء والنكبة، يحسب أفكاره منتهى العقل والحكمة، ويحسب رغباته وشهواته مطلق الحرية والحضارة، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ولا يزال كذلك حتى يُنْكَب بعقله وشهوته، ويذوق فساد رأيه ووبال أمره، كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

ومن أوضح الظواهر التي نراها دليلاً على هذا الحال، ما ينعقد الآن من المؤتمرات الدولية التي تشكو من تغير المناخ ومن ارتفاع درجة حرارة الأرض، ومن النقص في الموارد والثروات الطبيعية بحيث لا يتناسب معها الأعداد المتزايدة من السكان، فيتسبب كل هذا معًا في الكوارث البيئية والأعاصير والفيضانات والحروب والمجاعات وانتشار الفقر والمرض... إلخ!



وما من شك في أن الحضارة الغربية المهيمنة والمتفوقة هي المسؤول الأول عن كل هذا الخراب، بما أحدثته في هذه البيئة من استهلاك عنيف للموارد، ومن تلويث ضخم للبيئة، ومن سياسات وحشية تمتص بها ثروات الأمم وتسيطر عليها، ولكنهم مع ذلك -ولكونهم أغلقوا على أنفسهم باب الرجوع إلى الله- فلا يجدون حلولاً لهذه الكوارث إلا أن يستمروا في العتو والغلو واتباع الهوى والشهوات، فينتهون إلى ضرورة إنقاص عدد السكان.

وإذ وصلنا إلى هذه النتيجة: إنقاص عدد السكان، فإن العقل المعجون بالكِبْر والهوى والشهوة، ينتج الوسائل القبيحة للحصول على هذه النتيجة، ليس أولها وسائل القتل العمد مثل: إنقاص حجم المساعدات للمحتاجين والمكروبين، وإنقاص وسائل الضمان والرعاية الاجتماعية في البلدان التي تقدمها، ورفع الدعم الحكومي عن الفئات الفقيرة والمهمشة، وهي الوسائل التي تنتهي عملياً بدعم نشوب الحروب والعمل على إطالتها. وليس آخرها وسائل القتل الخفية مثل: تمكين المرأة من وسائل منع الحمل، وجعل الإجهاض من حقوق المرأة وتيسير وسائله، وإباحة عمل قوم لوط والفسق بالأطفال وإتيان الحيوانات، وهذه وسائل تمتزج فيها رغبة إنقاص عدد السكان بهوس اتباع الشهوات التي لا تنتهي.

وليست هذه الوسائل جديدة، بل هي قد بزغت منذ أن هيمنت العلمانية وغلبت المسيحية، إلا أنها في زماننا هذا تُغَلَّف بزخارف علمية (أبحاث ودراسات ومؤتمرات منحازة ومغرضة) وزخارف فكرية (تجعلها

من حقوق الإنسان ومن علامات التحرر)، وتنتهي إلى حزمة من القوانين والدساتير التي يجري تعميمها وفرضها على الجميع، ودعم شبكات من المنظمات الاجتماعية التي تروج لها تحت غطاء: حقوق المرأة وحقوق الطفل ونحو هذه الأمور!

وإلا فقد قالها (مالثوس) قديماً بكل وضوح، قبل أن تكتسب الحضارة الغربية هذه القدرة الفائقة على تغليف التوحش وتزيينه، فقد نادى بأن تبقى أجرة العامل عند حدّ الكفاف كي لا يتكاثر، ونادى بخفض الأموال التي تُنْفَق على العاطلين لأن ذلك يشجعهم على الكسل وعلى المزيد من الإنجاب، ونادى بوقف صرف إعانات للفقراء، ونادى بعرقلة الزواج المبكر. وقد كانت هذه الاقتراحات -كما يقول ول ديورانت- مثل «وحي إلهي مقدس» تلقاه البرلمان البريطاني لينفذ هذه التوجهات[١].

ما دام الإنسان قد كفر بالله، فقد كفر في ذات الوقت بأن هذا الكون هو كون موزون مُقَدَّرٌ خلقه إله حكيم عليم خبير رحيم. ومن هنا فلا ريب في أن الموارد قد تكون أقل من البشر، وأنها لا تكفيهم، وبذلك لا بد من إيجاد الحلول (لمواجهة، وتحدي) هذه الطبيعة وهذا الكون العشوائي الذي جرت الصدفة على هذا النحو فجعلته لا يكفي لحياة المخلوقات فيه!



١. ول ديورانت، قصة الحضارة، ٢٥١/٤٢ - ٣٥٢، ٣٨١/٢٤ – ٣٨٩؛ وانظر: رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، ص١١٢؛ جان ماري بيلت، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ص٢٧.

وما دام الإنسان قد آمن بأنه هو مجرد نتيجة لتطور دارويني صدر عن خلايا تلاقت وتفاعلت بمحض الصدفة عبر ملايين السنين، فهو قد آمن في ذات الوقت بأن هذا الإنسان ليس ذا كرامة ولا قدر ولا أهمية، فَمَثَلُه كمَثَل الحديد والخشب والنحاس وسائر المواد التي تكوّنت من تفاعل آخر لعناصر أخرى تلاقت بطريقة مختلفة! ومثلما يمكننا أن نحرق الحديد ونقطع الخشب ونصهر النحاس لنحسن بها أحوال حياتنا، فلا بأس أيضاً أن ننقص البشر -بالقتل المباشر أو بوسائل أقل فجاجة- لكي يستطيع بقية البشر أن يمتعوا بحياتهم!



وحين نصل إلى هذه النقطة فلا ريب أن الإنسان الغربي المادي المتفوق لن يوزع الموت بالعدل على نفسه وعلى سائر الأمم! بل سيعمل على إهلاك بقية البشر ليستمتع هو بالقدر الأضخم من الموارد المحدودة للطبيعة، وعليه أن يستنفذها ويستهلكها ليحقق أقصى إشباع لمنفعته ولذته! ولماذا يفكر في العدل أصلاً؟ ولماذا تخطر بباله الأخلاق؟! إن العدل والأخلاق وسائر هذه الكلمات ليس لها وجود في الميزان المادي، إنها من مخلفات عصر الإيمان وعصر الخرافة، ذلك الذي كان سائداً قبل عصر العقلانية وعصر العلم، حيث كان الناس يؤمنون بإله قادر حكيم، ويؤمنون بيوم القيامة.. لقد كانت تلك أوهامهم التي اخترعوها ليعيشوا بلا تظالم، فأما الآن، في عصر العلم والعقل، فلا دليل على وجود الإله أو وجود يوم القيامة، ومن ثَمَّ فلا معنى لكلمات مثل العدالة والأخلاق، أو مثل: الإسراف والاقتصاد!



إن سياسة نهب العالم وطحن الشعوب لتوفير الرفاه المادي للشعوب الغربية هي نتيجة طبيعية وحتمية لمنظومة فكرية مادية لا تعرف غير تحقيق المنفعة واللذة، منظومة ترى في البيئة والطبيعة تحدياً يجب مواجهته، وموارد يجب استغلالها، وبشراً إن لم يكونوا عمالة ماهرة فهم عبء يجب التخلص منه!

ولهذا لم يكن غريباً أن يخرج اقتراح في مؤتمر ستوكهولم (١٩٧٢م) الذي كان يبحث في تلوث البيئة، يقضي بضرورة أن تبقى البلدان النامية بلا تصنيع؛ لأنها إن أنشأت المصانع فسترتفع معدلات تلوث البيئة! أي أن الغربيين رأوْا أنفسهم الوكيل الحصري للتمتع بالموارد وتصنيعها، ولهم وحدهم حق تلويث البيئة لتحقيق منفعتهم ولذتهم!

كذلك لم يكن غريباً أن تُفرض برامج إنقاص عدد السكان على بلاد آسيا وإفريقيا، وبعض هذه البرامج نُفِّذ بطرق وحشية استؤصلت فيها الأرحام، وأعطيت فيها الأدوية التي تسبب العقم، وشُرِّعت فيها القوانين التي تحرم الإنجاب بأكثر من طفل أو طفلين.. ومن فتَّش في هذا الملف رأى مآسي عظيمة عاشتها كثير من الأمم بسبب فرض هذه الأوضاع عليها، ولا يزال كثير من هذا الوضع مستمراً حتى الآن، وفي مصر هدَّد عبدالفتاح السيسي باتباع الوسائل الأوروبية في إنقاص عدد السكان، وألغى الدعم عن كل من سيتزوج، وعن كل من أنجب أكثر من طفلين، وافتخرت طبيبة في مؤتمر أمامه بأنها تُعَقِّم كل امرأة في مستشفاها بعد الولادة الأولى، وبالفعل تظهر الإحصائيات تدهوراً في عدد المواليد في مصر! (ومصر مجرد مثال).

نحن المسلمين لدينا كنز عظيم، ذلك هو ديننا، رسالة نبينا محمد ﷺ، والتي ما تزال هي الحل لسائر مشكلات البشرية، كثير من الناس يجهلون ذلك ويغفلون عنه، وبعض أعدائنا يعرف ذلك تماماً، ولكنه يحرص على بقاء هذا الحل مجهولاً ومكتوماً ومغموراً لأنه يعرقل طريقه إلى تحقيق منفعته ولذته على حساب الشعوب الأخرى.

وهذا الحل يبدأ من اللحظة الأولى ومن المبادئ الأولى للإيمان، فإن الله العليم الخبير الحكيم الرحيم قد خلق الكون موزوناً مقدوراً، خلقه بعلم وحكمة، وهو الرزاق، عنده مفاتح الغيب، وبيده خزائن السموات والأرض، فالعالم لا يشكو من الندرة لأنه مخلوق بيد أحكم الحاكمين. وأما ما يظهر من الفساد في الأرض فهو ثمرة إفساد الناس وظلمهم وطغيانهم، وهو عقوبة من الله لهم ليرجعوا إلى الحق والعدل ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

ومن مبادئ الإيمان أن الكون مسخر لخدمة الإنسان، وهذه الأرض خُلِقت له ذلولاً، فليس الإنسان في عداء أو مواجهة مع الطبيعة من حوله، بل هو مُسْتَخْلَفٌ فيها، أي: أن الله جعله خليفة في هذه الأرض، عليه أن يستعملها ويدبر أمرها وفق منهج الله المؤتمن عليه.. وهذا هو الفارق الضخم بين الاستخلاف والامتلاك، فالمسلم مستخلف في الأرض بمعنى أنه يقوم فيها بأمر الله، وأما الملحد فهو يتصرف في الكون باعتباره مالكًا لا يُسأل عما يفعل وعما يُفسد وعما يُسرف!



ومن هاهنا احتوت تعاليم القرآن وتعاليم النبي ﷺ على ثروة ضخمة في معالجة مشكلة البيئة، مع أن هذه التعاليم ظهرت في زمن لم تكن قد حدثت فيه مشكلة بيئية ولا مشكلة سكانية أصلاً، وهذا أمرٌ يجب أن ينتبه له الإنسان العاقل الصادق مع نفسه، فإنه من دلائل النبوة ومن براهين ربانية هذا الدين.

لقد جاء محمد ﷺ برسالة تحفل بالكثير من التوجيهات؛ جاء بالنهي عن الإسراف في الماء ولو كان الذي يستعمله يغرف من نهر جارٍ، وجاء بالنهي عن تغوير الآبار وعن إنقاص الماء وعن تلويث الماء، وبالنهي عن قطع الشجر، وبالنهي عن العبث في النبات، وبالنهي عن تلويث الأرض وإفسادها، وجاء بالأمر بالنظافة وجعل طهارة البدن والثوب والمكان من شروط العبادة، وجاء بالحث على الغرس والزرع، وبالحث على إحياء الأرض الميتة، وبالحث على إماطة الأذى... إلخ! وسيرى القارئ في هذا العدد من المجلة طرفاً من ذلك عبر مقالات الكُتَّاب! وهو أمر قد كُتِبت فيه كتب كثيرة ومجلدات كبيرة.



وهذه النصوص القرآنية والنبوية أخذها العلماء والفقهاء فشَيَّدوا عليها بناءً فقهياً سامقاً وعظيماً، واستنبطوا منها دقائق عجيبة ومدهشة، واستخلصوا منها قواعد ضابطة وحاكمة، من قرأها عرف أنه ما كانت لتظهر مشكلة البيئة ونقص الموارد لو استمر تفوق الحضارة الإسلامية في زماننا هذا، ذلك أن تفاعل المسلمين مع البيئة عبر تاريخهم كان مثالا لموازناتهم بين مقتضيات المصالح والمنافع التي تعود على البشر، وبين الأضرار والمثالب التي تعود من هذه المصالح على البيئة ومواردها.

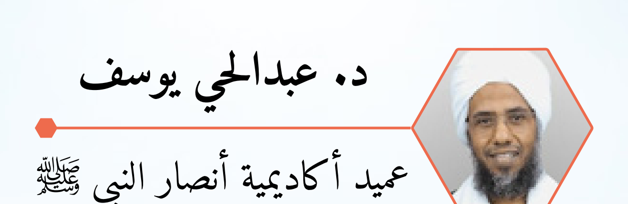
إن من قرأ هذا الفصل في تاريخ حضارتنا أيقن أن الإسلام كان رحمة للعالمين، بما في ذلك عالم النبات والجماد أيضاً.



مع أن مشكلة البيئة تبدو مشكلة عصرية حديثة ناتجة من التطور الصناعي الضخم الذي أقبلت به الحضارة الغربية، إلا أن حلولها كامنة في ديننا ورسالة نبينا ﷺ، ليس في جانب التصور الاعتقادي والنظري فحسب (مع أنه الأهم والأعظم كما أسلفنا)، بل حتى في التفاصيل الصغيرة والدقيقة التي تضبط سلوك الفرد في نفسه وبيته وقريته، وفي مأكله ومشربه ونشاطه الاجتماعي والاقتصادي.

وإن تجلية هذا وشرحه وإبرازه هو واجب من واجبات «أنصار النبي ﷺ»، خصوصاً في هذا الزمن وأمام هذه الهجمة التي يريد فيها الغرب إهلاك الشعوب ليبقى وحده متنعماً برفاهية اكتسبها بعد أن أفسد البيئة على كل من حوله.

هل في الموارد الطبيعية ندرة؟



د. عبدالحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإن المؤمن الموحد يعلم يقيناً أنه يعبد رباً يتصف بنعوت الكمال والجلال والجمال، ومن صفاته سبحانه أنه وهاب كريم رزاق باسط واسع غني مغني، ويؤمن بما دلت عليه هذه الصفات من سعة ملكه وعظيم كرمه، وأنه تكفل برزق العباد جميعاً فما ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].



ويؤمن كذلك بأن العباد جميعاً لو قاموا في صعيد واحد فسأل كل واحد منهم ربه مسألة فأعطاه ربه ما سأل، ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص الِمخيَط إذا أُدخل البحر.

ومن هنا يكفر بما يروِّجه أسافلة الورى مما يسمونه (نظرية الندرة)، التي تقول بأن الموارد التي أودعها الله هذه الأرض لا تفي بحاجات البشر، وأن السلع والخدمات لا تكفي لإشباع جميع حاجات الإنسان إشباعاً كلياً!



إذ في القرآن الكريم تكذيب تلك النظرية، وذلك في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

قال أهل التفسير: إنَّ اللهَ تعالى قدَّرَ في الأرضِ أقواتَها، أي: جَعَلَها مُقَدَّرةً بقَدْرٍ مَعلومٍ، ومِن ذلك التَّقديرِ أنْ جَعَل في جِهاتٍ مِن الأرضِ مِن الأقواتِ ما ليس في جِهاتٍ أُخرى؛ حتَّى يَتَبادَلَ النَّاسُ هذه الأقواتَ، وتحرَّكَ التِّجارةُ، إلى غيرِ ذلك مِن الفوائدِ، ولعَلَّه يُشيرُ إلى هذا قَولُ اللهِ تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: المطَرَ ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾.

وعوضاً عن ذلك يوقن كل مؤمن بأن ما يعتري حياة البشر من ضيق وضنك إنما هو جزاء على سوء أعمالهم وما كسبت أيديهم، يقول سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: «هذه الآيةُ من جوامع كَلِمِ القرآنِ، والمَقصِدُ منها هو الموعظةُ بالحوادثِ ماضيها وحاضِرِها؛ للإقلاعِ عن الإشراكِ، وعن تكذيبِ الرَّسولِ ﷺ».

ونظير هذه الآية آيات أخرى كقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

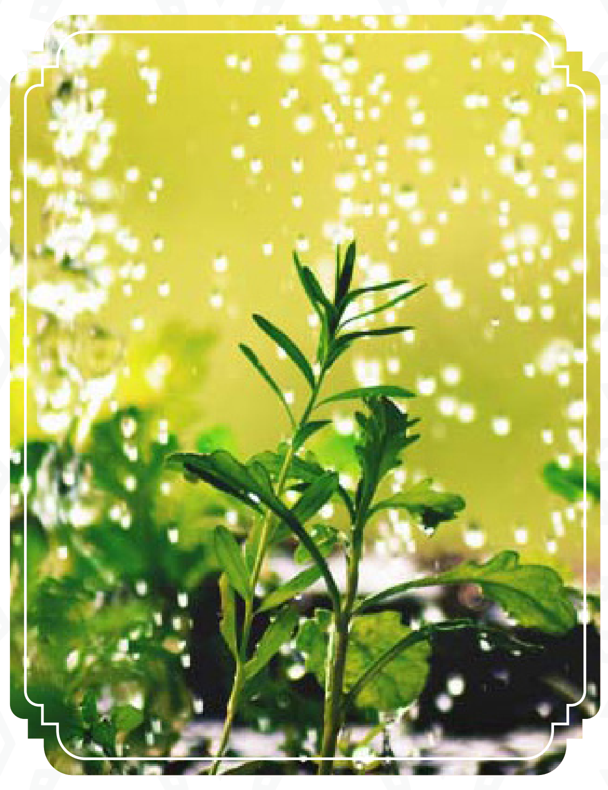
ولو أن امرأً أجال النظر في الكون الفسيح لعلم أن الله تعالى قد بسط لعباده أسباب الرزق؛ وأفاض عليهم من سابغ نعمه، وحفظ عليهم صلاح دنياهم، وذلك يتجلى في مظاهر شتى منها:

- **أولاً:** أنه سبحانه خلق في الأرض ما يصلحها؛ حيث جعل الجبال أوتاداً لهذه الأرض ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾، وجعل فيها الأنهار والشجر والدواب، كل ذلك لنفع هذا الإنسان ولخدمته.

ثانياً: ما أنزله سبحانه من المطر الذي ينتفعون به عاجلاً ويخزنون منه ما يحتاجون إليه في أوقات شتى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [الزمر: ٢١]، وهذا المطر ينزله الله عز وجل بقدر معلوم ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨١].

ثالثاً: قد أودع ربنا في هذه الأرض من الكنوز والمنافع ما لا يحصيه سواه، فأخرج مِن الجبالِ جواهر ومعادن، ومن البحر مآكل وحُلياً ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

رابعاً: وقد أنعم سبحانه على عباده بألوان من الأطعمة، ونوَّع لهم المآكل ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٥-٣٢].



خامساً: قدَّر سبحانه لكل نوع ما يصلح له من الأوقات، من حر وبرد واعتدال ورطوبة ويبوسة بما لا مزيد عليه، وخاطب العباد بقوله ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩]، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١].

وجماع ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والكفرة الفجرة قد أفسدوا هذه البيئة بما أحدثوا من كفر وفسوق وعصيان، وبما نشروا من ظلم وجور وطغيان، وبما أنتجوا من ألوان الدمار -أسلحة وغازات وسموماً- ثم بعد هذا كله زعموا أن في الموارد ندرة! ﴿مالكم كيف تحكمون﴾.



إن تطبيق الإسلام في الحياة كفيل بأن يكون ثمة صلح بين الإنسان وبيئته، فإن هذا الدين يعلِّمنا كيف نمشي على الأرض التي نطؤها ﴿واقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

ويعلمنا كيف نتعامل مع هذه الموارد التي هي من تسخير الله لنا، وينهانا عن السَرَف والتبذير والعبث، حتى لو كان ذلك في استعمال الماء أو صيد الطير لا لمأكلة.

وأعظم من ذلك أن يحرص الإسلام على البيئة في حال الحروب، حيث أخرج مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد الأنصاري: أن أبا بكر الصديق بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير رُبع من تلك الأرباع، فزعموا أن يزيد قال لأبي بكر: إما أن تركبَ وإما أن أنزِلَ، فقال أبو بكر: ما أنتَ بنازلٍ، وما أنا براكبٍ، إني أحتسبُ خُطاي هذه في سبيل الله. ثم قال له:

«إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وستجد قومًا فحصوا عن أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف، وإني موصيك بعشر:

لا تقتلن امرأة، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هَرِمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تُخربن عامرًا، ولا تعقِرن شاةً ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تحرقَن نخلًا، ولا تغرقنه، ولا تَغلُل، ولا تَجبُن».

وعلى كل منصف أن يقارن ذلك بما يفعله الصليبيون والملاحدة في حروبهم المعاصرة، من سياسة الحرب الشاملة والأرض المحروقة وصدمة الرعب، وغير ذلك من الأسماء التي يراد بها إهلاك الحرث والنسل تحقيقاً لأطماعهم وبلوغاً لغاياتهم.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].



الحفاظ على البيئة
بين الإسلام وخصومه

الشيخ سامي الساعدي

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم..

أرسل الله عز وجلَّ نبيَّنا محمداً ﷺ بشريعة تحقق للناس -بل للمخلوقات- مصالحهم في العاجل والآجل، فقد قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ومنطوق الآية الكريمة حصر الغاية من إرساله ﷺ في الرحمة، أي أنه لم يُرسَل إلا رحمة، وقد جاء ﷺ برحمة دنيوية معينة حتى لأعدائه، حيث إنهم لم يعذَبوا في الدنيا عذابًا يستأصلهم.

ففي الصحيحين من حديث أنس قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾... إلى آخر الآية. وروى الدارمي عن أبي صالح مرسلاً أن النبي ﷺ كان يناديهم: «يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة».

وعلى هذا النسق ورد كثير من التشريعات التي جاء بها النبي ﷺ، حيث لم تقتصر منفعتها على المسلمين فحسب. ومن القضايا التي شغلت دنيا الناس اليوم، وأقضت مضاجع الباحثين والعلماء قضية التغيرات المناخية ومستقبل البيئة في ظلها. فما موقع البيئة في المنظور الإسلامي؟ وما التشريعات الربانية التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما بني عليهما من الفقه والتي تَضْمَن بيئة سليمة من التلوث؟

وفي المقابل ماذا كان دور الرجل الأبيض وبعض الحكومات في بلاد المسلمين تجاه البيئة في العصر الحديث؟



توطئة

امتنّ الله تبارك وتعالى في آيات كثيرة على عباده مسلمهم وكافرهم بنعمة تسخير هذا الكون، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]. وقوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله جَلَّ ذِكْرُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤] وغيرها من الآيات.

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أن الله لا يمتنّ على العباد بشيء لا يكفي حاجتهم، فالكون مملوء بالأرزاق، كافٍ للخلق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦].



لكن إذا تدخلت أيدي البشر بالإفساد والبغي والعدوان، ضاقت على بعض الناس معايشهم؛ مصداقًا لقول الباري جل جلاله: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

تحريم الإفساد في الأرض

ولهذا نهى الله تعالى عباده عن الإفساد في الأرض، وذمّ المفسدين ونفي عنهم محبته وإصلاحه أعمالهم، فقال عز وجلّ فيما ذكر من خصال اليهود: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال عز وجل: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

وذمّ الله عز وجلّ صنفاً من الناس وتوعّده بنار جهنم، وذكر من صفات هذا الصنف أنه إذا تولى أي: إذا فارقك، أو إذا صار ذا ولاية بذَل جهده للإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل، وهذا من أعظم الاعتداء على البيئة، وقرر تعالى بُغضه لهذا الصنف من البشر، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

فضل عمارة الأرض وتثمير خيراتها وإحياء مواتها

وفي ذمّ مَن يهلِك الحرث والنسل دليل على فضل مَن غرَس ورعَى، لأنه متسبب في تكثير ما يحتاجه الخلق، قال القرطبي: «ودلت الآية على الحرث وزراعة الأرض، وغرسها بالأشجار حملاً على الزرع، وطلب النسل، وهو نماء الحيوان، وبذلك يتم قوام الإنسان. وهو يرد على من قال بترك الأسباب».



وجاء في الصحيحين من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة». وبوّبَ عليه النووي باب: فضل الغرس والزرع.

وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

أهمية الماء وفضل سقيه والنهي عن تلويثه أو إهداره

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وللتذكير بنعم الله تعالى علينا، يعتمد القرآن الكريم في سبيل ذلك طرقًا بديعة، فمن ذلك أنه يضعك في فرضية انقطاع تلك النعم، وهكذا كان الأمر مع الماء، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

وجعل الله تعالى الماءَ مظهراً من مظاهر الرضا الإلهي عن التائبين الراجعين إلى ربهم. فقال عز وجلّ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]. وقال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

والاعتداءات على نعمة الماء جريمة بيئية كبرى، سواء كان ذلك بتلويثه أم بإهداره. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يبولَنّ أحدكُم في الماء الدائم ثم يغتسل منه»[1].

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البِراز في الموارد وقارعة الطريق والظل»[2].



١ متفق عليه.

٢ رواه أبو داود، وابن ماجه. والملاعن مواطن اللعنة.

وجاءت السنة النبوية كذلك بالمحافظة على الماء وعدم السرف فيه، فقد روى الإمام أحمد وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مر بسعدٍ وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف؟» فقال: أفي الوضوء إسراف؟! قال: «نعم، وإن كنت على نهر جارٍ»[٣].



وقد جاء في متن رسالة ابن أبي زيد:

«وقلة الماء مع إحكام الغسل سُنَّة، والسرف منه غلو وبدعة». كما جاء الترغيب في سقي الماء أو تسبيله على وجه الوقف أو الصدقة الجارية، فعن سعد بن عبادة قال: قلت: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء»[٤].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»[٥].

وتاريخنا الإسلامي العظيم زاخر بأوقاف الآبار والمياه المسبَّلة، منذ أن اشترى عثمان رضي الله عنه بئرَ رُومة وجعلها وقفًا على المسلمين، ومرورًا بعين زبيدة زوجة هارون الرشيد، وانتهاء بالمياه المسبَّلة في عصور الأيوبيين والمماليك والعثمانيين، وإلى يوم الناس هذا.

---

٣ رواه ابن ماجه كذلك وبوَّبَ عليه باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه.

٤ روه ابن ماجه.

٥ رواه ابن ماجه.

النظافة الشخصية والبيئية والآداب



دواوين السنّة ملأى بالتوجيهات النبوية والآداب السَنية في نظافة الإنسان وبيئته، فمن ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن ابن المسيب سُمع يقول: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود». قال: فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال: حدَّثنيه عامر بن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ مثله إلا أنه قال: «نظفوا أفنيتكم»[٦].

وقد أمر الله تعالى بتعاهد المساجد التي يجتمع فيها المسلمون للوقوف بين يدي ربهم تبارك وتعالى، بتعاهدها بالتنظيف والتطييب. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦]، وقد ذكر أهل العلم أن مما يدخل في رفعها تنظيفها وتطييبها. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تُنظف وتُطيب»[٧].

ومما يدخل في رفعها خفض الصوت فيها وتنزيهها عن اللغط واللغو والجلبة وسائر التلويث السمعي الضوضائي، وما يخلفه من آثار سلبية على الصحة البدنية والنفسية، فضلًا عن التشويش على الذاكرين والتالين والركّع السجود.

---

٦ رواه الترمذي في جامعه، أبواب الأدب، باب ما جاء في النظافة.

٧ رواه أحمد، وأهل السنن إلا النسائي.

واستحباب التطيب، وكراهة أو حرمة رفع الأصوات ثابت ومقرر عمومًا سواء في المسجد أو في غيره، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

وبوّب البخاري رحمه الله باب: «كراهية الصخب في السوق» في كتاب البيوع من صحيحه، وروى تحته حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما في وصف النبي ﷺ في التوراة وفيه: «... ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق..». قال ابن بطال: في هذا الحديث ذم الأسواق وأهلها إذ كانوا بهذه الصفة المذمومة من الصخب واللغط والزيادة في المديحة أو الذم لما يتبايعونه والأيمان الحانثة، وفي مثل هذا المعنى قال ﷺ: «شر البقاع الأسواق» لما يغلب على أهلها من هذه الأحوال المذمومة.

وقد جاء في صحيح مسلم وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم وهيشات الأسواق». قال النووي: هَيْشات الأسواق: «اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها».

قال ابن الجوزي: وقد كان النبي ﷺ أنظف الناس وأطيب الناس، وفي الحديث عنه: يرفع يديه حتى تبين عَفرة إبطيه، وكان ساقه ربما انكشفت فكأنها جمارة. وكان لا يفارقه السواك، وكان يكره أن يشم منه ريح ليست طيبة. وقال أيضاً: فليست الصورة داخلة تحت كسب الآدمي، بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها. فقبيح بالعاقل إهمال نفسه. وقد نبه الشرع على الكل بالبعض، فأمر بقص الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، ونهى عن أكل الثوم والبصل النيء لأجل الرائحة. وينبغي له أن يقيس على ذلك ويطلب غاية النظافة ونهاية الزينة. وقد كان النبي ﷺ يُعْرَف مجيئُه بريح الطيب، فكان الغايةَ في النظافة والنزاهة».

وقال ابن الجوزي أيضاً: «أما الدين، فإنه قد أمر المؤمن بالتنظف والاغتسال للجمعة؛ لأجل اجتماعه بالناس، ونهى عن دخول المسجد إذا أكل الثوم، وأمر الشرع بتنقية البراجم وقص الأظافر، والسواك، والاستحداد وغير ذلك من الآداب»[8].



وإذا كانت الشريعة السمحة قد حرمتْ إفساد البيئة وتلويثها، فإنها قد رغّبت أيما ترغيب في تطهيرها وتنظيفها، حين جعلت إماطة الأذى شُعبة من شعب الإيمان، فقد ثبت في المسند والكتب الستة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

وفي الصحيحين والمسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، قال: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة». قال: «والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من زحزح عن طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم، كتب الله له به حسنة، ومن كتبَ له عنده حسنة، أدخله الله بها الجنة».

---

٨ صيد الخاطر.

إحياء الموات

وقد ندب الشارع الحكيم إلى تشجير الأرض وعمارتها بالغرس والزرع، وإحيائها من مواتها، ومن ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له». وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها»[٩].

هذا هدي الإسلام وهذي آدابه وأحكام شريعته، فماذا عن الرجل الأبيض الذي جاء (ليطور بلدان العالم الثالث وينقلها من التخلف والبداوة إلى التقدم والحضارة)؟!

إن أكبر اعتداء على البيئة وأخطره كماً ونوعاً ما فعلته الدول الاستعمارية مِن جعلِ بلاد المسلمين مختبراً لتجاربها واتخاذ ترابها مقبرةً لدفنِ نفاياتها النووية، في استخفاف واضح بكرامة تلك البلدان وسلامة أهلها وكأنهم قرابين للرجل الأبيض!





وهاك مثالين على هذا الإجرام البيئي:

المثال الأول

ما اقترفته فرنسا في آخر سني احتلالها للجزائر، عندما بدأت في ١٣ فبراير سنة ١٩٦٠ سلسلة تجارب

---

٩ رواه أحمد.

نووية في جنوب الجزائر حين فجَّر الجيش الفرنسي أول قنبلة نووية تفوق قوتها بنحو أربع مراتٍ القنبلةَ التي ألقتها واشنطن على مدينة هيروشيما اليابانية.

وقد بلغ عدد تلك التجارِب سبعًا وخمسين تجربة فُجِّر خلالها سبع عشْرةَ قنبلة نووية، لِتُخَلِّفَ وراءها عشرات الآلاف من الضحايا، فهل وقف الإجرام الفرنسي عند هذا الحد؟ لا.

لقد كان من بين هؤلاء الضحايا مائة وخمسون جزائريًا كانوا سجناء في سجن (سِيدي بلعباس)، أخرجهم الفرنسيون لإجراء تجارب عليهم؛ حيث رُبِطوا على مقربة من مكان التفجير، وذلك ليعرفوا تأثير الانفجار على الإنسان!



وما زالت المطالبات الجزائرية مستمرة لفرنسا بالاعتذار عن الجريمة والتعويض، وتسليم خرائط النفايات النووية التي دفنها الفرنسيون في الصحراء الجزائرية، وما زالت فرنسا رافضة لذلك كله.

المثال الثاني

«الولد الصغير» و«الرجل البدين»..

لم يكن الأول ولداً ولا الثاني رجلاً! وإنما هما اسمان لقنبلتين ذريتين ألقتهما أمريكا على مدينتَي (هيروشيما) و(ناجازاكي) في اليابان لإجبارها على الاستسلام للحلفاء في الحرب العالمية الثانية.



ففي صيف سنة **١٩٤٥** ساعات قَتلت قنبلتان نوويتان أمريكيتان أكثر من مائة وأربعين ألف إنسان في مدينة هيروشيما اليابانية، وثمانين ألفاً آخرين في مدينة ناجازاكي!

وليس لنا من تعليق نختم به مقالنا هذا إلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٩- ٢٢].

والسلام.



المدينة والتلوث البيئي قبل الهجرة

الداء.. والدواء النبوي

د. أحمد موفق زيدان

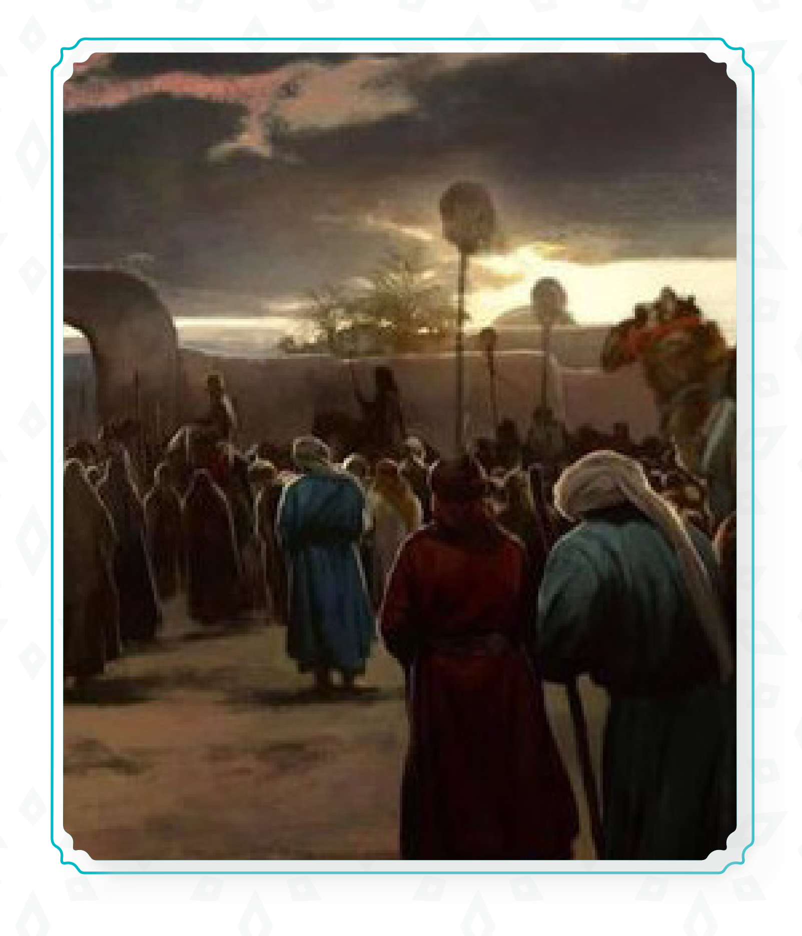
عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

عُرفت المدينة المنورة قبل بعثة المصطفى ﷺ بيثرب، وتذكر الروايات التاريخية أن بناءها يعود إلى ١٥٠٠ عام قبل بعثة النبيّ ﷺ، ويُرجع البعض علّة التسمية إلى اسم أحد أحفاد نوح عليه السلام، والذي كان يُلقّب بيثرب، فأخذت البلدة اسمها من اسمه.

وظلت التسمية حتى قدوم النبي ﷺ إليها، فشرّفها ونوّرها بنوره، فغلب عليها تسمية المدينة المنورة، وحض النبي عليه السلام على تغيير اسمها، فسمّاها بطيبة، ولعل لهذا علاقة كبيرة بالحالة المناخية التي استبدّت بها، فكانت سبباً للتهرب من النزول والإقامة فيها، نتيجة المرض الذي يعترض لساكنيها غير الأصليين ممن تعوّدوا عليها وعلى مناخها، وهو لبُّ وجوهر مقالنا.

حُمّى يثرب ومرض الصحابة

لم يكن النبي ﷺ مخيرا في اختيار دار هجرته، فقد رأى في منامه وهو ما يزال في مكة المكرمة دارة هجرته، وما دامت رؤيا الأنبياء حق، فقد أخذ بتلك الرؤية، يقول ﷺ قبل هجرته كما ورد في صحيح مسلم: «رَأَيْت فِي الْمَنَام أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَة أَوْ هَجَر، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَة يَثْرِب».



كان أول تحدٍّ برز للنبي ﷺ بعد قدومه إلى المدينة المنورة، تحدّي التلوث البيئي للمدينة، أو ما عُرفت يومها بيثرب، إذ كانت الحمّى التي عُرفت بها مشهورة على اسمها بـ «حمى يثرب» الأمر الذي تسبب في مرض كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، حتى شارفوا على الموت، وعلى رأسهم أبي بكر الصديق وعامِله عامر بن فهيرة، وبلال بن رباح، رضوان الله عليهم أجمعين.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها عن تلك الفترة:



«لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة كانت أوبأ أرض الله من الحُمّى. فكان بُطْحان يجري نَجلاً». تعني ماءً آجناً.

أي: حتى إن وادي بُطحان كان يجري طول العام «نَجْلًا»، أي: بالمياه الراكدة، فينشأُ عن ذلك كثرة الحُميات وينتشر الوباء.

وتفاقم المرض واستشري في صفوف الصحابة رضوان الله عليهم، حتى بلغ حدّاً خطيراً، حتى ظنوا أن الموت قد اقترب منهم، فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا أخذته الحُمّى يقول:

كل امرئ مصبّح في أهله •• والموت أدنى من شراك نعله

أما بلال فرضي الله عنه فكان إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته، ويردد وهو يحنُّ إلى مكة وأجوائها:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة •• بوادٍ وحولي إذخِر وجليلُ

وهل أرِدن يوماً مياه مجَنَة •• وهل يَبدون لي شامةٌ وطفيلُ

شعر النبي ﷺ بخطورة الوضع، فصبّ غضبه ودعاءه على مَن أخرجه من مكة المكرمة، التي كانت أحبّ بقاع الأرض إليه كما ورد في غير حديث نبوي، وخصّ النبي ﷺ دعواته مباشرةً على مَن أخرجه من مكة؛ كما ورد في البخاري: «اللهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء».

فإن الإنسان ابن بيئته، يتأقلم معها ومع أجوائها وحتى أمراضها، إذ ثمة توافق وتناغم وانسجام كبيرين بين الإنسان والمكان الذي وُلد فيه، وترعرع فيه، فألِف هواءه وماءه، واكتسب مناعته ضد أمراضه، ولذلك قيلت هذه الكلمة التي اختصرت الكثير في هذا المقام وهي أن الإنسان ابن بيئته، ولذا فقد درجت العادة أن المسافر الذي يرِد إلى مكان جديد لأول مرة قد يُصاب ببعض الأمراض نتيجة عدم ألف جسمه لأجواء المكان الجديد وجراثيمه، لكن وبكل تأكيد فإن المدينة المنورة في ذلك الزمان كانت تعاني من مشكلة حقيقية وجودية، وهي مرض الحُمى أو الكوليرا في هذا الزمان، حتى عُرفت اسمها «حمى المدينة» مما عنى أنها مشكلة كبيرة وحقيقية ودائمة لا عارضة.

كانت مكة المكرمة حرسها الله وشرفها، معروفة في ذلك الزمان بأنها العاصمة التجارية لشبه الجزيرة العربية، فكانت القوافل تغدو إليها، وتروح منها إلى الشام والحبشة واليمن وغيرها، فشكلت بذلك حاضرة تجارية مهمة للمنطقة، وتعوّد أهلها على التجارة والتعامل مع الآخرين، بينما كانت المدينة منطقة زراعية حيث التمور والشعير والحبوب، وكان يهود هم المسيطرون على الزراعة فيها، نظراً لخبرتهم الطويلة والعميقة، وسيطرتهم على معظم آبار المدينة الصالحة والجيدة للشرب، ولذا فحين قدم المسلمون إلى المدينة واجهوا مشكلة المياه، ومعلوم أن الأخيرة من أهم تجليات التلوث البيئي، وأسباب وقوعه، التي ينجم عنها مرض الحمى وغيره.



كيف عالج النبي عليه السلام التلوث البيئي في المدينة؟!

أقرّ النبي ﷺ منذ اليوم الأول لهجرته بوجود المشكلة، وهي مشكلة التلوث البيئي، وأنها حقيقة واقعة، والدليل ما حصل لصحابته، وعلى رأسهم الصديق أبي بكر، والد زوجته المحبوبة له عائشة الصديقة رضوان الله عليها أجمعين، ومثل هذا الإقرار، هو أول درجة سُلّم حل المشكلة، فبعد أن أقرّ عليه السلام بوجودها لجأ إلى خطوات عملية عدة من أجل مواجهتها والتغلب عليها:

١ كانت المشكلة الأساسية التي تواجه الصحابة رضوان الله عليه، قلّة المياه الصالحة للشرب، إذ تحكم يومها يهود بغالبية أو كل آبار المدينة الصالحة للشرب، لحضّ النبي ﷺ صحابته منذ الأيام الأولى على شراء بعض هذه الأبار الصالحة للشرب، ووقْفها للمسلمين، ولعل من هنا جاءت أهمية سقيا الماء الذي حض عليها الإسلام فيما بعد، حيث كان شراء الآبار ووقفها حلاّ جذرياً وأساسياً للمشكلة.



كانت بئر رومة من الأبار المهمة والعذبة. كان الصحابة كلما ذهبوا ليملؤوا قربهم منها وجدوا عليها قفلاً من صاحبها اليهودي، فما كان من النبي ﷺ إلاّ أن دعا المقتدرين من الصحابة لشرائه وحضهم ورغبهم به قائلاً: «مَن يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة»؟ فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه، ووقفها على المسلمين، فقال الرسول ﷺ: «نِعم الصدقة صدقة عثمان».

ثم احتاجت إلى النزح والتبريح فعلم الرسول ﷺ بذلك فرغب ثانية وحض عليه وقال: «من حفر بئر رومة فله الجنة». فحفرها عثمان بن عفان رضي الله عنه أيضاً.
وفي صحيح البخاري عن عبدالرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم بالله، ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة؟» فحفرتها؟

بئر رومة

ومع مرور الوقت تزايدت عدد آبار المسلمين في المدينة، فكانوا يشربون مياهاً عذبة صالحة للشرب، مما أدى إلى انحسار وتراجع حدة الحُّى وخطورتها، بعد أن اعتادت أجسام الصحابة رضوان الله عليهم على البيئة الجديدة للمدينة المنورة وهوائها ومناخها.

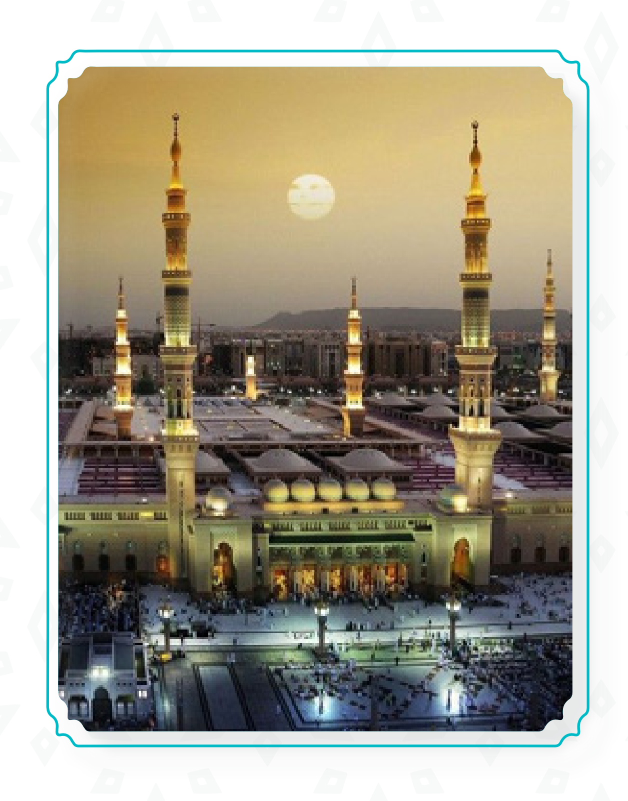
وحين كان بلال يحنّ إلى مكة، إنما كان يحنّ إلى أمرين افتقدهما في المدينة من حيث اللحاظ البيئي وهما الشجر والماء، إذخر وجليل، ومياه مجنة، وهو ما يفسر علاقة المرض بالتلوث البيئي الذي واجهوه في دار الهجرة.

٢ سعى النبي ﷺ إلى قطع الصحابة رضوان الله عليهم عن الاسم القديم الذي عُرفت به يثرب، وحُمّاها حيث كانت تُعرف بـ (حُمّى يثرب)؛ فحض الصحابة رضوان الله عليهم على اعتماد اسم طيبة وطابة والمدينة المنورة، وهو ما هدف إلى نسيان الاسم القديم وكل ما يمت إليه بصلة، وأكثر ما يمتّ إليه بصلة الحمى التي تذكرهم تماماً بالاسم القديم، والأخير الذي يذكرهم بالحمى، فكان يقول عليه السلام: «يقولون يثرب وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد».

وروى مسلم أيضاً عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ قال: «إنها طيبة» -يعني المدينة- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى سمى المدينة طابة».

وقد سماها الله تعالى الدار، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الحشر: ٩] وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [الأحزاب: ١٣] فهو حكاية قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض، كما قرر ذلك النووي وابن حجر وغيرهما، الذان اعتبرا تسميتْها بالمدينة مكروهة. ويعود كره الإمام النووي رحمه الله إلى تسمية المدينة بيثرب، لأنها من التثريب، وهو التوبيخ والملامة، وكان النبي ﷺ يحب الاسم الحسن، ويكره الاسم القبيح.

وقد قال الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:



«كانوا يُسمون المدينة يثرب، فسماها النبي ﷺ طابة، والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقهما من الشيء الطيب، وقيل: لطهارة تربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل: من طيب العيش بها، وقال بعض أهل العلم: وفي طيب ترابها وهوائها دليل شاهد على صحة هذه التسمية، لأن من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها».

ويتابع ابن حجر في الفتح: «قرأت بخط أبي علي الصدفي في هامش نسخته من صحيح البخاري بخطه: أمر المدينة في طيب ترابها وهوائها يجده من أقام بها، ويجد لطيبها أقوى رائحة، ويتضاعف طيبها فيها عن غيرها من البلاد، وكذلك العود وسائر أنواع الطيب»».

٣ حض النبي ﷺ الصحابة على زراعة الشجر فيها، وهو حض عام في كل زمان ومكان، فكان الحض في تلك الفترة على زراعتها في المدينة المنورة نظراً لأن المسلمين كلهم متجمعون فيها، فقال ﷺ: **«ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له صدقة»**.



واتجه إلى أرض الموات لحث على استخدامها وزراعتها، وهي من أقوى الأساليب المعروفة في مواجهة التلوث البيئي، حيث تجلب الهواء العليل، وتطرد كل الميكروبات والجراثيم عن المنطقة، وكافأ كل من يُحيي أرض موات بأنها له فقال ﷺ: **«من أحيا أرضاً ميتة فهي له»**. وقال ﷺ: **«مَن عمّر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها»**.

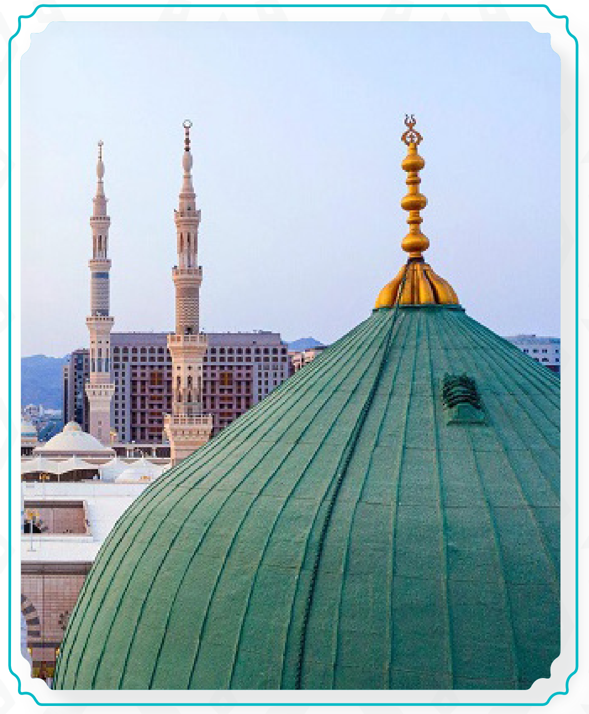
فكان من ثمرة هذا كله استصلاح أراض موات، ومنها وادي بطحان، وأرض الغابة في المدينة وغيرهما، مما انعكس ذلك إيجابياً ومباشر على مناخ المدينة.

وما دام حض على عملية التشجير في مقاومة التلوث والتصحّر، فقد حذر وأنذر بالمقابل كل من أقدم على قطع شجرها، الذي هو أحد أسباب تفاقم أزمة التلوث البيئي كما قُرر في الدراسات الحديثة؛ فقال ﷺ: **«إنِّي أحرِّم ما بينَ لابتَي المدينة كما حَرَّمَ إبراهيم حَرَمَه، لا يُقطَعُ عِضاهُها، ولا يُقتَلُ صيدُها، ولا يَخرجُ منها أحدٌ رغبةً عنها إلا أبدلَها اللَّهُ خيرًا منه، والمدينة خيرٌ لَهُم لو كانوا يعلمون»**[1].

---

١ رواه أحمد، وعضاهها: شجر فيه شوك.

أدرك النبي ﷺ -كما ذكرنا- خطورة مسألة التلوث البيئي، فكان العلاج أيضاً بتعظيم ثواب المبتلين به، فروى ابن هشام وابن كثير وغيرهما -في السيرة النبوية- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حُمى المدينة حتى جهدوا مرضاً، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ، حتى كانوا ما يُصلّون إلا وهم قعود. قال: فخرج رسول الله ﷺ وهم يُصلّون كذلك فقال لهم: «**اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم**». فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم، التماس الفضل.



٤ وكان النبيّ ﷺ يصبّر أصحابه رضوان الله عليهم ويشد من عزمهم، ويبيّن لهم الأجر والثواب لمن يصبر على ما يجده في المدينة من شدتها وأمراضها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ: «لا يصبر على لأواء المدينة وشدّتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة، ولا يدعها أحد رغبةً عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه»**[٢].

كان الأهم في كل هذا كله دعوة النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ».

والجحفة قرية على بعد اثنين وثمانين ميلاً من مكة المكرمة، ولم تكن الجحفة حينئذ من بلاد الإسلام، وهي التي كانت مهلَّ أهل الشام ومصر ومن على شاكلتهم. قال الإمام الخطابي وغيره: «كان

٢ رواه مسلم.

ساكنوا الجحفة في ذلك الوقت يهودًا وهم أعداء الإسلام والمسلمين، ولذا توجه دعاءه ﷺ عليهم، ففيه جواز الدعاء على الكفار بالأمراض والهلاك، وللمسلمين بالصحة وطيب بلادهم والبركة فيها، وكشف الضر والشدائد عنهم، وفيه إظهار معجزة عجيبة فإنها من يومئذ وبيئةٌ، لا يشرب أحد من مائها إلا حمّ ولا يمر بها طائر إلا حمّ وسقط.. وقال الإمام عياض: فيه معجزة له ﷺ فإن الجحفة من يومئذ وبيئة وخمة لا يشرب أحد من مائها إلا حُم، أي من الغرباء الداخلين عليها».



آثار مدينة الجحفة

البلدان بساكنيها، فكيف إن ضمت رسول الله حياً وميتاً؟

لقد تشرفت المدينة المنورة بأن ضمت رسول الله ﷺ حياً، وميتاً، فقد آثرها في حياته على مسقط رأسه مكة المكرمة، فدعا ربه أن يحببهم فيها أكثر من مكة، فكانت عاصمة الدولة الإسلامية، ومن بعد حذر من مغادرتها ففي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «إنها طيبة وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة».

وقد كرم الله تبارك وتعالى المدينة بأن جعلها مع مكة عصية على أعظم فتنة ترد على هذا العالم، وهي فتنة الدجال حين قال ﷺ: **«ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابهما إلا عليه الملائكة صافين تحرسهما، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج الله منها كل كافر ومنافق»**. رواه مسلم.

وظل أهالي المدينة يستذكرون ما قاله النبي ﷺ حين وجدوا في أنفسهم شيئاً من توزيع غنائم حُنين على غيرهم دون سواهم، فذكّرهم النبي ﷺ بالأيام الأولى من دخوله المدينة، ولعله كان يشير بذلك ضمن ما ألمح إليه الحالة البيئية الصعبة لها، فغدا طيبها ورائحتها من أجمل الروائح والطيب، ويستشعر ذلك كل من يسكنها ويزورها -حرسها ربي وشرفها على مدى الزمان والمكان- يقول الصحابي:

«لما أصاب رسول الله الغنائم يوم حنين، وقسم للمتألفين من قريش وسائر العرب ما قسم، ولم يكن في الأنصار شيء منها، قليل ولا كثير، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي -والله- رسول الله قومه.

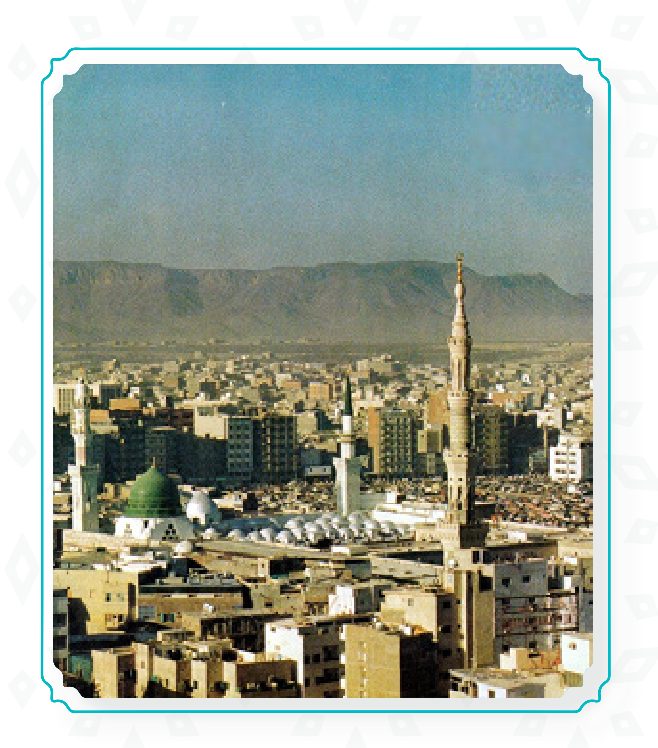
فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم. قال ﷺ: «فيم؟» قال: فيما كان من قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شيء. قال رسول الله ﷺ: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: ما أنا إلا امرؤ من قومي. فقال رسول الله ﷺ: «اجمع لي قومك في هذه الحظيرة فإذا اجتمعوا فأعلمني». فخرج سعد فصرخ فيهم فجمعهم في تلك الحظيرة... حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه، فقال: يا رسول الله اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم.



فخرج رسول الله ﷺ، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار ألم آتكم ضلالًا فهداكم الله؟ وعالةً فأغناكم الله؟ وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟

قالوا: بلى!

قال رسول الله: «ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟»



قالوا: وما نقول يا رسول الله وبماذا نجيبك؟ المن لله ورسوله.

قال ﷺ: «والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم: جئتنا طريدًا فآويناك، وعائلًا فآسيناك، وخائفًا فأمناك، ومخذولًا فنصرناك».

فقالوا: المن لله ورسوله.

فقال: أوجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قومًا أسلموا ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم. وقالوا: رضينا بالله ربًا، ورسوله قسمًا، ثم انصرف وتفرقوا.

يستذكر الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه يومين عظيمين في تاريخ هذه الأمة، وهو يوم دخول النبي ﷺ للمدينة، ويوم وفاته ﷺ، فيقول فيما رواه ابن ماجه وصححه الألباني وغيره عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ أضاء منها -المدينة- كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء».

البيئة في الإسلام

وسائل الحماية والحفظ في ضوء السُّنة



د. علي الصلّابي

المؤرخ الإسلامي

اهتم الإسلام بالبيئة اهتماماً كبيراً، وكان له السبق في وضع القواعد والتشريعات التي تضمن سلامتها واستقرارها وجمالها، وتحافظ على مواردها المختلفة.

---

* للمزيد: كتاب: الدولة الحديثة المسلمة، للدكتور علي محمد الصلابي، وكتاب: المسؤولية الجسدية في الإسلام، لعبد الله إبراهيم. والذي اعتمد المقال في كثير من أفكاره عليه.

وهذا ينسجم مع نظرة هذا الدين القيم إلى الكون الذي هو من صنع الله وتدبيره، وأثر من آثار قدرته وعظمته، والذي يوجب على الإنسان تقديرها واحترامها، والمحافظة عليها، وعدم نشر الفساد فيها. إذ أصبحت حماية البيئة من أكبر مشكلات العصر.

كما حرص الإسلام على حماية البيئة بكافة مكوناتها وذلك بإنشاء تصور كامل للحياة ونظامها وما تتطلبه من نهضة أو تطور، وفق قواعد ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع تغير الزمان والمكان، وهذا ما يعطي المبادئ البيئية الإسلامية صفة الصلاحية التي تحقق لأفرادها السعادة والرخاء في الدنيا والآخرة، والمبادئ الإسلامية للبيئة لم تكن ضرباً من الخيال ولا أسطورة من أساطير اليونان والرومان؛ بل هي جزء من الفطرة التي فطر الله عليها الناس، في توجه صادق إلى خالق الخلق كله، قال تعالى:



﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

والإسلام دعا إلى سلامة البيئة، وحرّم إفسادها على الناس، والنبي ﷺ أكّد هذه المعاني، بدعوته إلى تطهير البيئة من المفاسد التي تلوثها.. ومن هذه المعاني:

١. النهي عن البول في الماء الراكد



الماء نعمة من الله تعالى خلقه ليشرب منه الناس، ويغسلون ويسقون حيواناتهم ومزروعاتهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

هذه النعمة (الماء) تنقلب إلى ضرر محض إذا عبثت به يد الإنسان بالتلوث، وكم من الأمراض تنشأ من المستنقعات ذات المياه الملوثة، لذا نهى النبي ﷺ عن تلويث الماء سيما الراكد منه، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه نهى ﷺ أن يُبال في الماء الراكد، لأن الجاري متغير متبدل لا تتحقق فيه علة الضرر -التلويث- على الكائنات الحية.. بخلاف الراكد.

٢. تطهير المساجد

تجمع تعاليم الإسلام بين الحرص على النظافة واللين والمسامحة، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذا جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب النبي ﷺ: «مَه مَه»، قال ﷺ: «لا تزرموه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن»، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه.

فلا شك أن هذا الأعرابي حديث العهد بالإسلام لم يكن يقيم وزناً للبيئة، ولم يعرف تعاليم الإسلام بعد، فبال في أطهر مكان وأكرم بيئة بعد بيت الله الحرام، فبيّن له النبي ﷺ أن المساجد لا يليق بها هذا الأمر، غير منفّر ولا مفنّد. ولما كان فرش المسجد النبوي الشريف الحصا فإن صبّ بعض الماء على البول يكفي.

كما أنه ﷺ نهى عن تلويث المسجد بالبزاق ونحوه، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط من الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة، تكون في المسجد لا تُدفَن».

بل أمر بتنظيف المساجد وتطييبها، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيّب.

٣. نظافة الطرق والمرافق العامة

إن أكثر الأماكن التي يرتادها الناس الطرق العامة وموارد المياه وأماكن الجلوس، كالظل ونحوه، لذا حذر الإسلام من تلويثها خاصة فإن ذلك يكون إيذاء للناس من جهة، لأنها أماكن لا غِنى لهم عنها، ومجلبة للعنِ فاعلِه من جهه ثانية، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل».

فلا شك أن تلويث هذه الأماكن أكثر ضرراً من غيرها، فالناس يكثرون فيها فيحصل الضرر، لذا كان التحذير منفراً واصفاً الفعل بأنه مجلبة محصنة للعن الناس وشتمهم لأن الطباع السليمة تنفر من ذلك فضلاً عن تلويث البيئة، ويمكن أن يقاس على ذلك من يدخن في الصالات العامة والحافلات والأماكن العامة، لأنه إنشاء لأذى وضرر في أماكن يرتادها الناس، فيفسد البيئة ويستجلب لنفسه اللعن.

٤. عدم حجب الريح عن الجار



لقد بيَّن ﷺ أن الهواء الطلق من حق الإنسان أن يشمه ولا يجوز أن يحجب عنه بحال، فقال مخاطباً الجار في حسن الجوار: «ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه».

فهذا الحديث إرشاد للجار، وإشارة إلى أن الهواء من حق الإنسان لا يجوز حجبه عنه إلا بإذنه، ويلحق بذلك أشعة الشمس لأنها أكثر أهمية في بعض البلدان والأماكن والفصول؛ فالهواء والشمس من عناصر البيئة الطبيعية، لا يجوز التفريط بهما، وإذا كان حجب الريح عن الجار مرفوض، فمن باب أولى ألا يضع القمامة أمام داره، أو أن يرفع صوت المذياع والمسجل والتلفاز، فيؤذيه بالصخب، وأن لا يفتح على داره فوهات دخان الحمامات والمطابخ، فكل ذلك يندرج تحت قوله ﷺ: «لا ضَرر ولا ضِرار».



ومما تقدم تبيّن لنا حرص الإسلام على البيئة، ففي نظافتها ونقائها طيبة النفوس، وسلامة الأجساد، ولما كان الغراس والزرع يزيد البيئة نضارة وجمالاً حث عليه الإسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة».

من ملوثات البيئة

كانت ملوثات البيئة في الماضي ساذجة ويسيرة، وقد توسعت في العصر الحديث نتيجة الثورة الصناعية، فجاء بعضها مؤثراً على السمع كالصخب أو ملوثاً للهواء كالدخان والغازات، وبعضها الآخر مشوهاً للأجساد، كالتلوث الإشعاعي، ومنها ما يبعث الروائح الكريهة وينقل الجراثيم وهي الملوثات بالفضلات الآدمية كالقمامة وغيرها.

الصخب وأثره على السمع

هناك صخب يشوه البيئة ويعكر صفوها ويصم الآذان معرضاً إياها للصمم أحياناً مثل: أزيز الطائرات، وأصوات السيارات، ومحركات المصانع، وطنين المراوح وأجهزة تكييف الهواء، وصفير الراديو والتلفاز، فهذا الصخب الدائم الضوضاء يتسبب في انكماش الأوعية الدموية، وشحوب الجلد، وانقباض العضلات، ويندفع «الأدرنالين» في مجاري الدم، حيث يحدث توتراً عصبياً.

التلوث بالدخان والغازات

إن دخان المصانع والقطارات وغاز السيارات العادم واحتراق الغابات، وتقلص الأشجار الخضراء، ضربة خطيرة للجسد البشري، عندما أحدث تلوث الهواء الذي هو بأمس الحاجة إليه غير أنه يمكن الحد من هذا التوث بالعمل على توسيع الرقعة الخضراء، وذلك بغرس الأشجار.

التلوث الإشعاعي



إنَّ المخلفات بلاء على البشرية وخطر عظيم على الجسد البشري، يشوهه إذا لم يفنيه، إذا أهملت ولم يمكن التخلص منها، لذا يجب أن توضع في أوعية لا تتآكل أو تصدأ، حيث لا توجد كائنات حية، وحيث لا تكشفها الظواهر الجيولوجية كالزلازل فتعيدها للوجود.

التلوث بالفضلات الآدمية

من المعلوم أن القمامة لها أثر سيء على البيئة، فمنها تنبعث الروائح الكريهة والجراثيم المختلفة والناقلة للأمراض، وكل ذلك يصل إلى الجسد البشري عن طريق الهواء وغيره، ويمكن التخلص من التلوث بهذه بأن توقد في مراجل المصانع، فبذلك يتخلص بها من جهة، ويستفاد منها كطاقة من جهة ثانية.

كما أن مجاري المياه -البواليع- تشكل خطراً لا يقل عن خطر القمامة، وإن لم يكن أكثر، فهي تفسد البيئة أيمّا إفساد إذا لم يحسن إحكامها وتصريفها، فإذا تجمعت في منخفض من الأرض شكلت

مستنقعات من الجراثيم الناقلة للأمراض، وإذا ما سلطت هذه على مياه الأنهار أو البحار كان التلوث المائي أيضاً، والأحسن في ذلك سقاية المزروعات بها مع الحذر الشديد، وإشراف أهل الخبرة الزراعية والصحية على ذلك لأن الحاصل من تلوث الماء هو عين ما حذر منه النبي ﷺ كما ورد في الحديث «البراز في الموارد». والأحسن من ذلك كله أن تعالج هذه المياه لتخليصها من الميكروبات الضارة الناقلة للأمراض والمواد السامة.

هذه بعض الملوثات الأساسية للبيئة: الصخب والدخان والغازات السامة، والإشعاع الذري، والفضلات الآدمية وغيرها كثير، إنما اقتصرت على هذه الأنواع لأنها أكثر شمولية وأشد خطراً على الجسد البشري من غيرها فهناك التلوث بالنفايات النفطية، من جراء غسل وتنظيف ناقلات النفط في البحار، وهناك التلوث المعدني والكيماوي الناشيء عن إلقاء فضلات المصانع الكيماوية والبتروكيماوية، ومصانع الفولاذ على السواحل والتي تلقى في مياه البحار أيضاً، كما يجب أن لا يفوتنا خطر الأسلحة الحديثة الملوثة للجو المشوهة للأجساد فهي الخانقة أحياناً، والقاتلة أحياناً أخرى والتي لا يقف خطرها عند حدود الجيوش العسكرية، بل تتعداهم إلى عامة الناس، ولا تزال آثار التشوه النووي لدى اليابانيين من جراء تفجير القنبلة الذرية عام ١٩٤٥م على هيروشيما، وهذه الأسلحة مثل:



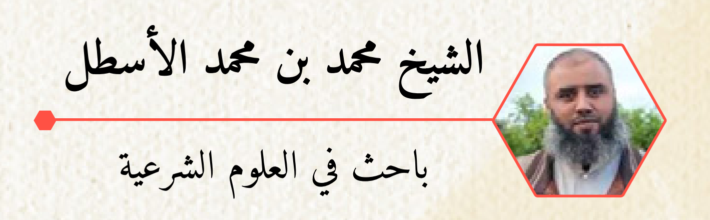
- **الأسلحة النووية، كالقنابل الذرية والهيدروجينية والنيتروجينية.**
- **الأسلحة الكيماوية، كالغازات الحربية والمواد الحارقة «كالنابالم» والمواد الدخانية.**
- **الأسلحة البيولوجية، وهي تستخدم في صور مستحضرات بيولوجية سائلة أو جافة من الميكروبات المعدنية، أو استخدام الحشرات الناقلة للأمراض وسيلة لنقل الميكروبات.**



فالطبيعة بما فيها من موارد هبة الله لعباده من ماء وتربة وشمس وهواء، فمن حق الإنسان في هذا المجتمع أن تحفظ له -إن أمكن- هذه الموارد الطبيعية التي ساقها الله تعالى إليه، غير أن الحضارة الحديثة رغم خدماتها وإنجازاتها التي قدمتها للعالم في العصر الحديث، والتي لا ننكرها أبداً، ولكن بالرغم من كل ذلك، جرّت على الجسد البشري ويلات كثيرة، منها تلوث البيئة، والذي تعدى خطره بعض الدول الصناعية الكبرى إلى أن صار مشكلة عالمية خطرة بسبب تراكم تأثيرها، وتأجيل حلولها.

إماطة اللثام عن حرب تقليل السكان

جولةٌ في إحدى جبهات الحروب الأمريكية الباردة الجديدة



الشيخ محمد بن محمد الأسطل

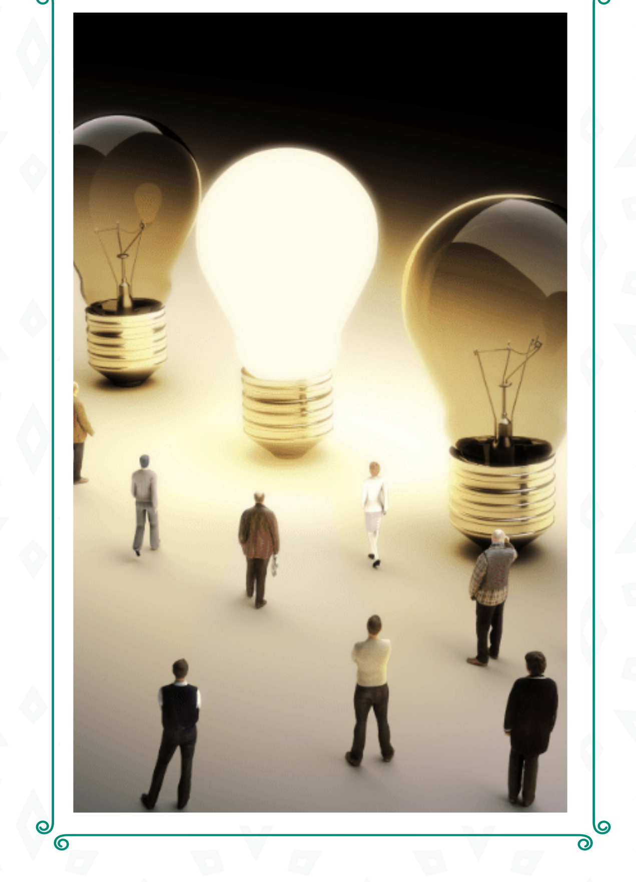
باحث في العلوم الشرعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فلا زالت الولايات المتحدة الأمريكية تشن حربًا ضارية ضروسًا ضد سكان العالم تهدف إلى تقليل أعدادهم من خلال سياساتٍ شتى؛ من مثل تعقيم النساء والتشجيع على الإجهاض وتشريع المثلية والشذوذ، فضلًا عن الدعوات المتكررة لرفع سن الفتيات في الزواج وتخفيف النسل أو تنظيمه أو تحديده في كثيرٍ من البلدان بطفلٍ واحدٍ أو اثنين بحدٍّ أقصى إلى غير ذلك من الوسائل مما تحمله إليك حروفُ هذه المقالة.

فما قصة هذه الحرب؟ ولماذا؟ وهل نحن مستهدفون أم نحن في عافيةٍ من ذلك؟ وما علاقة ذلك بما يتردد الآن ذكره عن التغيرات المناخية وارتفاع حرارة الكوكب؟

في هذه المقالة جوابٌ مقتضبٌ عن ذلك، وأصارحُ القارئ منذ البداية أنَّ هذه المقالةَ متعبةٌ للنفس، لكنها تُبصِّرُ بإحدى جبهات الحرب التي لم تأخذ حظَّها من النكير الإسلامي، ولا بد للشعوب المستهدفة كافة أن تكون منها على وعيٍ وبالٍ ومدافعة.



ومتى وعيتها فينبغي أن تأخذ بدورك إزاءها من بث الوعي؛ فإنَّ مجردَ استفاضةِ الأمر في الناس قد يعصم الله به بلادًا بأكملها، والله هو الموفق والمستعان وحده.

ولنبدأ القصة من البداية:

ترجع القصةُ لما صار عليه الغربُ من القولِ بالمشكلةِ الاقتصادية والتي تُلقَّب بمشكلة الندرة، وذلك في ظل الجذور الفكرية التي شكَّلت ثقافتهم وعقليتهم من مثل الرأسمالية والعلمانية والليبرالية.

وتتلخص المشكلةُ الاقتصاديَّةُ في نظرهم في أنَّ المجتمعات البشرية على اختلاف أنواعها ودرجة تقدمها تواجه حقيقةً مؤداها: أنَّ الحاجات التي تنزل بها تفوق الموارد المتوفرة بين أيديها، بمعنى أنَّ الحاجات غير المحدودة تصطدم مع الموارد المحدودة، وهذا هو معنى الندرة.

ويقولون: إنَّ المواردَ المتاحةَ لدى أي مجتمعٍ لا تكفي احتياجاته حتى لو تم استخدام الموارد استخدامًا صحيحًا كاملًا على أحسن وجه.



ويرون أنَّ أحد صور تصحيح الطبيعة لنفسها ما يحصل من زلازل وبراكين وكوارث طبيعية، فهذه من شأنها أن تعيد التوازن المطلوب.

وفي نفس الاتجاه ما يعرض للبشر من حروبٍ ومجاعاتٍ ونحوها.

وبناءً على هذا الاعتقاد الاقتصادي فقد وُجِدت الأرضيةُ الفكريَّةُ عندهم التي تقرر العمل على إنقاص عدد البشر وتقليل السكان بكل وسيلةٍ ممكنةٍ من مثل الإجهاض ورفع سن الزواج وتحديد النسل وغير ذلك مما سيأتي.

وهذا بخلاف الحال عندنا في التصور الإسلامي؛ فنحن نؤمن أنَّ الله تعالى خلق الكون، وقَدَّرَ في الأرض أقواتَها، وكل شخصٍ يكتب له رزقه وأجله حين يكون ببطن أمه قبل أن يُولد، والله سبحانه بيده خزائن السماوات والأرض، وكما أنَّه سبحانه المتفرد بالخلق فإنه المتفرد بالرزق.

وقد يُبتلى قومٌ بمجاعةٍ في ناحيةٍ ما، لكن هذا لا يعم الزمان ولا المكان، فيُعانُ هؤلاء من إخوانهم من حولهم بما يسد حاجتهم، ولهذا لن يموت إنسانٌ لأن الرزق في الأرض لا يكفيه.

فالكون في التصور الإسلامي في توازن، أما ما يحصل في الأرض بعد ذلك من كوارث وظواهر تفتك بالبشر فإنَّه راجعٌ لفساد البشر كما قال سبحانه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

خذ مثالًا على ذلك بالكارثة الأكبر التي يتردد ذكرها الآن، وهي التغيرات المناخية وارتفاع درجة حرارة الأرض، وما ينتج عن ذلك من فيضانات وأعاصير وحرائق ومجاعات وهجرة وغرق لكثيرٍ من الدول والمدن الكبرى إلى غير ذلك من كوارث تهدد استقرار ٧٠% من البشر.

وسبب ذلك: تلك الانبعاثات المتولدة من الغازات الدفيئة التي تصعد من الأرض بكميات هائلةٍ جهة الغلاف الجوي بما يتسبب في الاحتباس الحراري.

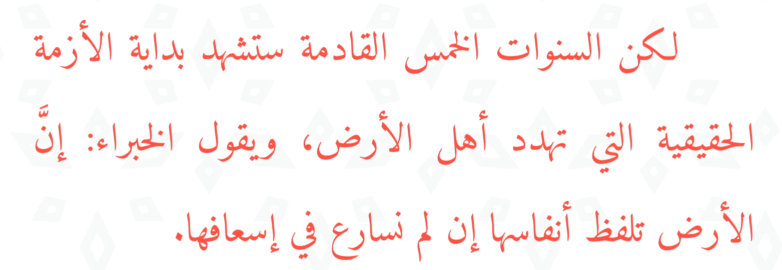
والاحتباس الحراري هو ظاهرةٌ بيئيةٌ تضمن حياة الإنسان والكائنات الحية من خلال حماية الطاقة الحرارية المنبعثة من الشمس وحفظها من الضياع، وبدونها يمكن أن تنخفض الحرارة لما تحت الصفر وبهذا تهدد حياة الكائنات.



وتكمن المشكلة اليوم في أن كمية الانبعاثات من الغازات الدفيئة من مثل غاز ثاني أكسيد الكربون والميثان وغير ذلك كميةٌ هائلة، فينتج عن ذلك اختلالٌ في توازن ظاهرة الاحتباس الحراري، وتتحول إلى مشكلةٍ حقيقية تنذر البشر بطقس جهنمي كما يقولون.

والكوارث الناتجة عن التغيرات المناخية تتسلسل تسلسلًا يفتك بكثيرٍ من البشر؛ فحين ترتفع درجة الحرارة تذوب المحيطات الجليدية في القطبين، فيزيد مستوى البحر ودرجة حرارته ودرجة الحموضة في المحيطات، وهذا يؤدي لفيضانات، وهذه الفيضانات تُغرِق عددًا من المدن وتهلك المحاصيل الزراعية فيتسبب ذلك في هجرة الناس ونزول المجاعات بهم.

وقد بدأت كثيرٌ من الكوارث تحصل بشكلٍ جزئيٍّ حتى إن المنظمة العالمية للأرصاد الجوية أفادت أن ١٢ ألف كارثة حصلت خلال الخمسين سنة الماضية، وقد أودت هذه الحوادث المتفرقة بحياة ٢ مليون شخص، وخسائر تزيد قيمتها عن ٤٠٣ تريليون دولار[1].


لكن السنوات الخمس القادمة ستشهد بداية الأزمة الحقيقية التي تهدد أهل الأرض، ويقول الخبراء: إنَّ الأرض تلفظ أنفاسها إن لم نسارع في إسعافها.



وسببُ الكارثةِ واضحٌ، وحلها واضح لكنه فساد البشر.

أما السبب.. فهو زيادة الانبعاثات الحرارية المتولدة من الغازات الدفيئة.

وأما العلاج.. فيكمن في التزام الدول الصناعية الكبرى بمخرجات مؤتمرات المناخ المتكررة؛ إذ إن نسبة الانبعاثات منها تبلغ ٨٠ %؛ فالصين ينبعث منها ٣٠ %، والولايات المتحدة ينبعث منها ١٥ %، والمجموعة الأوروبية ينبعث منها ١٠ %.

---

١ انظر حلقة "مخاطر التغيرات المناخية وانعكاساتها" ضمن برنامج "سيناريوهات على قناة الجزيرة.



ومن الحلول: ترشيد استعمال الطاقة، وزيادة الغابات إذ إنها بمثابة أحواض كربونية طبيعية، والتقليل من استخدام الوقود الأحفوري؛ كالغاز والفحم والنفط، واستخدام الطاقة النظيفة البديلة مثل الطاقة الشمسية والطاقة الكهرمائية وهي التي تتولد من السدود، والطاقة النووية، والطاقة الحرارية الجوفية وطاقة الرياح والطاقة المستفادة من البحار والمحيطات وقت المد والجزر.

والوقود الأحفوري يفاقم المشكلة جدًّا، وهو الوقود المستعمل في تشغيل المصانع والمطابخ ومحطات الطاقة الكهربائية وتحريك وسائل المواصلات وأضراب ذلك.

والإشكالية فيه أنه موردٌ غير متجدد، وأنه مُلَوِّثٌ للبيئة، وحياتنا قد ارتبطت به؛ إذ إن ٨٥% من الطاقة مستفادٌ منه، لكننا أمام تبعاته الكارثية لا بد من تقليل استخدامه والاتجاه للوسائل البديلة.

ومكمن الخطر: أن قادة الدول الكبرى إذا لم يفوا بتعهداتهم التي أبرموها في اتفاق باريس سنة ٢٠١٥ فإننا قد ندخل في المرحلة الكارثية التي لا عودة بعدها؛ إذ إنَّ الانبعاثات إذا زادت في الغلاف الجوي فلن يوقف الكارثة توقف البشر عن الفساد.

وما زالت الفجوة كبيرة بين تعهدات الدول الكبرى وبين التطبيق العملي.

وبلغةٍ أوضح: إنَّ العالمَ مصابٌ بقياداتٍ عالميةٍ تُفسِدُ في الأرض أشدَّ الفساد، تلوث البيئة والماء والتربة والهواء.

إنهم يستعملون البيئة كوسيلةٍ انتفاعيةٍ يحققون بها مصالحهم الآنية التي تهمهم هم دون اكتراثٍ قط بغيرهم من سكان العالم، بل ودون اكتراث بالأجيال القادمة التي تأتي من ذراريهم هم.

وهذه إحدى إفرازات العقلية الرأسمالية التي تقوم على النفعية واللذة؛ فالنفع المادي في هذا الفكر غاية، ولا عبرة بما ينتج عن ذلك من أنانيةٍ واحتكارٍ وأثرة.

أما النفع المادي في التصور الإسلامي فإنه وإن كان معتبرًا أشد الاعتبار إلا أنه وسيلةٌ لعمارة الأرض وتهيئتها للعيش الإنساني، ولهذا تجد التكافل الاجتماعي ركنًا من أركان الاقتصاد الإسلامي بما يتضمنه من زكاةٍ ووقفٍ وصدقةٍ وغير ذلك، ومن ثم فإنَّ المنافسةَ والأنانيَّةَ والاحتكارَ أمورٌ تحول إلى تفاهمٍ وتعاونٍ بين الناس من أجل إعمار الأرض واستثمار ثرواتها على أحسن الوجوه لصالح البشرية كلها.



وإذا وعيت هذا المثال والعقلية التي عليها القوم.. علمت الفارقَ الهائلَ في النظرِ للسكان بين التصور الإسلامي والتصور الغربي.

فإذا كان الغرب يعمل على إنقاص البشر لإيمانه بالمشكلة الاقتصادية مشكلةِ الندرة، ومن ثم لا ينتفض لحل مشكلة التغيرات المناخية وإيقاف الفساد في الأرض عبر إيقاف تلويث

البيئة ومنع موجبات الكارثة.. فإنَّ الإسلامَ كما يُقرِّرُ عقيدةَ الأجل فإنه يقرر عقيدة الرزق، وليس من بأسٍ في التصور الإسلامي من زيادة أعداد البشر، بل إنَّ هذا أمرٌ مطلوبٌ شرعًا.



روى أبو داوود في سننه من حديث مَعقِل بن يسار أنَّ النبي قال: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ»[٢].

وفي المُصنف عند عبد الرزاق أنَّ النبيَّ قال: «تَنَاكحوا تكثروا، فَإِنِّي أُبَاهِي بكم الأممَ يومَ القيامة»[٣].

وهذا ما يتَّبعه أيُّ بلدٍ يريد أن ينهض، وذلك أنَّ عددَ السكان في أي بلد يُعَدُّ من أهم موازين القوة فيه؛ لأنه يُمثِّل رافدًا قويًّا يزيد من قوة البلد وبرامجه الدفاعية وكفاءته الإنتاجية ووفرة الأيدي العاملة وإشغال المناطق غير المأهولة فيه، بالإضافة إلى نشاط حركة العمران والتجارة والنهضة والثقافة فيه، وبقاء الغلبة للجيل الشبابي بما يتضمنه ذلك من حماسةٍ وفاعليةٍ وحيوية، فالنمو السكاني لا يمثل عبئًا متى أُحسِنَت إدارةُ العدد.

فالصين التي يزيد عدد سكانها عن مليار و ٤٠٠ مليون نسمة كان من أهم أسباب تقدمها المتسارع تلك الطاقة الإنتاجية المدهشة، حتى قالوا: إنَّ كل بيت تحول لورشةٍ أو مصنع.

---

٢ سنن أبي داود، رقم الحديث: (٢٠٥٢). وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

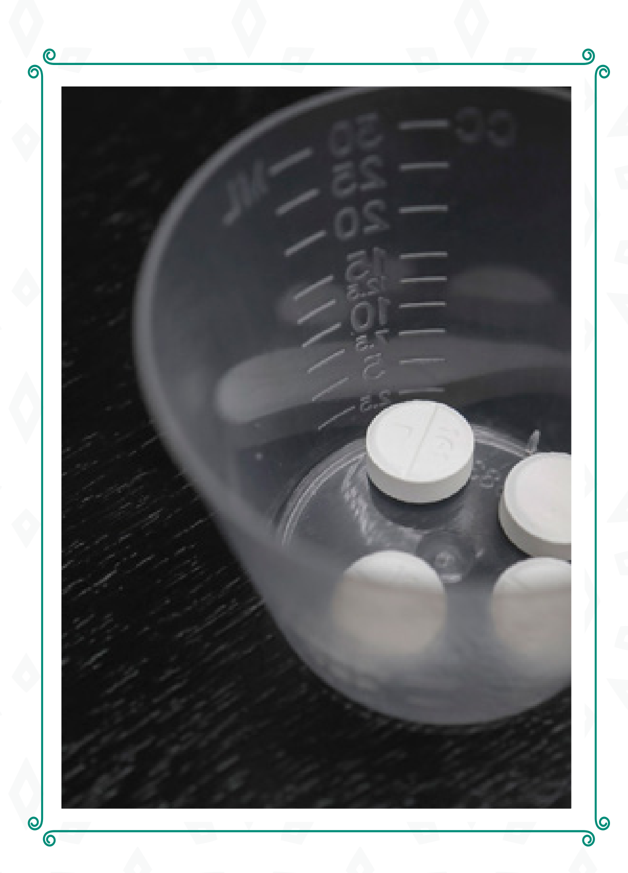
٣ مصنف عبد الرزاق، رقم الحديث: (١٠٣٩١).

ولهذا السبب نرى تركيا تُشَجّعُ على تكثير النسل من وقتٍ لآخر، وفي بلدنا غزة كانت الكثافة السكانية من أهم المعيقات أمام تقدم الصهاينة في الحروب والاجتياحات، وعندنا قام العدو الصهيوني بحصار بيروت سنة ١٩٨٢ لم يستطع الاستمرار طويلًا بسبب كثافة السكان في المخيمات، بينما نراه يحتل صحراء سيناء في بضعة أيام سنة ١٩٦٧م.

وثمة أمرٌ آخر غير المشكلة الاقتصادية مشكلة الندرة يدفع الولايات المتحدة للعمل على إنقاص البشر مفاده أنَّ الولايات المتحدة ترى في النمو السكاني في العالم خطرًا استراتيجيًّا على مصالحها.

ووجه ذلك: أنَّهم خلصوا من خلال الدراسات والتقارير إلى أنَّ إحدى وسائل بقاء السيطرة على العالم التحكم في عدد السكان، فضلًا عما يشكله النمو السكاني من خطرٍ عليهم؛ إذ إنَّه يزيد من فرص الثورات على الأنظمة الوظيفية التي تعمل في تلبية الأجندة الأمريكية ويشغب على أمنها ويهدد مصالحها.

من هنا توجه صُنَّاعُ القرارِ في الولايات المتحدة للحد من النمو السكاني بكلِّ سبيلٍ ممكن، وابتكروا من الوسائل ما أحسب أنَّ بعضه لا يخطر ببال شياطين الجن، وذلك مثل:



- التمكين من الإجهاض.
- استعمال موانع الحمل.
- تبني أفكار الحركة النسوية وما تفضي إليه من المثلية والشذوذ، والذي يؤدي لقلة الإنجاب كما هو ظاهر.

- الدعوات المتكررة لرفع سن زواج الفتيات.
- التحريض المستمر على تنظيم النسل أو تحديده بطفلٍ واحد.
- تعقيم النساء؛ أي جعلهن عاقرات لا يلدان أبدًا.

فقد عُثِر على مذكرةٍ رئاسيةٍ أعدها «هنري كيسنجر» ثعلب السياسة الأمريكية حين كان مستشارًا للأمن القومي بطلب من الرئيس «جيرالد فورد» فيها مشروعُ العملِ على تعقير ربع نساء العالم القادرات على الحمل يومئذٍ والبالغ عددهن ٥٧٠ مليون امرأة، وذلك على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تعقير ١٤ مليون داخل الولايات المتحدة ما بين تعقيم للنساء وإخصاءٍ للرجال.

والمرحلة الثانية: تعقير ١٤٢ مليون امرأة موزعات على ١٣ دولة.

والمرحلة الثالثة: تكمل بقية العدد.

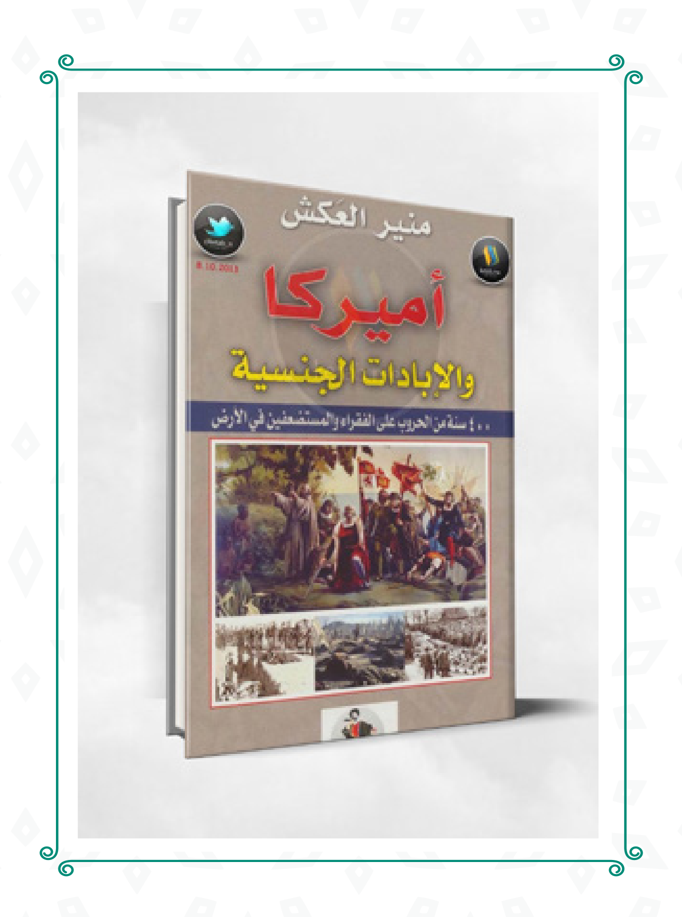
والموضوع بالنسبة لصانع القرار الأمريكي ذو أهميةٍ وخطر؛ فقد كشف الدكتور «رايمرت رافنهولت» مدير مكتب الحكومة الاتحادية للسكان أنَّ الحكومة الأمريكية دربت نخبةً من الأطباء على تقنيات التعقيم المتطورة في كلية الطب التابعة لجامعة واشنطن بعد أن رصدت الميزانية اللازمة لذلك، والتي تبلغ ٢.٥ مليار دولار، واشتركت جامعة جونز هوبكينز في برنامجٍ رديفٍ يتعلق بذات الغرض[٤].

وبدأ التنفيذ بعيدًا عن الأضواء، وتم تنفيذ المرحلة الأولى بتعقير ١٤ مليون ما بين تعقيمٍ للنساء وإخصاءٍ للرجال داخل الولايات المتحدة نفسها.

---

٤ أميركا والإبادات الجنسية لمنير العَكْش ص (٤٣-٤٤).

ولم يكتشف الكثيرون لغز التعقيم إلا بعد سنواتٍ طويلةٍ حين أماط الكاتب والمنتج السينمائي «ستيفن ترومبلي» اللثام عن الكارثة من خلال فيلم وثائقي بعنوان: «مِصَح لينشبيرغ»، هذا المصح التابع لولاية فرجينيا الذي كان أشبه بمسلخ جنسي يضم الآلاف من المغضوب على نسلهم وذراريهم[5].



أما المرحلة الثانية فقد استهدفت النساء في ١٣ دولة منها البرازيل ومصر، وتم تعقيم نصف نساء البرازيل في تلك المدة.

وأمام الاحتجاجات الواسعة الشعبية وانتقادات جمعيات حقوق الإنسان أجرى ١٦٥ نائبًا في المجلس التشريعي البرازيلي تحقيقًا أدانوا فيه الولايات المتحدة وأنها المسؤولة عن هذه الجريمة البشعة[6].

وما زالت المجزرة تحصل في مصر ولكن بعيدًا عن الأعين، خاصة في ظل حُكْم عبد الفتاح السيسي؛ فقد خرجت عدة إشارات إخبارية تفيد بأنَّ عددًا من المستشفيات تقوم بتعقيم النساء عقب عمليات الولادة خاصة القيصرية، حتى تراجع عدد الزيادة في المواليد بنسبة ٣٦ % خلال السنوات السبع الأخيرة في جريمةٍ بشعةٍ بحق الشعب المصري والعياذ بالله تعالى.

---

٥ أميركا والإبادات الجنسية لمنير العَكْش ص (١٨-٢٠).
٦ أميركا والإبادات الجنسية لمنير العَكْش ص (٤٨-٤٩).

أما إذا سألت عن كيفية التعقيم.. فإنه يتم من خلال طريقتين:

- **الأولى:** يتم تعقيم المرأة عقب عملية الولادة، ويُطلب منها أن تُوقع على إجراء عمليةٍ جراحية ويقولون لها: إنها عمليةٌ مهمةٌ في صالح صحتها، فتُوَقّع تحت حالة الضعف التي تعاني منها وهي تعاني آثار شدة الوضع، ولا تدري ما الخطب، وليس أمامها إلا الأطباء أصحاب الملابس البيضاء والتي تختبئ خلفها قلوبٌ سوداء.



وفي حالاتٍ كثيرةٍ كانت النساء تُجبر على التعقيم، وكثرت حالات الطلاق نتيجة ذلك، وسيق من سيق منهم إلى المصحات العقلية، وهذا موضوعٌ طويلٌ عريضٌ بسطت القول فيه في كتاب: «سبائك الشيطان» يسَّر الله صدوره عن قريب.

- **الثانية:** من خلال المساعدات الإغاثية التي تحتوي على عقاقير تمنع الإنجاب، فيتم إرسالها للمناطق المنكوبة في العالم على شكل أكياس من الطحين والأرز والسكر، وذلك تحت مظلة «الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية» التي ترى شعارها الودي فيه اليدان المتصافحتان مع عبارة: «هدية من الشعب الأمريكي الصديق»[٧].

---

٧ أميركا والإبادات الجنسية لمنير العَكْش ص (٤٧).



وهذا كله فرع عن العقلية الأمريكية التي ترى أن أفضل طريقة للقضاء على الفقر ليست هي في زيادة الإنتاج ومشاريع الاستثمار، وإنما هي في القضاء على الفقراء أنفسهم، واستئصال الأرحام التي قد تحملهم!

وفي نفس الاتجاه قال «مرغريت سانغر» أحد نجوم الداروينية الاجتماعية في أمريكا: «إنَّ أرحم ما تفعله الأسرة الكبيرة لواحدٍ من أطفالها أن تقتله»![8].

إنها -يا أخي- حربٌ حقيقيةٌ على الفقراء والمستضعفين، حربٌ لم يخضها جيش، ولم يطلق فيها رصاص؛ بل كانت حرب القفازات النعامة في أيدي الجراحين وفقهاء القانون وأساتذة الجامعات ورجال السياسة.

وقد حضرت فيلمًا وثائقيًّا يتناول ظاهرة «تراجع أعداد النساء في آسيا» يقف على طرفٍ من المشاهد الميدانية لهذه الجرائم، ويعقد مقابلات مع النساء أنفسهن، ويريك حقيقة العالم المتوحش كيف يتصرف حين يغيب عن الدنيا سلطانُ الإسلام، بما يؤذن بشدة حاجة العالم للفتوحات الإسلامية أن تنبعث من جديد لتؤدب المجرمين والطغاة في الأرض.

وبعد الإحالة على الفيلم[9] فإني أذكر نُتفًا مما جاء فيه في نقاطٍ كما يلي:

---

٨ أميركا والإبادات الجنسية لمنير العَكْش ص (٢٣).

٩ منشور على اليوتيوب، وربما حُذِف، وهو بعنوان: «تراجع أعداد النساء في آسيا» وتبلغ مدته ٢٤ دقيقة، على أنَّ فيه ما يستوجب غض البصر.

١ تم إنشاء «صندوق السكان» التابع للأمم المتحدة لغرض تقليل السكان، لكنه يُظهِرُ نفسَه كقناةٍ محايدة.

٢ المساعدات الإغاثية التي يقوم بها الرؤساء الأمريكان يشترطون في مقابلها شروطًا منها: تعهد الدول المستفيدة بالحدِّ من النموِّ السكاني ضمن إجراءات محددة.

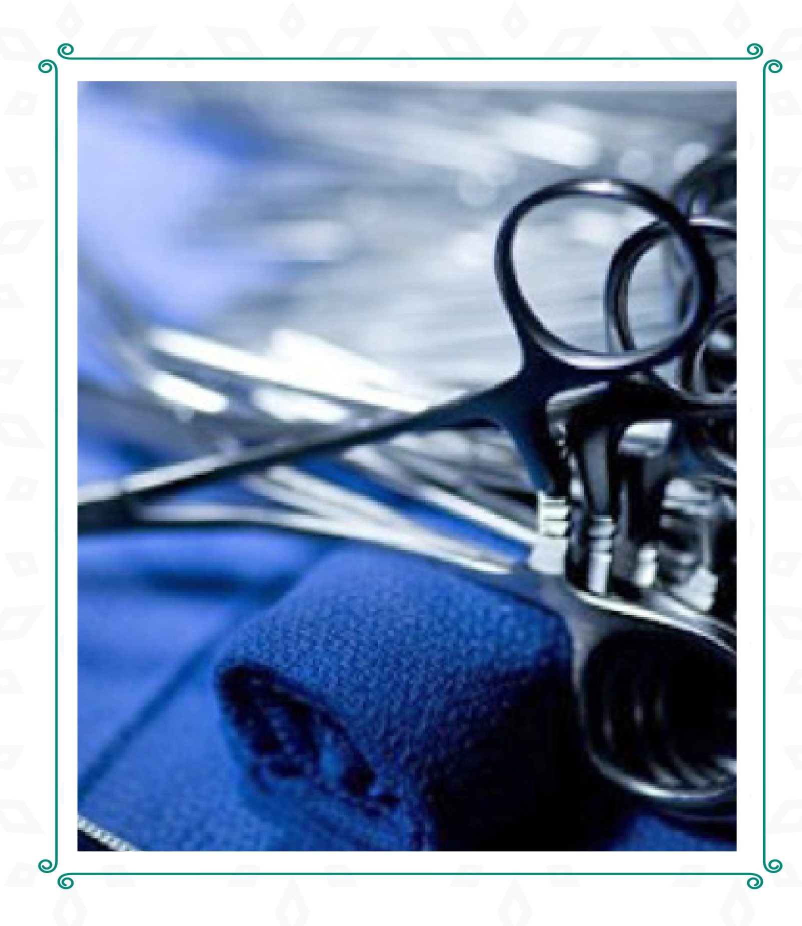
٣ المناطق التي حاربت النمو السكاني قلت فيها أعداد الفتيات إلى الحد الذي صار الرجال معه لا يجدون فتيات للزواج، وصارت الفتيات يُستوردن من بلادٍ أخرى لأجل ذلك.



٤ أظهر الفيلم ظاهرة خطف الفتيات وهن صغار من أجل تربيتهن لسن الزواج لضخامة تكاليف الزواج، وإذا لم يرغب الشاب ابن العائلة الخاطفة في البنت المخطوفة حين تكبر فإنها تباع، ويعيش الأهالي جحيم البحث عن البنت سنين عددًا، ولاتساع الظاهرة وُجدت مكاتب متخصصة في البحث عن الفتيات المخطوفات.

٥ حين تتولى الحكومات الدعوة إلى الإجهاض والتشجيع عليه تظن النساء لسذاجتهن أنَّ هذا صواب؛ فلا يظن العامي عادةً أن سياسييه وكبراءه مجرمون خونة.

٦ هذه السياسات نشطت من خمسينيات القرن الماضي.



٧ كشف الفيلم عن عياداتٍ متنقلةٍ في مناطق كوبا يتولاها جيوشٌ من المتطوعين في اللجان الصحية هي التي تقوم بمباشرة عمليات الحد من النمو السكاني كالتعقيم وغيره.

٨ تم إغراء النساء بالمال من أجل التعقيم في بعض المناطق.

٩ يتم التعقيم في ظروفٍ سيئةٍ للغاية، ويقول أحد الأطباء: إنها أسوأ من الظروف التي كنا نجريها في التجارب على القرود.

١٠ تم في الهند وحدها تعقيمُ ثمانيةِ ملايين امرأة خلال سنتين فقط.

١١ تم استحداث فكرة اللولب لمنع الحمل، وكان كثيرًا ما تكون اللوالب غير معقمة مما يؤدي ذلك لنتائج وخيمة وأحيانًا قاتلة.

١٢ يتم استثمار تفضيل الذكور على الإناث في الحد من السكان، ووجه ذلك: أنهم تمكنوا في السبعينيات من القدرة على تحديد جنس المولود قبل الولادة من خلال أخذ عيِّنة من المشيمة، وكل مولود أنثى يتم إجهاضه، وهذا يقلل المواليد على المدى البعيد، وربما لجأت الأسرة لإجهاض الذكر إذا زهدت فيه لكثرة الأولاد الذكور.

تقول إحدى النساء الحوامل: حين كنت أُعْرَضُ على الطبيب كانت هناك كلمة سر بينهم علمت فيما بعد أنها إشارة إلى أن الجنين إذا كان أنثى فإنه يقتل، فكنت أحقن بإبرة وحين أستيقظ لا أجد حملًا، وتكرر هذا معي ستَّ مرات، لقد ماتت الأنثى التي في بطني، لكنني كنت أموت أنا معها من الداخل.

١٣ الإجهاض في التصور الغربي وسيلة مركزية لا يمكن الاستغناء عنها بحال، ولهذا تعد أساسًا في الفكر النسوي الذي يتكئ عليه الساسة في الغرب تحت شعارات حقوق المرأة.

١٤ الغرب هو الذي يتكفل بنفقات التعقيم، بل ويمنح جوائز كبيرة للمسؤولين الذين يتولون ذلك ويشرفون على إجراءات الحد من النمو السكاني.

١٥ يتم الترويج بأن سياسة الولد الواحد هي الحل لمحاربة ظاهرة الفقر، ولهذا لا يسمحون في بعض البلاد للمرأة أن تنجب ولدًا ثانيًا أبدًا، ومن تنجب فإنها تتعرض للعقوبة الشديدة، ولا بد من إجهاضه، فالسياسة العامة لمحاربة الفقر تكمن في محاربة الفقراء أنفسهم والعمل على عدم وجودهم.

١٦ يوجد في الصين ٣٠ مليون رجلًا عازبًا لعدم وجود فتيات.

١٧ هناك ١٩ دولة تحارب النسل في آسيا.

١٨ كان القانون المتبع في الصين اعتماد سياسة الطفل الواحد، ثم أقرت الحكومة الصينية الطفلين في محاولة للحد من شيخوخة المجتمع.



١٩ بعض البلاد بدأت تستدرك على نفسها حين رأت الويلات من سياسة محاربة السكان، حتى بلغ الحال ببعضها إلى حد التحريض على الإنجاب على جدران الشوارع، ومن العبارات التي تُكتب: «عدم وجود فتيات يعني عدم وجود زوجات»، وصاروا يقدمون مكافأة ماليةً لكل امرأة تلد أنثى.

هذا غيضٌ من فيض، ولعلك تدرك معه سر حرص المؤسسات النسوية على فتح الباب لكل ما من شأنه أن يقلل النمو السكاني من مثل الإجهاض والتشجيع على منع الحمل وإقرار المثلية ورفع سن الفتيات في الزواج وغير ذلك.



وهنا لا بد من الختام بكلمة:

إن الغرب من أجل مطامعه الامبريالية التوسعية وقناعاته الاقتصادية لا بأس عنده بقتل ملايين البشر، ويتخذ في ذلك كل سبيلٍ ممكن تحت غطاء زخرف القول وما تتوهمه الشعوب أنه في خدمتها، ويستحيل أن تعلو حضارةٌ تُبنَى على الفحشاءِ والمنكر والزور.

إنَّ هذا السلوكَ الإجراميَّ من إفرازات الرأسمالية القائمة على النفعية واللذة والفردانية، وفي نفس الاتجاه الربا الذي جعلوه دينًا، والذي يجعل الثروة تتكدس في يد القلة، ثم يعمل بقية البشر لصالح هذه القلة.

إنَّ هذا وغيره يحمل على طرح السؤال المُلح: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»؟ والذي وفق الله أبا الحسن الندوي إذ جعله عنوانًا لكتابه.



إنَّ الإسلام يدعو للاستكثار من النسل، ويطمئن الناس في أمر الرزق كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١].

وإلى جانب ذلك أمرت الشريعة بالتكافل وحثت على الصدقة والقرض وإنظار المعسر وأوجبت على السلطان أن يقوم بدنيا الناس، وجعلت أحد أركان الإسلام ركنًا اجتماعيًّا هو الزكاة ليقوم بحوائج الناس من الفقراء والمساكين والغارمين وأبناء السبيل، بل تجاوز الأمر للمؤلفة قلوبهم.

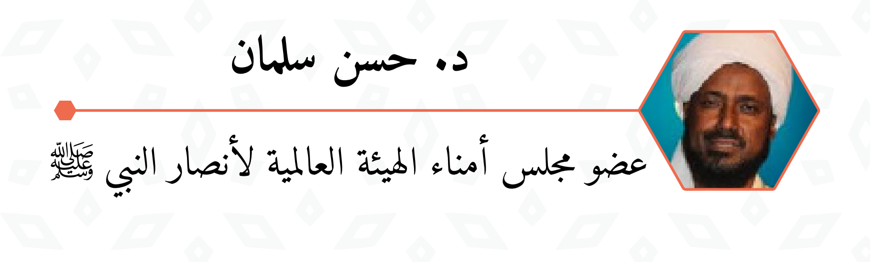
ولهذا لا نجاة للبشرية إلا بالإسلام، ولا راحة لها ولا حلول لأزماتها إلا بالإسلام.

بل أقول: إن أسوأ حكم للإسلاميين يعد فردوسًا مع هذا الظلام الغربي الدامس، الذي يفتك بالبشر بينما يُظهر نفسه على الشاشة في أحلى حلة وألطف قول حتى لكأنه من ملائكة الرحمة بينما هو من شياطين الإنس وأكابر مجرميهم.

إن الفرق بين الإسلام والكفر كالفرق بين النور والظلام والظل والحرور والهداية والغواية والملائكة والشياطين.

والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الفساد البيئي بين منظورين



د. حسن سلمان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله الأمين أما بعد:

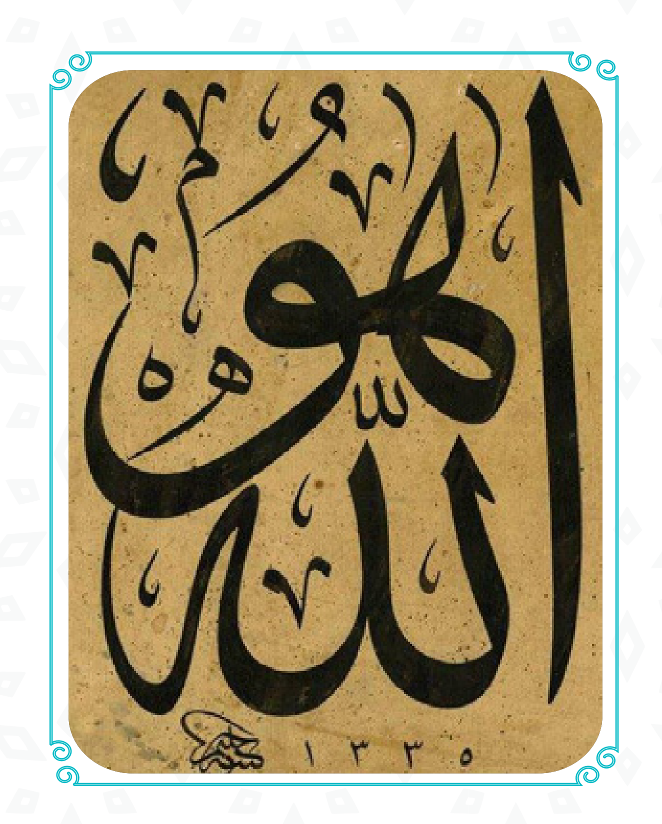
من القضايا الكبرى التي تشغل البشرية في العقود الأخيرة قضية البيئة وتلوثها وفسادها، وما يترتب على ذلك من مشكلات تؤثر في الحياة الإنسانية وسلامتها واستقرارها وتطورها وتحقيق الحياة الطيبة في هذه المعمورة.

وتشير كافة الدراسات البيئية بأن العوامل الإنسانية هي الأساس في فساد البيئة وتلوثها، وهو ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقضية صلاح البيئة وفسادها له علاقة مباشرة بالتصورات والمفاهيم التي يحملها الإنسان؛ لأن تصرفات الإنسان وسلوكه تابع لتصوره ولرؤيته لنفسه وللكون والطبيعة من حوله، وكذلك لمدى إيمانه بوجود سلطة عليا تملي عليه مواقف وتصرفات معينة، سواء كانت هذه السلطة في عالم الغيب أو الشهادة، وبالتالي فإن ما تقوم به الدول والمؤسسات الدولية من معالجات حول البيئة كلها معالجات مؤقتة ومسكنات لا تتناول جذور الأزمة ودوافعها؛ بل هي حالة توهان في التفاصيل والأعراض بعيداً عن الغوص في الأعماق التي تقف على التصورات والمفاهيم المحركة والدافعة للسلوك البشري المنتج للفساد في الأرض.

حقيقة الخلق في المنظور الإسلامي

الكون والإنسان وكل ما في الوجود سوى الله؛ ما هو إلا أثر من أثار أسماء الله وصفاته وأفعاله، ولازم الإظهار الكوني لتلك الأسماء والصفات، يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى: «إن قدر الله هو الذي تنشأ به الأحداث، كما أنه هو الذي تنشأ به الأشياء، وأن مشيئة الله هي التي تصرّف أمر الناس كله في هذه الحياة، وأن الحقيقة الإلهية لتتجلى بآثارها في الحياة الإنسانية جملةً وتفصيلاً»[1].



١ مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، ص٢٢٣.

وعن طبيعة العلاقة بين الحق سبحانه وهذا الكون، يقول سيد رحمه الله: «إن الله سبحانه خالق هذا الكون وما فيه ومن فيه، أنشأه إنشاءً بعد أن لم يكن، كما أنه سبحانه هو الذي أنشأ الحياة والأحياء، وبثها في الموات، وهو الذي يغير ويبدل ويطور ويعدل في الكائنات وفي الأحياء، وهو الذي يمسك ويحفظ هذا الكون، ويرزق ويكفل ما فيه من الأحياء، ويدبر الأمر كله بمشيئته الطليقة من وراء السنن الثابتة، وهو الذي يميت ويهلك، كما أنه هو الذي يحي ويبعث كما يشاء»[٢].



ويستشهد بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١-٢].



والخلق قسمان: **الخلق المكلف، والخلق المسخر،** أما المسخر فيندرج تحت قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

---

٢ مقومات التصور الإسلامي، ص٢٤٧-٢٤٨.

وهذا الخلق المسخر من أرض وسماء وما فيهما وما بينهما؛ إنما مقصوده تحقيق مصلحة الإنسان وسعادته، حتى يؤدى عبادة الله، ويقوم بما كلفه ربه من تكاليف، كما أن هذا الخلق المسخر يقوم بدور الدلالة على خالقه ومدبره ومسخره جلَّ وعلا، ولما كان الإنسان هو محور الخلق المكلف في التصور الإسلامي لأنه أبرز المكلفين عبادةً واستخلافاً وعمراناً، لقوله تعالى:

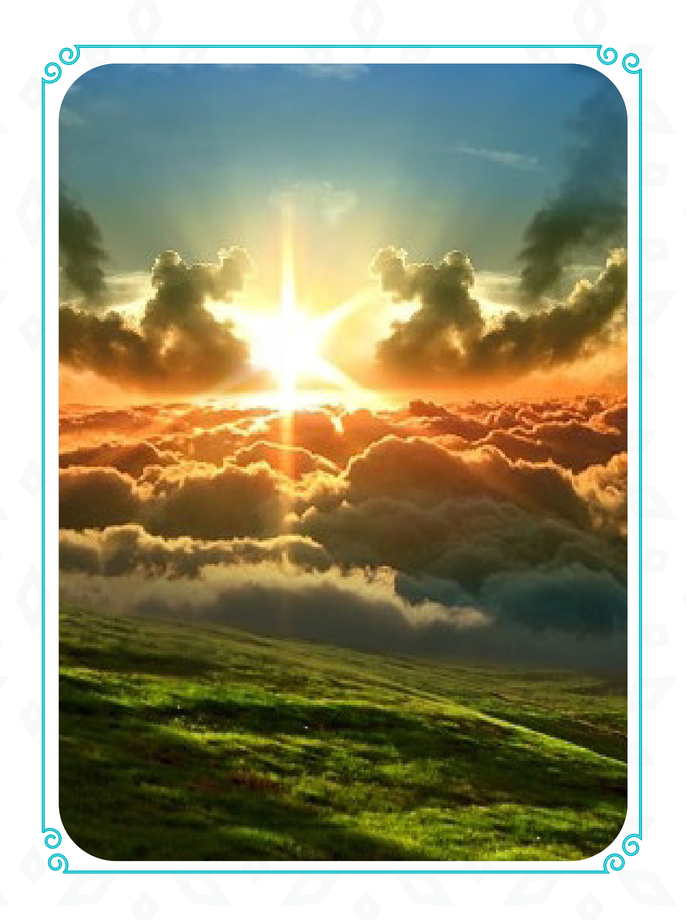
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]. وقوله جل جلاله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

فالإنسان في التصور الإسلامي كائن مكرم عند الله، ذو مركز عظيم في تصميم الوجود، وهو كائن يتعامل مع الكون بقوانينه وسننه بما أوتي من علم، وهو مستعد بحسب تكوينه الذاتي لأن يرتفع إلى أرقى من آفاق الملائكة المقربين، أو ينحط إلى أدنى دركات الحيوان البهيم.



وأفراد هذا الجنس متساوون ابتداءً في عبوديتهم لله، ومبتلون في هذه الأرض بالحياة والموت، والخير والشر، والسراء والضراء، والإنسان ذو فاعلية إيجابية في مصيره كله في إطار المشيئة الإلهية، وهو مخلوق خاص ذو كيان متميز، تميزه في أزواج عناصر تكوينه، مستخلف في الأرض، مزود بخصائص الخلافة، وأهم هذه الخصائص الاستعداد للمعرفة النامية المتجددة.

وهو مجهز لاستقبال المؤثرات الكونية، والانفعال بها، والاستجابة لها، ومن مجموع انفعالاته واستجاباته يتألف نشاطه الحركي للتعمير والتغيير والتعديل والتحليل والتركيب والتطوير في مادة هذا الكون، وطاقته للنهوض بوظيفة الخلافة، والإنسان في هذه الخلافة على ذلك المستوى وفي هذه الحدود يتعامل مع الوجود كله، ومع خالق الوجود ابتداءً[٣].



والخلق المسخر إنما تسخيره تسخير عبادة وتسخير منفعة، وذلك لأنه لا يشذ عن عبادة الله مثقال ذرة في هذا الكون، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].



وإن عبادة الخلق المسخر اضطرارية، كما أن عبادة الخلق المكلف اختيارية شرعية، أو كونية

---

٣ انظر: معالم المنهج الإسلامي، ص٣٥-٣٨، الدكتور محمد عمارة.

قدرية، والخلق بقسميه المسخر والمكلف يفارق الخالق جل وعلا في خصائص تميزه، وصفات تدل على حقيقته وطبيعته، ونتناول بعض خصائص الخلق على النحو الآتي.



خصائص الخلق

لقد أعطى الله كل شيءٍ خلقه ثم هدى، فهو الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأهم خصائص الخلق هي:

١. سبق العدم ولحوق الفناء: إذ إن المخلوقات كلها حادثة، والحوادث مسبوقة بالعدم، وأما الحق سبحانه فإنه الموجود الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

٢. الفقر والحاجة: يعتبر الفقر والحاجة من أخص خصائص المخلوقات؛ فهي محتاجة في إيجادها وفي إمدادها، وأنها لا حول لها ولا قوة إلا بالله، وأن الله تعالى هو الغني عن المخلوقات كلها، قائم بنفسه، لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، يمد برحمته الخلائق كلها، ومنه تستمد الحياة، ومن نوره استنارت السموات والأرض، قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقد أخبر الله جل جلاله عن ضعف الإنسان وفقره وهو واقع مشاهد وملموس والضعيف دائم الحاجة، لازم الافتقار إلى غيره وحقيقة الافتقار للخلق كلهم هي لله الغني الحميد.

٣. العبودية والذل: يقول سيد قطب رحمه الله في حقيقة الألوهية والعبودية: «إن التصور الإسلامي يفصل فصلاً تاماً بين طبيعة الألوهية وطبيعة العبودية، وبين مقام الألوهية ومقام العبودية، وبين خصائص الألوهية وخصائص العبودية؛ فهما لا تماثلان ولا تتداخلان، كذلك يبين التصور الإسلامي بياناً حاسماً من هو الله صاحب الألوهية؟ ومن هم العبيد الذين تتمثل فيهم العبودية»[٤].

وكما سبقت الإشارة.. فإن عبودية الخلق منها ما هي عبودية تكليف، ومنها ما هي عبودية تسخير، فالسماوات والأرض، وعالم الأشياء، وكثير من عوالم الأحياء، عبوديتها تسخيرية، والإنسان والجان عبوديتهما تكليفية، ويدل على هذه العبودية في الإنسان أصل الفطرة السليمة، المذكورة في الحديث النبوي: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة»[٥]. رواه البخاري ومسلم. وعلى هذه الفطرة كان العهد والميثاق الأول مع الله تعالى كما نص عليه القرآن الكريم.

ومع هذه الصفات والمؤهلات الكافية في الإنسان، والمشتمل عليها في تركيبه الذاتي، إلا أنه تطرأ عليه موانع كثيرة، تجعل الفعل الإنساني يعتريه النقص والخلل، وتجعله في حاجة ماسة إلى عون الله ابتداء بالهداية والتوفيق، كما أنه محتاج إلى تعاون الخلق معه، ومؤازرتهم له، ومشاركتهم إياه، ومن هذه الموانع التي هي عوامل ضعف فيه على سبيل التمثيل؛ الجهل، والعجلة، والضعف، والنسيان، والغفلة، وغيرها مما نص عليه الكتاب العزيز.

---

٤ مقومات التصور الإسلامي، ص٨١.

٥ راجع: قدر الدعوة، رفاعي سرور، ص٤٧-٦٠، بتصرف.

٤. الزوجية المغايرة للوحدانية: تقوم حقيقة الألوهية في التصور الإسلامي على الوحدانية لا الزوجية والتعدد، وهذا على خلاف حقيقة الخلق فإنها تقوم على الزوجية والثنائية، تنوعاً وتقابلاً وتوازناً، فهناك الجمادات، والحيوانات المختلفة، والأشكال والمقادير والصفات، والمنافع المتباينة، وقد أرشد القرآن إلى ذلك في قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

وأما التقابل فنجده في حكمة الله في خلق المتضادات والمتقابلات؛ كالعلو والسفل، والطيب والخبيث، والحياة والموت، والداء والدواء، كل ذلك في توازن بديع، حتى لا يقع الاختلال والفساد؛ فظاهرة التوازن بين العدد والحجم والعمر ظاهرة كونية عامة».

وخلاصة القول: فإن حقيقة الألوهية تقوم على الخالقية والوحدانية والقيومية والغِنى، وتقوم حقيقة الخلق على الفقر والحاجة والزوجية، ولهذه الحقيقة دلالات عظيمة على التصورات والمفاهيم الإنسانية المؤثرة على السلوك البشري.



فالتصور الإسلامي للوجود ثلاثي الأبعاد:

- الله جل جلاله الخالق المعبود الذي له الخلق والأمر، وهو كلّي العلم والخير والحكمة.

- الإنسان المخلوق المكرم والمكلف والمستخلف بأمر الله وإرادته تحقيقاً للعبادة والعمران بعيداً عن الطغيان والاستكبار والتأله على الخلق، مهما بلغت قدراته المادية فهو عبد لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً، ونهاية المسيرة البشرية تنتهي إلى الله تعالى ليحاسب الناس على أعمالهم وتصرفاتهم، ثم يكون الجزاء الأوفى بالجنة أو النار.



- الكون الطبيعي المسخر الذي يجري بسنن الله الثابتة وناموسه الحتمي، تحقيقاً لمنفعة ومصالح الإنسان المكلف، والأرض مليئة بالخيرات الكافية لكل ما يحتاجه الناس، ومع الوفرة والكفاية فالناس مطالبون بالتوسط والاعتدال وعدم التبذير والإسراف والشعور بالمسؤولية الأخروية عن أفعالهم وتصرفاتهم تجاه الطبيعة.

فالله هو الخالق والرب والمالك لكل الوجود بما فيه وما فيه، والإنسان عبد مكلف ومستخلف في الأرض، يعمرها بأمر الله وهداياته وتشريعه، وأن الخروج عن ذلك خراب وفساد في الأرض، وأن الإنسان ليس في حالة صراع مع الطبيعة ليقهرها بل في تناغم واستفادة من منافعها التي سخرها الله تعالى له، شاكرا لله في ذلك على نعمائه وآلائه.

ولئن كان هذا هو منطق الإسلام وتصوره ورؤيته ومنظوره للوجود؛ فإن للجاهلية المعاصرة تصورها ورؤيتها ومنظورها المغاير، والذي يقوم ويتأسس على ثنائية الإنسان والطبيعة وتنحية الإله عن ساحة التأثير في

التصورات والتشريعات والحاكمية، حتى ولو تم الإقرار بالخالقية والربوبية ووجود قوة عليا فاعلة ومؤثرة في الوجود إلا أنه لا تتدخل في حياة الناس وتوجيههم، وبالتالي حل الإنسان محل الإله وجعل نفسه سيداً على الكون دون مرجعية عليا ومهيمنة، وجعل نفسه في صراع مع الطبيعة فكلما هيمن عليها وأخضعها شعر بنشوة التفوق والانتصار.

وصراعه غير محكوم بأخلاق تحمي الكون من تداعيات سلوكه الفاسد والملوث للبيئة؛ فهو في تبذير وإسراف لا حدود له؛ لأنه بلا رقابة يستشعرها من داخله أو خارجه لأنه (السيد المطْلق) في هذا الكون، إلا ما كان من تشريعات واتفاقات دولية قد لا تلتزم بها الدول الكبرى إذا ما تعارضت مع مصالحها القومية، دون أي اعتبار للشركاء الذين يسكنون هذه المعمورة؛ كما هو الحال في مواقف الولايات المتحدة الأمريكية التي رفضت التوقيع على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالبيئة وانبعاثاتها، مع أنها من أكبر الدول تلويثاً للبيئة.

وبالتالي فإن الإنسان الذي تقوم تصوراته بعيداً عن الإيمان بالله تعالى واستحضار الأمانة والمسؤولية في الاستخلاف في الأرض والابتعاد عن الفساد والإفساد فيها، وترتكز تصوراته على التمركز على الذات مستقلة استقلالاً يقدح في كونه مخلوقاً ومكلفاً ومستخلفاً وبعيداً عن الهدايات الربانية، معتمداً منهجَ العقل المجرد ساعياً لتحقيق مصالحه ومنافعه الخاصة في سياق فرداني يقوم على الأنانية المفرطة.. فإن مآلات هذا التصور كارثية تضر بالبيئة والإنسان.

ولن تجدي مع هذه الظاهرة الإنسانية المنفلتة المسكّنات التي تصدرها مؤتمرات البيئة؛ لأنها لا تعالج جذور الأزمة بل أعراضها، ومن هنا ندرك أن البشرية اليوم حاجتها إلى التصورات النابعة من الإسلام ومنظوره الكوني وتشريعاته التفصيلية أشد من أي وقت مضى، وذلك لأن المهددات متسارعة والإنسان مهدد في وجوده وصلاح عمرانه وبقائه على هذه الأرض.

وبما أن الأرض خلقت مهيأة وصالحة للحياة فإن فسادها بفساد سكانها، سواء كان ذلك بالفساد المادي أي بالسلوك غير الراشد في مخرجات البيئة المسخرة لمنافع الإنسان، أو كان ذلك بالذنوب والمعاصي وما يترتب على ذلك من سيئات الأعمال وهي العقوبات اللاحقة.

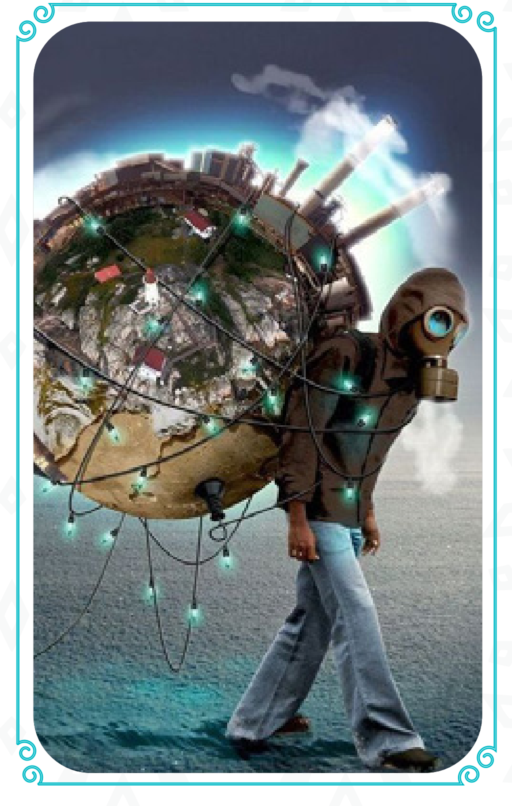
وعليه فالتلوث أو الفساد البيئي هو (بما كسبت أيدي الناس) كما تقدم في الآية.



وإلى شمول الفساد لكلا جانبيه المادي والمعنوي أشار العديد من المفسرين، فقد أشار الطبري في تفسيره بأن الفساد المراد في الآية هو المعاصي حيث قال: «ظهرت المعاصي في برّ الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه». وأشار العلامة ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) إلى الجانب المادي وسوء الحال في البر والبحر؛ حيث قال:

والفساد: سوء الحال، وهو ضد الصلاح، ودلّ قوله عز وجل ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ على أنه

سوء الأحوال في ما ينتفع به الناس من خيرات الأرض برها وبحرها. ثم التعريف في الفساد: إما أن يكون تعريف العهد لفساد معهود لدى المخاطبين، وإما أن يكون تعريف الجنس الشامل لكل فساد ظهر في الأرض برها وبحرها أنه فساد في أحوال البر والبحر، لا في أعمال الناس بدليل قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.



وفساد البر يكون بفقدان منافعه وحدوث مضاره، مثل حبس الأقوات من الزرع والثمار والكلأ، وفي موتان الحيوان المنتفع به، وفي انتقال الوحوش التي تصاد من جراء قحط الأرض إلى أرضين أخرى، وفي حدوث الجوائح من جراد وحشرات وأمراض. وفساد البحر كذلك يظهر في تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان (فقد كانا من أعظم موارد بلاد العرب) وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، ونضوب مياه الأنهار وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس»».

وارتباط الفساد والصلاح البشري بما يقع في الكون والوجود الطبيعي أمر مشهود في التصور الإسلامي، وهو ما لا نجده في التصورات الوضعية المادية؛ فهناك علاقة بين الإيمان والتقوى وبين الوفرة المادية ورغد العيش؛ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾. [الأعراف: ٩٦].

وثبت في الحديث النبوي هذا النوع من العلاقة بين الذنوب والمعاصي وعقوباتها المادية المؤثرة على الكون والطبيعة والإنسان؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتُليتم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يَمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطَروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[٦].

ومحصول القول في قضية البيئة صلاحاً وفساداً

تدور حول منظورين كونيين لكل منهما وجهته وتصوراته:

- المنظور الإسلامي، القائم على التوحيد والإصلاح والتكافل والمسؤولية.
- والمنظور الجاهلي الوضعي، القائم على التشتت والتيه والعدمية والضياع والغريزية والأنانية والمنفعة، بعيداً عن منطق المسؤولية الأخروية.

وتترتب على هذه التصورات تباينات كبيرة على صعيد السياسات والبرامج والسلوك العملي؛ ولهذا فإن تناول ظاهرة الفساد والتلوث البيئي نحتاج فيها لدراسة الجذور العميقة في دوافع النفس البشرية وتصوراتها، وليس في الممارسات والسلوك الظاهري، والذي غالباً ما يعطينا معلومات غير دقيقة ومعالجات شكلية مع تفاقم الأزمات وسرعتها، ونقطة البداية تكون بالإنسان؛ فصلاح المعمورة بصلاح ساكنيها وفسادها بفسادهم.

والله من وراء القصد.

---

٦ صحيح الجامع، الألباني.

قريةٌ كانت مطمئنة

جشع الدول الغاشمة وتدمير الفطرة



د. يونس الأسطل

عضو رابطة علماء فلسطين وأستاذ الفقه وأصوله

«ما في العالِم من الأَرْزاء ليس لِنَقْصٍ في الأَرْزاق؛ بلْ لِفَقْرٍ في الأخلاق».

الحمد لله الرَّزَّاقِ ذي القوة المتين، وقد جعل في السماء رزقكم وما تُوعدون من الجنة؛ فإنها عند سدرة المنتهى فوق السماء السابعة، وقد أقسم لكم بربوبية للسماء والأرض أن ذلك لحقٌّ مثل ما أنكم تنطقون، فابتغوا عند الله الرزق، واعبدوه، واشكروا له، إليه تُرجعون.

وبعد: فقد خلق الله تبارك وتعالى آدمَ بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته؛ ليكون خليفةً في الأرض، يعمرها بالطاعة والعبادة أولاً؛ فما خلق الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدوه، وقد خلق الموت والحياة لِيَبلُوَكم أيكم أحسن عملاً، كما خلق السموات والأرض في ستة أيامٍ، وكان عرشُه على الماء؛ لِيَبْلُوَكم أيكم أحسن عملاً، بل جعل ما على الأرض زينةً لها؛ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أنشأكم من الأرض، واستعمركم فيها، أيْ طلب إليكم، وكلَّفكم أن تعمروها، باستخراج كنوزها، وتسخير تلك الخيرات؛ لتكون حياتكم حياة طيبة، ويمتعكم بذلك متاعاً حسناً إلى أجلٍ مسمًّى، ويؤتي كلَّ ذي فضلٍ فضلَه، ولِيُصْلِحَ بَالَكم.



وقد امتنَّ على عباده، فجعل الأصلَ في الأشياء النافعة الإباحة إلا ما استثناه الدليل من الأشياء الضارة، والمستثنى دائماً هو القليل، خاصة وأن المحرماتِ كثيراً ما جاءتْ بصيغة الحصر؛ ليدلَّ على أنها معدودة أو محدودة، والضابط في ذلك هو حِلُّ الطيباتِ، وتحريم الخبائث، فقد خلق لكم ما في الأرض جميعاً قبل أن يستويَ إلى السماء فَيُسَوِّيَهُنَّ سبع سموات، فإنه خلق الأرض في يومين، وجعل فيها رواسيَ مِنْ فَوْقِها، وبارك فيها، وقدَّر فيها أقواتها في تتمة أربعة أيامٍ سواءً للسائلين، وقد جعل الأرض ذلولاً، وأرشد إلى المَشْيِ فيها، والأكل من رزقه، وندب إلى الضرب في الأرض، وَجَعَلَهُ

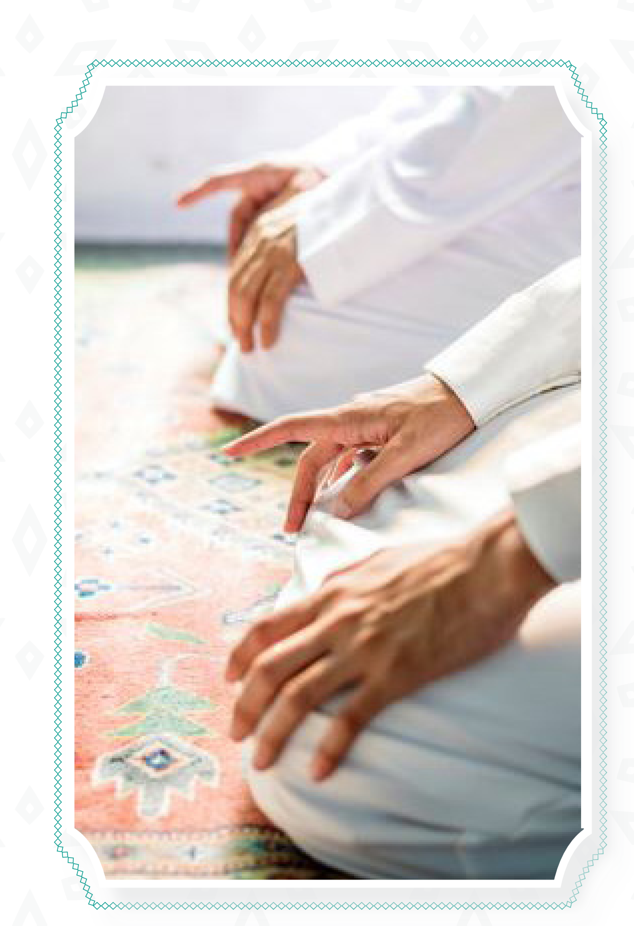
لوناً من الجهاد الموازي في الأهمية ضرب الرقاب في سبيل الله يوم خفَّفَ عنكم، واكتفى أن تقرؤوا في قيام الليل بما تيسَّر من القرآن، كما في الآية (٢٠) الأخيرة من سورة المزمل.

ومما يشهد بأن الأصل في الأشياء الإباحة هاتان الآيتان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]؛ ذلك أن امتنان الله جلَّ وعَلَا علينا بجميع ما في السموات وما في الأرض، وما فيهما من النعم السابغة، يَدُلُّ على الإباحة؛ إذِ المحظور لا مِنَّةَ فيه.



إن هناك أسباباً كثيرةً جعلها ربنا تبارك وتعالى أبواباً لاستدرار ما في خزائنه من الأرزاق والنعم، يجمعها الإيمان والتقوى، ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتَّقَوْا لفتح عليهم بركاتٍ من السماء والأرض، وأَنْ لوِ استقاموا على الطريقة لأسقاهم ماءً غَدَقاً، ولو أن أهل الكتاب أقاموا التوراة والإنجيل، وما أُنزل إليهم من ربِّهم، وهو القرآن؛ لأكلوا من فوقهم، ومن تحت أرجلهم؛ أيْ لصار رزقهم ميسَّراً تناله أيديهم، وكأنه قطوف دانية، فما عليهم إلا قِطافها، أو هي عند أرجلهم، وما عليهم إلا الْتقاطها.

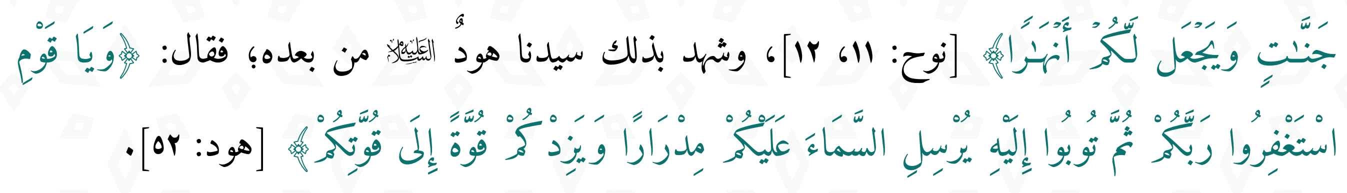
ويدخل في تفصيل الإيمان والتقوى كثيرٌ من صور الأعمال الصالحة التي جاء النص بأثرها الإيجابي في استنزال الأرزاق، وأهمُّ ذلك في البنود الخمسة التالية:



الأول: الصلاة

فقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢]. فقد جعل أمر الأهل بالصلاة، والمبالغة في الصبر على أدائها في أوقاتها، سبباً للرزق والتقوى.

الثاني: الاستغفار والتوبة



وقد أغرى بذلك سيدنا نوحٌ عليه السلام قومه حين أخبر أن الله عزوجل بالاستغفار ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١١، ١٢]، وشهد بذلك سيدنا هودٌ عليه السلام من بعده، فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

ذلك أن عماد القوة هما الأموال والبنون، وإذا كان عادُ قومُ هُودٍ عمالقةً، ويعتقدون أنه لا أحدَ أشدُّ منهم قوةً؛ فكيف لو استغفروا وتابوا، فزادهم ربُّهم قوةً إلى قوتهم؟! إذاً لأرهبوا بهذا عدوَّ الله وعدوَّهم، وآخرين من دونهم لا يعلمونهم، الله يعلمهم، ولكنْ كذبوا، فأخذهم ربُّهم بما كانوا يكسبون، وأرسل عليهم الريح العقيم في أيامٍ نَحِساتٍ، فأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنهم، وترى القوم فيها صَرْعى، كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية، وجعلهم حصيداً خامدين، كأن لم يَغْنَوْا بالأمس.

الثالث: الصدقاتُ واجبةً ونافلةً

والنفقاتُ في سبيل الله، وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخْلِفُهُ، وهو خير الرازقين، ومَنْ ذا الذي يُقرض اللهَ قرضاً حسناً فَيُضاعِفَه له، وإنْ تُقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفْه لكم، ويغفرْ لكم، والله شكورٌ حليم، ومَثَلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كَمَثَلِ حبةٍ أنبتتْ سبع سنابل، في كل سنبلةٍ مائةُ حبة، كما أن مَثَلَ الذين ينفقون أموالهم ابتغاءَ مرضاة الله، وتَثْبيتاً من أنفسهم، كَمَثَلِ جنةٍ بربوةٍ أصابها وابلٌ، فآتتْ أُكُلَها ضعفين؛ فإن المتقين في أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم، وهم يؤتون المالَ على حُبِّه ذوي القربى، واليتامى، والمساكينَ، وابنَ السبيل، والسائلين، وفي الرقاب، فضلاً عن إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

الرابع: وإذا كان ذلك الإنفاق لإعلاء كلمة الله؛ فإن الله يضاعفه أضعافاً كثيرة

إذا كان ابتغاءَ وجه الله، وجهاداً في سبيله، وخاصة إذا أنفق من قَبْلِ الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا، وكُلّاً وَعَدَ اللهُ الحسنى، فإن مَثَلَ ما ينفقون في سبيل الله مَثَلُ من يزرع في يوم، ويحصد في اليوم التالي، كما أخبر بذلك نبينا ﷺ؛ فقد رأى ذلك المشهد ليلة المعراج، وفسَّره له جبريل بأن هؤلاء هم المجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.



الخامس: صلة الرحم



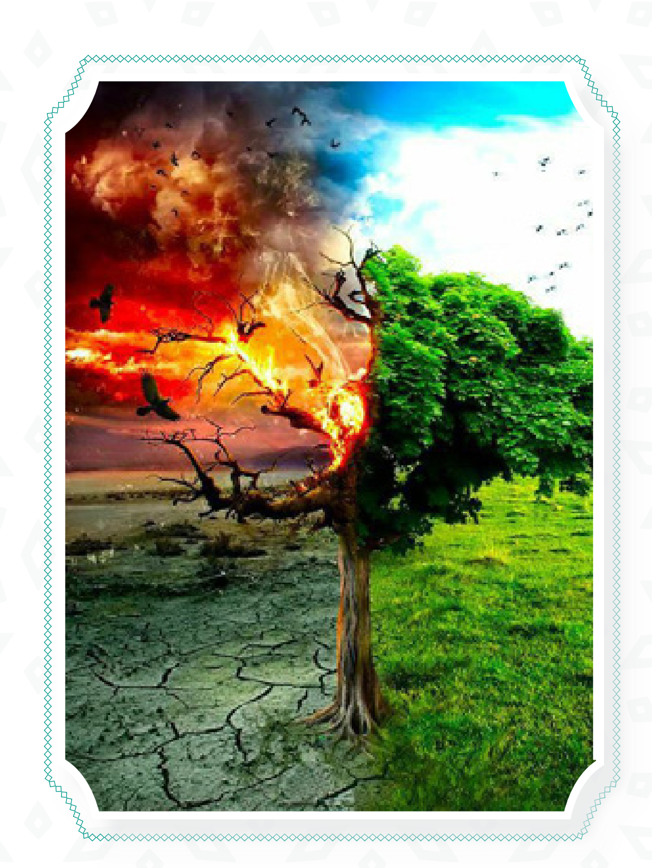
وأما صلة الرحم فقد جاء بخصوصها قوله ﷺ: «مَنْ سرَّه أن يُبْسَطَ له في رزقِه، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِه، فَلْيَصِلْ رَحِمَه».

وهنا يبارك الله في رزقه، ويزيده من فضله، كما يبارك في عمره؛ ليكون رصيده فيه من الحسنات، كما لو عاش أضعاف السنين التي قضاها في الدنيا قبل أن يَقْضِيَ شهيداً أو متوفًّى في سبيل الله.

هذا وإن أسباب تيسير الأرزاق غيرُ منحصرة فيما ذكرتُ، غير أن المهم أن يكون المنفِقُ ممن لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وممن لا يُلْهِيهم التكاثرُ في الأموال والأولاد عن ذكر الله، ولا ممَّن إذا رَأَوْا تجارةً أو لهواً انفضُّوا إليها، وتركوا طاعة الله، أو صلاة الجمعة والجماعة، فما عند الله خيرٌ من اللهو ومن التجارة، والله خير الرازقين.

وإن من المطلوب للإنسان مهما فتح الله عليه من الدنيا أن يكون زاهداً فيها، مقتصداً في الانتفاع بها، فكلوا واشربوا لا تسرفوا. ولا تجعلْ يدك مغلولةً إلى عنقك، ولا تَبْسطْها كلَّ البسط، فتقعدَ ملوماً محسوراً؛ فإن عباد الله الذين يمشون على الأرض هَوْناً إذا أنفقوا لم يُسْرِفوا، ولم يَقْتُرُوا، وكان بين ذلك قواماً، كما أنه ما ملأ ابنُ آدمَ وِعاءً شَرّاً من بطنه، فالمعدةُ بيتُ الداء، والحِمْيةُ رأس الدواء، وحَسْب ابن آدمَ لقيماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه، وإذا كان لابُدَّ فاعلاً، فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لِنَفَسِه، وما زاد عن ذلك فَضَرُّه أقرب من نفعه؛ بل إثمُه أكبر من نفعه.

هذا إذا كان حلالاً طيباً، فكيف إذا كان أكلاً لأموال الناس بالباطل؛ بالجشع، أو النهب والسلب، وغير ذلك من ألوان الأكل المنهيّ عنه من الأموال؟! فإن الله يَمْحَقُه، وقد ضرب لنا المثل بقرية -والمرجح أنها قريش- ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] وجعل مَثَلَهم كمثل سَبأٍ الذين كان لهم في مسكنهم آيةٌ؛ جنتانِ عن يمينٍ وشمال، فأعرضوا فأرسل عليهم سَيْلَ العَرِمِ، وبَدَّلهم بجنتيهم جنتينِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ، وأَثْلٍ، وشيءٍ من سِدْرٍ قليل، وما أشبههم بصاحب الجنتين في سورة الكهف؛ إذْ أُحيط بثمره، فأصبح يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ على ما أنفق فيها وهي خاويةٌ على عروشها، فقد أصبحت كالصريم، حين قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦].



إن السياسة الاقتصادية في الإسلام توجب توزيع الثروة بين الناس بالعدل، وأن يكون للمستضعفين من الفقراء والمساكين نصيبٌ وافرٌ منها عند إقرار الموازنة؛ كي لا يكونَ دُولةً بين الأغنياء منكم؛ بلْ إن الإسلام يُرَبِّي أتباعه أن يُحِبُّوا لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم، وأن يكونوا ممن يؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خَصاصة، فإن المشفقين من اليوم العبوس القمطرير هم الذين يطعمون الطعام على حُبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وإنما يطعمونهم لوجه الله، لا يريدون منهم جزاءً ولا شكوراً، ذلك أنكم لن تنالوا البِرَّ حتى تُنفقوا مما تحبون، ومَنْ تزكَّى فإنما يتزكى لنفسه، ومَنْ يبخلْ فإنما يبخلُ عن نفسه، ولا يحسبَنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله

من فضله هو خيراً لهم، بل هو شّرٌّ لهم؛ فإن أصحاب الجنة في سورة القلم لما قرَّروا ألَّا يدخلَنَّها اليوم عليكم مسكين، وغَدَوْا على حَرْدٍ -أيْ منع- قادرين، طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون، فأصبحتْ محترقةً كالليل البهيم، حتى إنهم حين رأوها قالوا: إنا لضالون؛ بل نحن محرومون.

إن الدافع للتذكير بالمعاني التي قِيلتْ آنفاً ما نراه من السياسة الخرقاء من الخُبَثاء الذين يحاربون فطرة الله التي فطر الناس عليها، حيث يُصِرُّون على محاربة الإنجاب بنسف الأسرة، ونشر المثلية والإلحاد، والإغراء بالفواحش، والترويج للمخدرات، وغير ذلك من الموبقات التي ينفقون فيها التريليونات في كل عام، ثم يدَّعون أنَّ كنوز الأرض لا تكفي للزيادة المستمرة في أعداد البشرية، لا سيما في الدول الكبرى؛ من الصين، والهند، والعالم الإسلامي، والقارة الأفريقية، وغيرها، ولا يكاد يسلم من مكرهم أحدٌ رَغَباً أو رَهَباً.



غير أن الفقر في الأرض لا يعود إلى نقصٍ في الأرزاق، فما أودعه الله في البر والبحر يكفي أضعاف أضعاف البشرية، لو أحسن الناس استخراجه واستثماره، وتحققت العدالة في التوزيع، ولو في الحد الأدنى، لكنَّ جشع الدول الغاشمة المستكبرة في الأرض يجعلها تمتصُّ أقوات الشعوب المتخلّفة عن امتلاك القوة العسكرية التي تُلجم الطامعين الطامحين للاستئثار بنصيب الأسد منها؛ بالإضافة إلى إبقاء أكبر عددٍ من الشعوب في دائرة التخلف، سواءً بتسليط العملاء والرويبضات على رقابهم، أو بحجب التكنولوجيا والآلات المتطورة عنهم.

هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر فإن الموبقاتِ التي يقترفونها، سواء في جنون التسلح النووي والبيولوجي، أو التوسع في المصانع التي تنبعث منها الغازات والسموم التي أثرت سلباً على التركيبة الطبيعية للهواء وللحياة، ثم في التنكر لشريعة الله عزّ وجلّ، ولمنطق العقل والفطرة، كل أولئك قد ظهر بسببه الفساد في البر والبحر، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم، ويعفو عن كثير، ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكنْ يؤخرهم إلى أجلٍ مسمى؛ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وإن الله لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم.



ولا مخرج من هذه المظالم والظلمات إلا بأن نحمل راية الدعوة والجهاد في سبيل الله؛ لِنُخْرِجَ الناس من الظلمات إلى النور، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضِيقِ الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وما أرسل الله عزَّوجلَّ رسوله الأمين، وما أنزل كتابه المبين، إلا رحمة للعالمين.

والله تعالى أعلم، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

انعكاسات الظاهرة الفرعونية

على الظواهر المناخية

وكيف يكون الإسلام هو الحل؟



بادية شكاط

كاتبة من الجزائر

يقول تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

لحين تحولت الأرض إلى حلبة عريضة للمبارزة المريضة، التي يريد من خلالها الطغاة الاستبداد بكل ما أوتوا من معاول الخراب والفساد، دون أية قيود تمسكهم أو سدود تذودهم، لم تعد البشرية تعلم أيان تسير فهي تلقى نحو الفناء ذات المصير.



ففي كتاب «أزمة المناخ والصفقة الخضراء العالمية الجديدة: الاقتصاد السياسي لإنقاذ الكوكب، لتشومسكي وبولين، يقول نعوم تشومسكي:

«لا هوادة في سعي الطبقات المجرمة وراء السلطة والربح مهما كانت العواقب البشرية، وستكون هذه العواقب وخيمة إذا لم يُتصدّ لجهودها وتُهزم في الواقع، من قِبل أولئك المعنيين ببقاء البشرية»».

فرغم العديد من القوانين والاتفاقيات الدولية حول المناخ، التي أقرّت من خلالها ١٥٤ دولة بحدوث تغيُّر مناخي بشري المصدر، وقررت بعدها أن تضافر جهودها لأجل الحدِّ من الاحترار العالمي؛ كقمة (ريو دي جانيرو) ١٩٩٢م، التي انبثق عنها «اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ» التي هدفت إلى تثبيت انبعاثات الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي عند مستوى يحول دون أي مخاطر مناخية.

ورغم مصادقة ١٩٢ دولة على توصياتها، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تصدّق على البروتوكول مطلقاً، في الوقت الذي فُرض الالتزام بتطبيقه على ٣٧ دولة بمعدل عام يبلغ نسبة ٥ في المائة، وتخفيض الانبعاثات بمعدل ٨ في المائة للاتحاد الأوروبي، أما سائر البلدان فلم تلتزم بمعدلات محدّدة بل أُشركت في عملية مكافحة تغيُّر المناخ عبر آليات تحفيزية.

وإلى يومنا هذا بقي التمايز واضحًا والتفاوت صارخًا في الالتزام بمثل هذه الاتفاقيات، وهذا بسبب غياب التوافق السياسي بشأنها، وكذا عدم الاهتمام بالسلامة البيئية المنصوص عليها عند حساب حصص الانبعاثات، والأمر ذاته بالنسبة لغيرها من الاتفاقيات التي تؤثر على البيئة؛ فمثلاً فرنسا تريد فرض استخراج الغاز الصخري من الصحراء الجزائرية، في حين هي تمنع استخراجه من الأراضي الفرنسية، وذاك حفاظاً على سلامتها البيئية وتحقيقًا لمصالحها الاقتصادية، وجميع تلك الصور هي صورة واحدة لانسلاخ الإنسان من الإنسانية، وتدحرجه إلى دركات الحيوانية، يقول المفكر علي عزت بيغوفتش في كتابه «هروبي إلى الحرية»:

«المصلحة حيوانية، أما التضحية فهي إنسانية».



فلم تعد البشرية إذن بحاجة إلى قوانين ومواثيق دولية لتحمي بها الإنسان من شر الإنسان فحسب، بل صارت أحوج إلى ضوابط تعرّف بماهية الشر، فأن يكون الشر غير قابل للقياس كفعل إلا من خلال الفاعل، فيصبح الفاعل هو المحدِّد لأوجه الخير والشر، يقلبها كيفما يشاء، ذات الخير وذات الشر، فهذا حمل للمتناقضات في سلة من المعايير واحدة، ما يجعلنا بحاجة إلى ضبط مفهوم الشر، فضبط مفهوم الشر هو ما ينضبط من خلاله سلوك الإنسان، كما معيارية الخير والشر لديه.

وكمثال على ذلك.. ما نراه يتكرر في فرنسا حين تجعل من الفعل الإرهابي الواحد شرًا إذا ارتبط بالدفاع عن مقدسات دينية، وليس بشر إذا تعلق بقتل شخصيات إسلامية، فالوحشية في فرنسا هي الدين إذا كانت ضد الدين الإسلامي، أو كما قال نعوم تشومسكي: «العلمانية دين وضعي والعلمانيون متدينون بها، يجعلون من الدولة رباً ويقاتلون الإنسانية بكل وحشية من أجل فرض سياستها».

وكذلك الأمر بالنسبة للأسلحة النووية التي تحرَّم على دول دون أخرى.



فهذا التمييز السيادي الاستعبادي لم تتساقط كرات نيرانه على مساحات اقتصادية، أو سياسية أو اجتماعية فحسب فأحرقتها، بل أحرق كل جوانب الحياة البشرية، فلم تُبقِ ولم تذر، ما يجعل الإنسان في بحث دؤوب عن زورق نجاة يخرجه من جميع دوائر الشر تلك، ورغم أنه قد سبق للمفكرين أن حددوا دوائر الشر وحصروها في دائرتين هما:

دائرة شر طبيعي ودائرة شر أخلاقي؛ حيث جعلوا الشرور الطبيعية هي تلك التي رآها الإنسان ماثلةً أمامه في الكوارث التي تضرب بالطبيعة أو الأمراض التي تفتك بجسده. وأن الشرور الأخلاقية هي كل ما نأت به عن النزعات الأخلاقية، وباءت بنوايا الفاعلين الأخلاقيين، كالقتل والاستبداد، والفساد وغير ذلك.

فإننا نرى ضرورة إضافة دائرة شر ثالثة: وهي برأيي الدائرة التي تتداخل فيها دائرة الشر الطبيعية بدائرة الشر الأخلاقية، فيحدث شر يبدو وكأنه طبيعي بينما هو بنوايا أخلاقية إنسانية، كعبث الإنسان بالطبيعة، وما يفعله بالمناخ، أو مايبثه فيها من أوبئة جرثومية، أو يحتقر فيها ذاتًا إنسانية، لمجرد تجرُّد من ماهيته الحقيقية، واستعلاء فارغ على كل من يقاسمه البشرية.



نخطاب ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢] وحي لا يزال يظهر في الأنفس الشيطانية، لتصير العنصرية، والكراهية، والقتل، والتدمير مشروعة بشرعية الأفضلية، فأن تكون مثلاً من عرق إفريقي، أو بعقيدة إسلامية، فإنك حتمًا ستتحول إلى شر وجب إبادته دون مبالاة بدعوى الحرية، كما تسلب منك بشكل طبيعي جميع مواردك الطبيعية، بل وتمارس أيضا عليك التجارب النووية كما فعلت فرنسا الوحشية في صحراء رقان بالجزائر أثناء الحقبة الاستدمارية.

فالهُوية الإنسانية قد طُمست بالفعل بدعوى الحرية، في حين أن الله عز وجل قد منح الإنسان الحرية ليميز الخير من الشر، وليس لتكون الحرية ذريعة له ليمارس كل شر.

ورغم توجيه الكثير من النقد للفيلسوف نيتشه وأمثاله من الذين لا يرون جدوى من تحديد مفهوم للشر، إلا أنه لا ينبغي أن نغفل أمرًا غاية في الأهمية، ألا وهو تفسير دافع الشر نفسه، فهناك

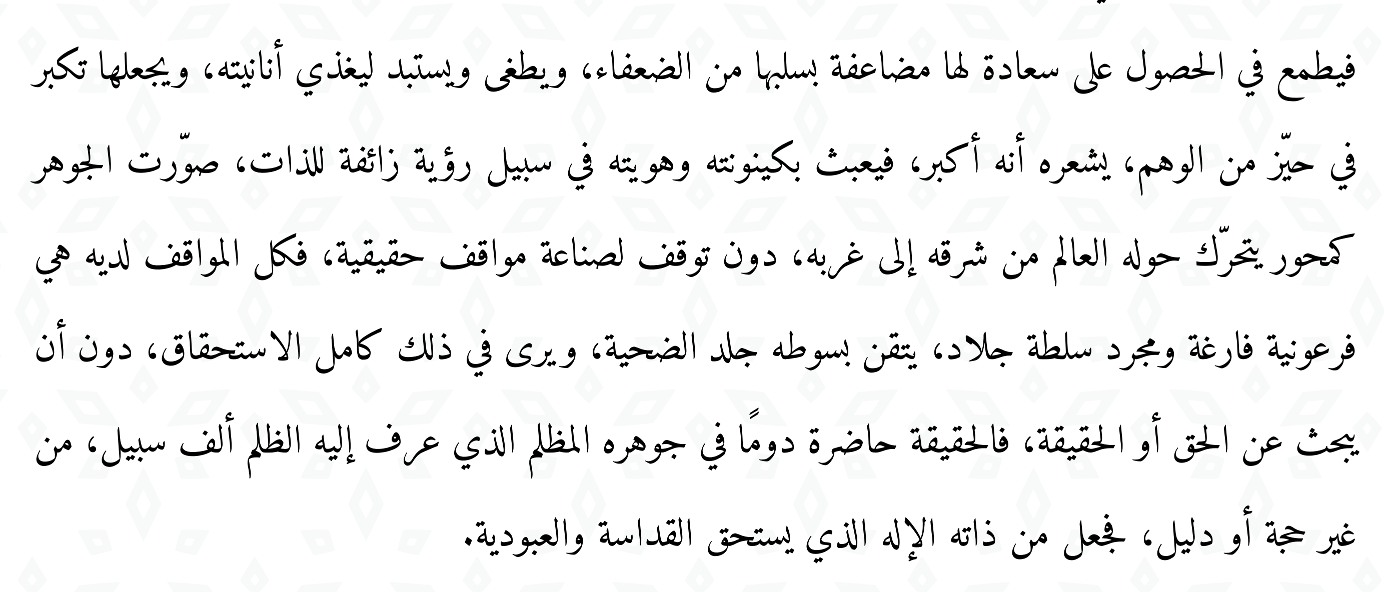
من يرى دافع شره خيراً بينما هو بالنسبة لغيره شرًا، وهذا يجعلنا ندرك تمام الإدراك أنّ ماهية الخير والشر لا تحدد أبدًا من خلال الدوافع، وإلا فإننا سنجعل من الميكافيلية قيمة أخلاقية تحدد معيار الخير مقابل الشر، بينما الذي يحدث أن الإنسان كائن مركب من عوامل مادية وأخرى روحية، وكلما جنح إلى المادية حلّق بعيدًا عن القيم الأخلاقية بوصفها إحدى الدلالات الروحية.



فتمركُز الإنسان حول المادة جعله -وهو يحاول الإبقاء على الإنسان- يُفني الإنسانية كقيمة روحية، وقد بدأ هذا الفناء تدريجيًا من مرحلة حاول فيها الإنسان أن ينفصل عن الذات الإلهية، بالتمركز حول ذاته، فصار يعتقد أن لا وجود لإله يقبل كل هذا الشر الذي يحدث في العالم **(غير مدرك أن الإله قد جعل الخير والشر مخلوقين، وإلا لتناقض ذلك مع ذاته العلية، فلو كان الخير مطلقًا لكان إلهًا، فلا مطلق إلا الله)**، ثم بعد أن فشل في مرحلة فَهم الغاية من خلق الشر والخير وما ملّكه الله عز وجل من حرية، انتقل إلى مرحلة الانفصال عن الدين، وأسّس لنفسه المركزية، فجعل من نفسه غاية وكل ما سواه هو مسخّر لخدمة هذه الغاية.

فظهرت الإمبريالية الاستعمارية المتوحشة كمركزية كبرى فيها امتدت مركزية الإنسان إلى مركزية أمة، فصار يمكن لأمة تؤمن بغائية هذه المركزية أن تبيد أمة أخرى، وظهرت تباعًا لذلك النزعات العنصرية التي حوّلت أممًا إلى وسائل تخدم مصالح أمم أخرى، وظهرت حركات كالنازية والفاشية والصهيونية... إلخ.

ثم عاد الإنسان إلى المركزية الصغرى التي منها انطلق، وصار يبحث عن صورة من الألوهية، فيها يكون هو السيد كفرد على مجموعة من الأفراد، فيُحيي ويُميت، يغني ويفقر... دون أن يرمق في ذلك أي وجه من وجوه الشر، بل يراه غاية كبرى من غايات خلق البشر.



وفي هذه الأثناء من فقد الإنسان إلى جوهره، راح يبحث له عن انتماء، تحدد سماءاته بما أراه برؤيتي المتواضعة في ثلاثة أصناف:

- **الصنف الأول:** هو ذاك الإنسان الذي يزيده الفقد تمسكًا بذاته، فيجعل أناه مركزًا وكل شيء حولها يدور، فيطمع في الحصول على سعادة لها مضاعفة بسلبها من الضعفاء، ويطغى ويستبد ليغذي أنانيته، ويجعلها تكبر في حيّز من الوهم، يشعره أنه أكبر، فيعبث بكينونته وهويته في سبيل رؤية زائفة للذات، صوّرت الجوهر كمحور يتحرّك حوله العالم من شرقه إلى غربه، دون توقف لصناعة مواقف حقيقية، فكل المواقف لديه هي فرعونية فارغة ومجرد سلطة جلاد، يتقن بسوطه جلد الضحية، ويرى في ذلك كامل الاستحقاق، دون أن يبحث عن الحق أو الحقيقة، فالحقيقة حاضرة دومًا في جوهره المظلم الذي عرف إليه الظلم ألف سبيل، من غير حجة أو دليل، فجعل من ذاته الإله الذي يستحق القداسة والعبودية.

الصنف الثاني: فهو من يبحث عن جوهره في غيره، بعد أن شعر بفناء ما فيه، فراح يفتش عن الكمال خارج ذاته ليكتمل بذاته، فينصهر في مثيل له وشبيه، أو ضدٍ له ليحاكيه، فيجد امتداداً آخر لجوهره يشعره بديناميكية الحياة، وبنوعٍ من محاربة الفناء باتصالٍ مع البقاء، فيقدّم الخدمات الإنسانية التي تشعره بجوهره الإنساني، ويسهم بالحفر العميق في كل التجارب التي تشعره بالانتماء، فتراه يتحمس للعِرق أو الجنس أو الطائفة أو غيرها، ويتنطع بتقدير جوهره الذي لم يكن شطره، إلا محض انشطارٍ للحظة انتماء إلى غيره.

الصنف الثالث: هو من عرف حقيقة جوهره، فعالج النقص فيها بما اكتشف من نقص في غيرها، فحين اكتشف أناه الأنانية هذّبها بما يراه من انعكاسات لها في غيرها، فكان الغير مرآة يهذّب بها جوهره، لا جوهراً يهذّب به غيره، فأصبح يتجلى في كل ذاتٍ بصفاته من غير استبداد ولا استعباد، وتلك هي القدوة التي تمتثل فيها الذات الحرة في جواهر عديدة، دون أن تمتثل هي إلى غيرها، فبين المثال والامتثال، وبين العطاء والاكتفاء يصنع الجوهر في هذا الصنف لحظة أبدية تبدّد معها كل خيوط الفناء، فهذا هو الجوهر وهذا ماينبغي أن يبحث عنه الإنسان، ليكون فقط إنساناً، وهو ما لمسناه في جوهر الرسل والأنبياء، وفي صفوتهم سيد الخلق رسولنا ﷺ.



قال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالإنسان في هذه الحياة يعيش لحظة فارقة إما أن يحمل فيها جوهره وهمًا بالفوقية سحيقاً، وإما أن يحمل فهمًا للجوهر عميقاً، فتتحول فيه اللحظة إلى عُمرٍ، والعمر إلى تاريخ، والتاريخ إلى لحظةٍ أبدية لا ينجو فيها الإنسان لوحده، بل تنجو كل الإنسانية.



وهنا تتجلى عظمة دين الإسلام الذي جعل السلام لحظة بقاء، لا تحقق إلا بأن يساوي فيها إنسانٌ واحدٌ كاملَ البشرية، فكما يقول المفكر مصطفى محمود رحمه الله:

«احترام الإسلام للفرد بلغ الذروة، وسبق ميثاق حقوق الإنسان وتفوق عليه، فماذا يساوي الفرد في الإسلام؟ إنه يساوي الإنسانية كلها».

قال تبارك وتعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

حفظُ النسل حفظٌ للبيئة



الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

بَوْنٌ شاسع بين المُصْلح الأعظم للبشرية، محمد ﷺ الذي جاء بالشريعة الخاتمة، والتي أنزلها الله تعالى إليه نورًا وهدى للعالمين، فجاءت بالرحمة للبشرية جمعاء، تلك الشريعة التي مقصدها حفظ الضروريات الخمس للبشرية وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل. وذلك لسلامة البشرية، ولأمن المجتمعات كلها.

فرق بينه وبين الغرب بكل علمائه، الذين جاءوا بشرائع الغاب، وشرائع الظلم والأهواء، التي يغيرها البشر كيفما شاءوا، فلا تستند لدين ولا لعرف، إنما مرجعها الهوى، والمصالح المتوهمة، تلك التي جَرَّت الغرب لمهاوي الردى، ويريد الغرب جَرَّ العالم كله لها، وهي التي أفسدت النسل والعرض، بالإباحية والشذوذ، والتي تؤدي لضياع الأسرة بكاملها.



الشريعة الإسلامية وحفظ النسل

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بحفظ النسل، وهو ضمن الخمس التي نادت الشريعة بحفظها، بل وأوجبت حفظها على الناس، قال الإمام الشاطبي: فَقَدَ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ -بَلْ سَائِرُ الْمِلَلِ- عَلَى أَنَّ الشَّرِيعَةَ وُضِعَتْ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ الْخَمْسِ -وَهِيَ: الدِّينُ، وَالنَّفْسُ، وَالنَّسْلُ، وَالْمَالُ، وَالْعَقْلُ- وَعِلْمُهَا عِنْدَ الْأُمَّةِ كَالضَّرُورِيِّ[1].

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي: «وَمَقْصُودُ الشَّرْعِ مِنَ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ»[2].

وحفظ النسل واجب بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وبإجماع المسلمين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ويقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

---

١ الموافقات، ج١، ص٣١.

٢ المستصفى ص١٧٤.

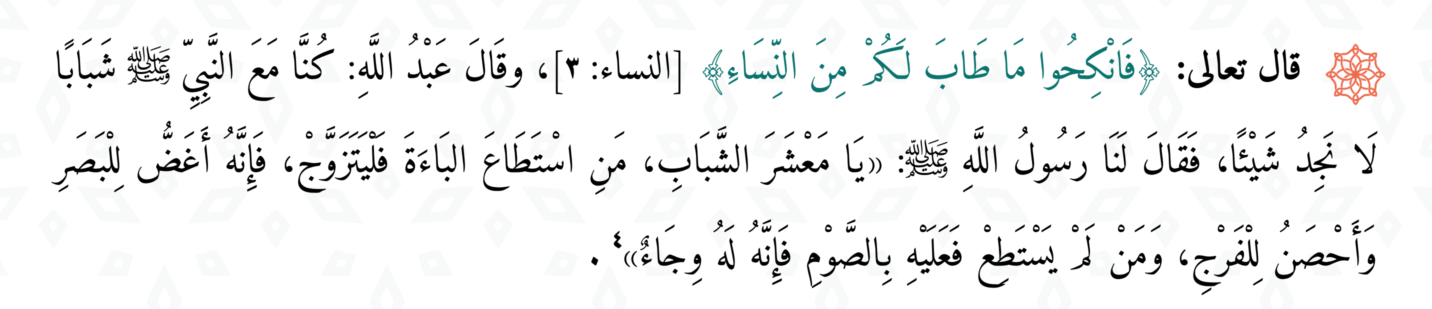
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * ولا تقربُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾ [الإسراء: ٣١، ٣٢]. وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَه لَاخْتَصَيْنَا»[٣].

كما نقل لنا الشاطبي رحمه الله تعالى الإجماع في قوله السابق «فقد اتفقت الأمة...»، وهذا كله يبين أن الإسلام حريص كل الحرص على حفظ النسل.

وجوه حفظ النسل

لقد حافظ الإسلام على النسل من وجوه عدة نذكر منها ما يلي:

تشريع النكاح:



قال تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[٤].

---

٣ البخاري، رقم ٥٠٧٣. والتبتل: ترك الزواج، والاختصاء: قطع الخصيتين اللتين بهما قوام النكاح.

٤ البخاري رقم ٥٠٦٦.

تحريم السِفاح:

والسِفاح هو الزنى، أي أن تقيم المرأة علاقة الجماع مع رجل بغير زواج شرعي، قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ [النساء: ٢٥]. عن أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الحَجَرُ»[٥].

وذلك من أجل أن يكون النسل معلومًا مصانًا، وأن يجد من يرعاه ويحوطه ويغذوه.

تحريم قتل الولد:

لأي سبب من الأسباب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»[٦].

حث الإسلام على احترام وتقدير وبرّ مَن كانا سببًا في الذرية وفي التناسل:

قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء٢٣، ٢٤].



٥ البخاري رقم ٦٨١٨.

٦ البخاري رقم ٤٤٧٧.

نهى عن كل ما يمكن أن يكون سبباً في ضياع الأسرة وفساد النسل:

أو حتى ما يخدش حياء الأسرة، فنهى عن الاقتراب من الفواحش، وحرم النظر للنساء الأجنبيات، ونهى أن تنكح المرأة بغير ولي، وحرم زواج البغايا، وحرم اللواط (الشذوذ) ونكاح المرأة في دبرها لأنه لا يأتي بالولد، ونهى عن قذف المحصنات، ونهى عن الغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء بالآخرين، ونهى عن تبني الأولاد...إلخ. كل ذلك حفاظًا على الأسرة التي هي أصل المجتمع، فلا مجتمع بغير أسرة ولا أسرة بغير نكاح شرعي، والحفاظ على النسل تحقيق لمراد الله من خلق الإنسان.

الغرب وضياع الأسرة



إن الناظر إلى الغرب الملحد، والذي كفر بكل الشرائع، وراح يلهث وراء الإلحاد لهثًا، وترك التدين، وهجر الكنيسة، وراح يلعن كل شيء طيب جاءت به الرسل، واستحسن كل خبيث مخبث نهت عنه الكتب السماوية، وليس له من هَمٍّ إلا إشباع رغباته ونزواته على حساب الآخرين، ولعب الشيطان بأم رأسه فجعله يستحسن كل قبيح، وينادي بكل رزيلة، ويدافع عن كل منكر، وهو بذلك يحادِّ الله ورسله، فاشتغل بالإباحية الجنسية بدعوى الحرية، فجاء بأولاد الزنا ممن لا يُعرف لهم أب، وفي الغالب ولا أمٌّ أيضًا، وقد تفزعك الأرقام عندما تعلم أن أمريكا وحدها يولد فيها كل عام مليون شخص من أولاد الزنا، وأن عشرة بالمائة من سكان ألمانيا لا يعرف لهم أب ولا أمٌّ، وتلك الحسابات قديمة والآن تفوق الأعداد كل توقع، وهذا خلل عظيم في منظومة النسل مما يهدد كيان الأسرة بشدة.

ثم سرعان ما تطور به الأمر بأن ترك الزنا بالنساء وتحول إلى (الشذوذ الجنسي)، والنتيجة هنا ألا نسل ولا ذرية ولا أسرة! بمعنى انقطاع البشرية، وهذا فضل عن أنه جريمة دينية وأخلاقية عظمى، إلا أنه يؤدي لأعظم خلل في المجتمع، من نقص البشرية وفنائها عصيانًا لأمر الله تعالى. وهو ما ينذر بزوال الغرب كله عما قريب.

الأسرة والحفاظ على البيئة

سخر الله عز وجل البيئة بكل مواردها للإنسان، وأمره أن يحافظ على تلك الموارد، وأن يتعامل معها على أنها من نعم الله عز وجل فيصونها ويرعاها وينميها، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] والبيئة متجددة مع الإنسان ومتطورة بتطوره، والله عز وجل بعلمه وحكمته جعل في البيئة ما يفي بكل حاجات البشرية إلى قيام الساعة، وما على الإنسان إلا أن ينقب ليكتشف ما كان مخفيًا عليه بالأمس ليأكل من رزق الله تعالى، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

فالذي يمشي وينقب ويأكل هو الإنسان، والله عز وجل هو الرازق، فإذا عُدم الإنسان عُدمت الأسرة وعُدم المجتمع وعُدمت الموارد أيضًا، ولذا فإن ما يفعله الغرب من هدم الأسرة فهو هدم للمجتمع وضياع للموارد وضياع للبشرية، فضلًا عن كونه محادة لله ورسوله.

والخلاصة: أن الله تعالى أمر بالحفاظ على النسل، وجعله من الضروريات الخمس التي عليها مدار مقاصد الشريعة، وذلك للحفاظ على الأسرة، لأجل الحفاظ على المجتمع، ولأجل الحفاظ على الموارد والاستمتاع بها، ونهى عن العبث بشيء من ذلك. ولكن الغرب أبى إلا محاربة الله تعالى، فعبث بالأسرة وأضاعها، سواء بالإباحية الجنسية أو بالجريمة الكبرى وهي الشذوذ الجنسي، ولا يجني من جراء ذلك إلا الدمار والخراب بإذن الله تعالى.

من النملة إلى الحوت



جلال الشميري

كاتب يمني

لا يخفى على أحد ما وصل إليه كوكبنا من اختلال في موازينه البيئية، وأكبر شاهد على ذلك ظاهرة الاحتباس الحراري، الذي وللأسف ما زال إثبات وقوعه عند بعض البشر محل للشك، لأن إثباته يضر بمصالحهم، وكأن ما يحدث على الأرض من تناقضات في مناخها لا يكفي لإثبات ذلك.

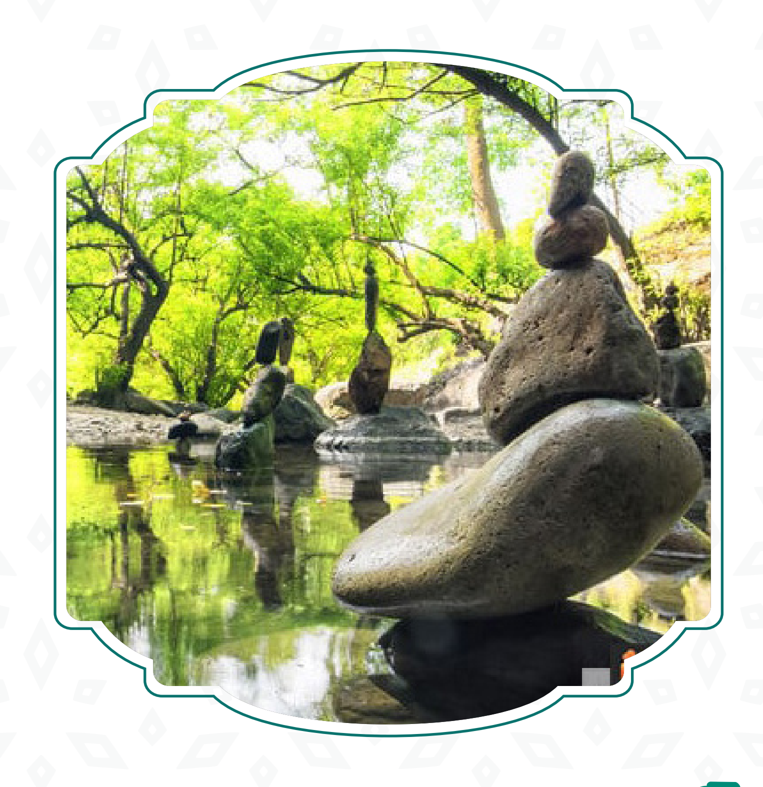
نجد بقاعاً من الأرض يقتلها الجفاف المروع، بينما بقاع أخرى تغرق في الفيضانات، وبقاع تدمرها الأعاصير الثلجية، وفي الوقت ذاته بقاع قريبة تتلوى من لهيب الحر.

ألم يتعدَّ ذوبان الجليد في القطب الشمالي من كونه جرس إنذار إلى كونه خطراً بذاته، فهو يؤدي إلى ارتفاع منسوب مياه المحيطات تدريجياً مما سيؤدي إلى غرق مدن بأكملها.

ألا يكفي هذا كله ليعترف منكرو الاحتباس الحراري بأصل المشكلة؟ إنهم كمن يريد إخفاء عين الشمس بالغربال!

إننا -بني آدم- سكان الأرض الذين جعلنا رب الأرض وخالقها خلفاءً عليها: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]. وهو الذي سخر كل ما فيها لنا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. وذلك بهدف أن نعمرها لا أن ندمرها: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

فبما أننا كذلك فالواجب علينا الأخذ بكل الأسباب التي تؤدي إلى الحفاظ عليها وعلى توازنها، ومنع ما قد يؤدي إلى الاختلال فيها والأخذ بيد من يفعل ذلك.



وأول خطوة في ذلك هي التعرف على المشكلة وأسبابها، ثم تبيينها إلى الناس كافة، وهذا ما يفعله نشطاء البيئة في كافة أنحاء العالم.

أما نحن -المسلمين أتباع سيد المرسلين وخير أمة أخرجت للناس- فواجب توعية الناس بهذه المخاطر مضاعف علينا، لأننا لا نعلم بهذه المشكلة من الواقع فحسب كبقية الناس، بل قد دلتنا عليها نصوصنا القدسية كتاباً وسُنة.



فربنا سبحانه وتعالى بذاته العلية كان أول من كشف مشكلة اختلال التوازن البيئي، وبيّن أن مسببها هو الإنسان ذاته المأمور بالحفاظ عليها، وذلك حين قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

صلاة الكائنات

أخي القارئ.. أختي القارئة، بعد هذه المقدمة أنتقل بكم إلى بيان عنوان المقال، فلعلكم تتساءلون: ما شأن النملة والحوت بالتوازن البيئي؟!

إنه حديث عمن لا ينطق عن الهوى، عمن لا ينطق إلا عن وحي يُوحَى، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه، حيث يقول:

«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جُحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»[١].

١ سنن الترمذي، برقم: ٢٦٨٥.

إني كلما قرأت هذا الحديث الشريف، أذهل من عظمة الفضل الذي يلقاه هذا الإنسان المعلم للخير، فالله بذاته القدسية، وملائكته المكرمون، والمخلوقات كلها تصلي عليه بمعنى تدعو الله له بالخير. ثم أتساءل:

بماذا استحق هذا الإنسان كل هذا الفضل؟

ولماذا تصلي عليه المخلوقات كالنملة والحوت؟



الجواب:

بما أن المنطوق النبوي ربط تعليم الخير بالمخلوقات فهذا لأن ذلك التعليم يعود بالنفع عليها، لذا فالمخلوقات ترد الجميل لذلك المعلم بالدعاء له بالخير أيضاً.

إن هذا التعليم هو كل توجيه وبحث وتحذير وجهد ونشاط يدعو إلى المحافظة على انتظام الكون وتوازن الحياة على وجه الأرض. ألم نقل: إن أول خطوة في علاج المشكلة هو التعرف عليها، ثم معرفة أسبابها وتبيين خطرها للناس كافة؟ فعلى الأسس النظرية السليمة تُبنى التطبيقات الواقعية الناجحة.

إن هذا الحديث النبوي الشريف يوجه كل من له علم بخطورة اختلال التوازن البيئي على كل ما في كوكبنا، أن يصدح بالحق معلماً للناس أسباب المشكلة وحلولها أيضاً. فإن فعَل ذلك الواجب نال بركة دعاء كافة مخلوقات الأرض، وقبلهم الله بذاته جل وعلا، وملائكته الكرام عليهم السلام.

- فالشيخ الذي يوجه الناس لعبادة الله وحده ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر داخل في ذلك، لأن وقوع الناس في كل فعل مناقض لتوحيد الخالق، وتركهم لعبادته، وفعلهم للمنكرات -هي أسباب لوقوع النقمة عليهم، والتي لن تصيب الناس فقط بل ستعم المخلوقات من النملة إلى الحوت، فيكون الإنسان بذلك قد ظلم نفسه وظلم الكائنات البريئة التي تتقاسم العيش معه على هذه الأرض.



لذلك أجزم بأن من أخطر المنكرات التسبب بالفساد في الأرض، فرمي مخلفات المصانع في الأنهار منكر، وتفريغ فوائض النفط في البحار منكر، ودفن فضلات البشر في الأرض منكر، وتلويث السماء بأدخنة محطات الطاقة العملاقة منكر.

ومثل الشيخ؛ المدرس الذي يشرح لطلبته واجب الحفاظ على نظافة البيئة ويغرس فيهم حب الطبيعة ويوجههم إلى الاقتصاد في استخدام الأوراق والأقلام حتى يكونوا سبباً في الحفاظ على شجرة في إحدى الغابات، إن ذلكم المدرس أيضاً تصلي عليه مخلوقات الكوكب.

- والوالدان اللذان يوجهان أولادهما إلى إعادة تدوير المواد المستخدمة في المنزل قدر الاستطاعة، وإلى رمي المخلفات في صناديق القمامة المخصصة لها، واللذان يعاتبان ولدهم بلطف إن رمى كيس الفشار على الأرض، ثم هما يطبقان هذا التوجيهات ليكونا قدوة فعلية لأولادهما -هما أيضا يدخلان في هذا الدعاء.

- والناشط البيئي الذي يوضح للناس توازن البيئة، ويحذرهم من خطورة رمي مخلفاتهم في المياه على سكان المياه (الحوت أنموذجاً) وكذا مخاطر تلويث التربة بالمخلفات الصناعية على سكان التربة (النملة أنموذجاً) لا بد أن يصلي عليه الحوت والنملة.

- والباحثون الذي يجوبون الأرض بجبالها وقفارها وبحارها ليرصدوا بموازين العلم مدى اختلال موازين النظام الطبيعي، ثم يقيموا المؤتمرات وينشروا المجلات ليحذروا الإنسانية من تماديها في تلويث السماء والأرض والمياه، هم أيضا تصلي عليهم المخلوقات من النملة إلى الحوت.

- والسياسيون وأصحاب القرار الذين شعروا بخطر الانحباس الحراري على مستقبل الإنسانية فطالبوا الأمم من خلال مساراتها الرسمية لسن القوانين التي تحد من تفاقم ذلك الخطر، هم أيضاً لهم نصيب من صلاة النملة والحوت.



عدالة العطاء الإلهي

لقد ذكرت لك أخي القارئ أختي القارئة نماذج من معلمي الناس الخير، ومنهم من قد يكون غير مسلم، وقد تستشكل قائلاً: كيف تحل عليهم صلاة الله وملائكته والكائنات وهم غير مسلمين؟

الجواب: إن الله سبحانه وتعالى عدل وأمر بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠].

والخلق كلهم عيال الله بمعنى أن الله هو من يرزقهم ويرعاهم، قال نبينا عليه صلوات الله: «الخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»[٢]. لذا فكل من يقدم إحساناً لخلق الله يستحق أن يعامله الله بالمثل، قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فإن كان من أهل الإيمان استحق رحمة الله في الدنيا ونعيمه في الآخرة، قال الكريم سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].



وإن كان من أهل الكفران أعطاه ربه من فضله بما يستحقه كالتوسيع في الرزق والشهرة بين الخلق، قال جل وعلا: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]. أما يوم القيامة فإحسانه ذلك يذهب هباءً، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

معلمنا ﷺ وتعاليمه البيئية

إننا نحمد الله على نعمة سيدنا محمد صلوات الله عليه وأن جعلنا من مؤمنيه وتابعيه، فهو كما علمنا توحيد الله وعبادته للنجاة في الآخرة؛ علمنا كل صغيرة وكبيرة في شؤون حياتنا ومعاشنا للنجاة في الدنيا من كل ما يضرنا.

---

٢ مسند البزار، برقم: ٦٩٤٧.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فما علمنا ذلكم المعلم ﷺ الاقتصاد في استخدام الماء حتى في الطهارة للعبادة، فقد مر ﷺ بسعد رضي الله عنه وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف يا سعد؟»، قال: أفي الوضوء سرف؟، قال: «نعم، وإن كنت على نهر جار»[٣].

لأنه ﷺ يعلم بتعليم ربه أن سر الحياة هو في الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، لذا فأي خلل فيه يؤدي إلى الخلل بالحياة كلها.

- وعلمنا ﷺ الاقتصاد في المأكل والمشرب كيلا ننهك الأرض في طلب ملء بطوننا التي لا تشبع، فهو القائل ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شرًّا من بطن، حسب الآدمي لقيمات يُقِمن صلبه، فإن غلبت الآدمي نفسه، فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفَس»[٤].

حيث إن الإكثار من الأكل يؤدي إلى زيادة الطلب على الطعام، ولتغطية هذا الطلب يحمّل المزارعون أراضيهم فوق طاقتها بالزراعة المستديمة موسماً بعد موسم دون إراحتها كما كان يفعل أسلافهم، مما يؤدي إلى امتصاص ما في التربة من معادن ومواد مغذية فتجف التربة وتتصحر.

- وعلّمنا ﷺ الاقتصاد في ملبسنا وزينتنا وأبنيتنا كيلا نستنزف ثروات الأرض، فإن كل ما نملكه ونستخدمه في حياتنا مصدره الأرض، فملابسنا من خيوط مخلوقاتها قطناً وصوفاً وحريراً وغيرها، وآنيتنا وآلاتنا ومركباتنا من معادنها، وأبنيتنا من صخورها وترابها.. وكلما أسرفنا في التملك بما يزيد عن حاجتنا، أدى ذلك إلى اختلال توازنها الدقيق.

---

٣ مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٧٠٦٥.

٤ سنن ابن ماجه، برقم: ٣٣٤٩.



قال عليه أفضل صلاة وأزكى سلام: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة»[٥].

فهو ﷺ المترجم بقوله وفعله عن أمر الله تعالى في قوله:



﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

لأنه يعلم ﷺ أن الفساد في موازين بيئة الأرض الحساسة إنما يكون من أنانية الإنسان وحبه لنفسه، فهو فقط يفكر كيف يحصل على المزيد من الأموال والمتع والراحة ولا يهتم بمآل ونواتج ذلك على الطبيعة بل على الأجيال القادمة من نسله.

وصدق الله تعالى حين قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وخلاصة ما سبق أننا نحن سبب المشكلة، وبأيدينا فقط الحل إن عدنا إلى منهج الله الخالق لهذا الكون، هذا المنهج مسطور في تعليم القرآن المعصوم وتعاليم السنة العصماء على صاحبها الصلاة والتسليم.

وبداية الحل هو في تعليم الناس حب الطبيعة واحترامها، والاستفادة منها من غير إضرارها، والسعي بالإصلاح فيها، حتى نحصل بجدارة على بركة صلاة المخلوقات علينا من النملة إلى الحوت.

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومحبيه وجنده إلى يوم الدين.

---

٥ صحيح البخاري تعليقاً، كتاب اللباس.

المقاطعة «٢/٣»

تكييفات شرعية وتطبيقات نبوية وواقعية



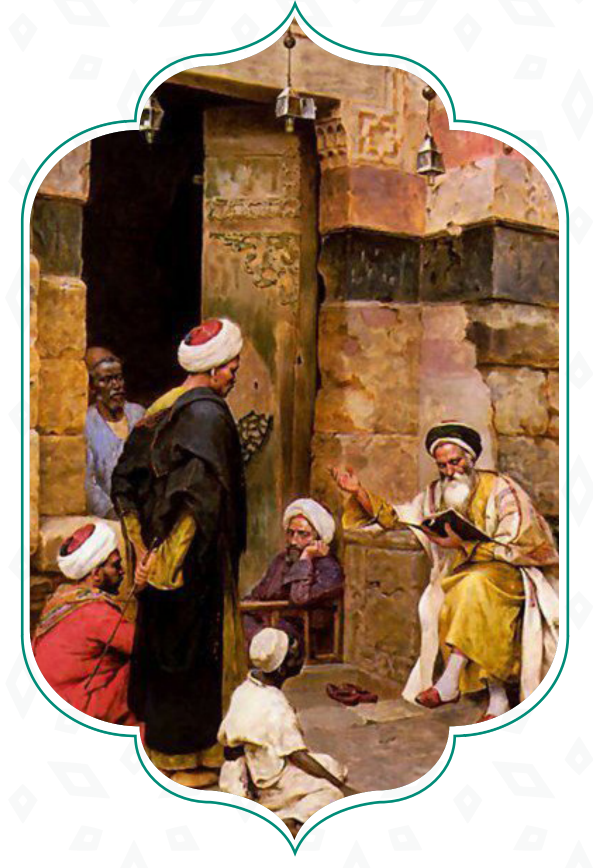
د. عبد السلام البسيوني

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

تطبيقات في المقاطعة .. مقاطعة المخالفين

في البخاري ومسلم من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، قال: نهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي، ولم ينهَ عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا، فلبثتُ

كذلك حتى طال عليّ الأمر، وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي عليّ النبي ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلي ولا يسلم عليّ فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ، حين بقي الثلث الآخر من الليل[1].



مقاطعة وهجر المبتدع

دخل ابن عمر رضي الله عنهما مسجدًا يصلي فيه، فسمع رجلًا يثوّب في أذان الظهر، فخرج، وقال: «أخرجتني البدعة»[2].

عن ابن مسعود أنه وقف على قصّاص، فقال له: «لقد ابتدعت بدعة ضلالة؛ أو إنك لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه». فتفرق الناس عنه حتى لم يبقَ عنده أحد[3].

مقاطعة الظلمة

تجب مقاطعة الظالم؛ إذ لا يتولاه إلا ظالم مثله: قال تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

١ البخاري ٤٦٧٧، ومسلم ٢٧٦٩.

٢ إرواء الغليل ٢٣٦.

٣ الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/١٠٠.



وقال تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

وروى ابن حبان مرفوعًا: «ليأتينّ عليكم أمراء يقرّبون شرار الناس، ويؤخّرون الصلاة عن مواقيتها؛ فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفًا ولا شرطيًا ولا جابيًا ولا خازنًا»[٤].

وقال رجل للإمام أحمد: ترى أني من أعوان الظلمة؟ قال له: وما تصنع؟ قال: خياطهم، فقال: «لا، بل أنت منهم، إنما أعوانهم الذي يبيعك الخيطان والإبرة»[٥].

وقال السجان لأحمد بن حنبل: هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال: «لا، أنت من الظلمة؛ إنما أعوان الظلمة من أعانك في أمر»[٦].

وعن مقاطعة المشركين للمؤمنين، فجورًا وتضييقًا: جاء في (الرحيق المختوم):

زادت حيرة المشركين إذ نفدت بهم الحيل، ووجدوا بني هاشم وبني المطلب مصممين على حفظ نبي الله ﷺ والقيام دونه، كائنًا ما كان، فاجتمعوا في خيف بني كنانة من وادى المحصب فتحالفوا على بني

---

٤ ابن حبان ٤٥٨٦.

٥ إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة، ص٢٥٣.

٦ صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص٤٣٥.

هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلّموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل.

تم هذا الميثاق وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب، مؤمنهم وكافرهم -إلا أبا لهب تبت يداه- وحُبسوا في شعب أبي طالب، وذلك فيما يقال ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة.

واشتد الحصار، وقطعت عن المسلمين الميرة والمادة، فلم يكن المشركون يتركون طعامًا يدخل مكة ولا بيعًا إلا بادروه فاشتروه، حتى بلغهم الجهد، والتجؤوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرًا، وكانوا لا يخرجون من الشعب لاشتراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم، وكانوا يشترون من العير التي تَرِد مكة من خارجها، ولكن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في السلعة قيمتها حتى لا يستطيعوا شراءها.

شعب أبي طالب

وكان حكيم بن حزام ربما يحمل قمحًا إلى عمته خديجة رضي الله عنها، وقد تعرض له مرة أبو جهل فتعلق به ليمنعه، فتدخل بينهما أبو البختري ومكّنه من حمل القمح إلى عمته.

وكان أبو طالب يخاف على رسول الله ﷺ، فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله ﷺ أن يضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ، وأمره أن يأتي بعض فرشهم.

وكان رسول الله ﷺ والمسلمون يخرجون في أيام الموسم، فيلقون الناس، ويدعونهم إلى الإسلام، وقد أسلفنا ما كان يأتي به أبو لهب.

مر عامان أو ثلاثة أعوام والأمر على ذلك، وفي المحرم سنة عشر من النبوة نُقضت الصحيفة، وفُك الحصار؛ وذلك أن قريشًا كانوا بين راضٍ بهذا الميثاق يريد أن يدوم، وكاره له يسعى في نقضه. وكان مَن سعى في نقضه: هشام بن عمرو، من بني عامر بن لؤى -وكان يصل بني هاشم في الشعب مستخفياً بالليل بالطعام- فإنه ذهب إلى زهير بن أبي أمية المخزومي -وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب- وقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وأخوالك بحيث تعلم؟

فقال: ويحك، فما أصنع وأنا رجل واحد؟ أما والله لو كان معي رجل آخر لقمتُ في نقضها. قال: قد وجدت رجلًا. قال: فمن هو؟ قال: أنا. قال له زهير: أبغنا رجلًا ثالثًا. فذهب إلى المطعم بن عدي، فذكره أرحام بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف، ولامَه على موافقته لقريش على هذا الظلم، فقال المطعم: ويحك، ماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانيًا، قال: من هو؟ قال: أنا. قال: أبغنا ثالثًا. قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، قال: ابغنا رابعًا.



فذهب إلى أبي البختري بن هشام، فقال له نحوًا مما قال للمطعم، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا معك، قال: أبغنا خامسًا. فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمى له القوم، فاجتمعوا عند الحجون، وتعاقدوا على القيام بنقض الصحيفة، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير عليه حُلة، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة!

قال أبو جهل، وكان في ناحية المسجد: كذبت، والله لا تُشق. فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كُتبت. قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نقر به. قال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كُتب فيها. وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قُضي بليل، وتُشوور فيه بغير هذا المكان. وكان أبو طالب جالسًا في ناحية المسجد، وإنما جاءهم لأن الله كان قد أطلع رسوله ﷺ على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأَرَضة، فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله عز وجل، فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبًا خلّينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت.

وبعد أن دار الكلام بين القوم وبين أبي جهل، قام المطعم إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم)، وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله. ثم نقض الصحيفة وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب.

وأول اشتباك بين المسلمين والمشركين كان حربًا اقتصادية

ويظهر للمتتبع لأحداث السيرة السابقة لغزوة بدر الكبرى، أن النبي ﷺ لم يرِد وقوع المعركة، ولم يتهيأ للخروج لها أصلًا، وإنما خرج هو والصحابة الكرام رضوان الله عليهم؛ ليستردوا بعض ما نهبه كفار قريش منهم في مكة، من خلال اعتراض قافلة من القوافل التجارية المحملة بالبضائع والأموال لقريش، فكان السبب الحقيقي والمباشر لخروجه ﷺ هو استرداد شيء من الحقوق المالية التي نهبها كفار قريش، ويدلك على ذلك قول الله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ * يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ * وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٥-٧].

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب إليهم المسلمين، وقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها». فانتدب الناس، فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا[٧].



- ومن القطيعة والهجر على المعصية ما ورد:

أن عبد الله بن الزبير قال -في بيع أو عطاء أعطته عائشة-: والله لتنتهِينّ عائشة أو لأحجرنّ عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله عليّ نذْر، ألّا أكلم ابن الزبير أبدًا.

فاستشفع ابن الزبير إليها، حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبدًا، ولا أتحنث إلى نذري. فلما طال ذلك على ابن الزبير، كلم المِسْوَر بن مَخرمة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وهما من بني زهرة، وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة، فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي.

فأقبل به المسور وعبدالرحمن مشتملين بأرديتهما، حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كلنا؟ قالت: نعم، ادخلوا كلكم، ولا تعلم أن معهما ابن الزبير، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبدالرحمن يناشدانها إلا ما كلمته، وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمتِ من الهجرة، فإنه: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال».

٧ صححه الشيخ الألباني في: تحقيق فقه السيرة، ص٢١٨.

فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج، طفقت تذكرهما نذرها وتبكي وتقول: إني نذرت، والنذر شديد، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبةً، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك، فتبكي حتى تبل دموعها خمارها[8].

وفي مقاطعة المشركين، وإخراجهم من مكة:

جاء: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنًى: ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منًى ببراءة، وألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[9].

ومن بدائع الحصار الاقتصادي:

ما فعله سيدنا ثمامة بن أثال رضي الله تعالى عنه، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلًا قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة ابن أثال،

---

٨ البخاري ٦٠٧٤.

٩ البخاري ٤٦٥٥، ومسلم ١٣٤٧.

سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسَل تُعط منه ما شئت.



فقال رسول الله ﷺ: أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ! والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإنّ خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر. فلما قدِم مكة قال له قائل: أصبوتَ؟ فقال: لا ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ! ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حِنطة، حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتبوا إلى النبي ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم. فكتب إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل إليهم[١٠].

---

١٠ فتح الباري ١١١/٨.

قال الشاعر:

وثمامة بن أثال الحنفي قد •• نفض الغبار عن الحقيقة وابتهلْ

وأبَى على الكفار حبة حنطة •• إلا إذا أذن الرسول وقد فعلْ

- **ويشبه هذا ما فعله أبو بصير رضي الله تعالى عنه، ففي البخاري عن نتائج الحديبية:**

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير -رجل من قريش- وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا. فاستله الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت. فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برَد.

وفرّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: لقد رأى هذا ذعرًا. فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل والله صاحبي، وإني لمقتول! فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد -والله- أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله. فقال النبي ﷺ: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد.

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى (سيف البحر)، قال: وانفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم.



حتى أنهكوا قريشًا وأعنتوها، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم، لما أرسل، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٤-٢٦]"[11].

وللحديث بقية في المقال القادم والأخير حول المقاطعة، إن شاء الله.

---

١١ البخاري ٢٧٣١.

نحو علم للشمائل النبوية (٣/٣)



د. وصفي عاشور أبو زيد

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

٤. كتاب «الشّمائل المحمدية والخصائص المصطفوية» ومؤلفه

الآن حان الوقت أن ندلف إلى أول كتابٍ، وهو يعتبر أول كتاب وصلنا في الحقيقة من الكتب، وهو كتاب «الشّمائل المحمدية والخصائل المصطفوية» للإمام أبي عيسى محمد بن سَوْرَة الترمذي المولود سنة ٢٠٩ هجرية، والمتوفى سنة ٢٧٩ هجرية، يعني في القرن الثالث الهجري، رحمه الله تعالى، ورضي عنه أرضاه.

٠١. عن الإمام الترمذي:

هو الإمام الترمذي، قال عنه الإمام ابن الأثير في كتاب «الكامل»، وهويتحدث قال: «ثمّ دخلت سنة تسعٍ وسبعين ومائتين» ذكر بعض الأحداث التّاريخية، ثم بعد ذلك قال: «وَفِيهَا تُوُفِّيَ أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ التِّرمِذِيُّ السُّلَمِيُّ بِتِرْمِذَ [ترمذ هذه الآن في شمال إيران] فِي رَجَبٍ، وَكَانَ إِمَامًا حَافِظًا لَهُ تَصَانِيفُ حَسَنَةٌ، مِنْهَا: «الْجَامِعُ الْكَبِيرُ» فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ أَحْسَنُ الْكُتُبِ، وَكَانَ ضَرِيرًا[١]، وقد اختلف الناس هل ولد وهو ضرير أم طرأ له بعد ذلك؟ وقد اختلف النّاس هل وُلد وهو ضرير أم طرأ له بعد ذلك؟ والرّاجح أنه وُلد بصيراً، وصار ضريراً بعد ذلك، بعدما عاش سنين عديدة [انتهى كلام ابن الأثير].



الإمام ابن كثير في البداية والنهاية له كلام مهم عن الإمام الترمذي يقول ابن كثير: «وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ

---

١ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ) ،الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م : (ج٦، ص١٧٤).



سَوْرَةَ بْنِ مُوسَى بْنِ الضَّحَّاكِ، وَقِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ يَزِيدَ بْنِ سَوْرَةَ بْنِ السَّكَنِ، وَيُقَالُ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ بْنِ شداد بن عيسى السُّلمي الترمذي الضرير، يقال إِنَّهُ وُلِدَ أَكْمَهَ، وَهو أَحَدُ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ فِي زَمَانِهِ [طبعاً الإمام الترمذي تلميذ الإمام البخاري، وتلميذ الإمام مسلم، والإمام البخاري له حديثٌ رواه عن الترمذي، وهذا ما يعرف في الصّنعة الحديثية برواية الأكابر عن الأصاغر]، وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ هَذَا الشَّأْنِ فِي زَمَانِهِ [يعني: من أئمة السنّة النبوية]، وَلَهُ الْمُصَنَّفَاتُ الْمَشْهُورَةُ، مِنْهَا الجامع، والشمائل، وأسماء الصَّحابَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَكِتَابُ الْجَامِعِ أَحَدُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ فِي سَائِرِ الْآفَاقِ»[٢].

الكتب الستّ هي: صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه، وسنن النّسائي .. هذه هي «الأصول الستّة»، الجوامع في السنة النبوية.

الحافظ ابن كثير يقول[٣]: «رَوَى عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ منهم محمد بن إسماعيل البخاري في الصَّحِيحِ، وَالْهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ الشَّاشِيُّ صَاحِبُ الْمُسْنَدِ، ومحمد بْنِ مَحْبُوبٍ الْمَحْبُوبِيُّ، رَاوِي الْجَامِعِ عَنْهُ،

---

٢ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م: (ج١١، ص٦٧).
٣ ابن كثير، البداية والنهاية (ج١١، ص٦٧).

وَمُحَمَّدُ بن المنذر بن شكر، قَالَ أَبُو يَعْلَى الْخَلِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَلِيلِيُّ الْقَزْوِينِيُّ فِي كِتَابِهِ عُلُومِ الْحَدِيثِ: مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ سَوْرَةَ بْنِ شَدَّادٍ الْحَافِظُ متفق عليه، له كتاب في: السنن وكتاب في الجرح والتعديل، روى عنه أبو محبوب والأجلاء، وهو مشهور بالأمانة والإمامة وَالْعِلْمِ، ذكره الحافظ أبو حاتم بن حيان فِي الثِّقَاتِ، فقَالَ: «كَانَ مِمَّنْ جَمَعَ وَصَنَّفَ وَحَفِظَ وَذَاكَرَ»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «كَتَبَ عَنِّي الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ: «لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُجْنِبُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غيري وغيرك»»، وروى ابن يقظة فِي تَقْيِيدِهِ [يعني التّرمذي، وهنا سيتحدث عن الجامع جامع الترمذي الذي هو سنن الترمذي يقول]: عَنِ التِّرمِذِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «صَنَّفْتُ هذا المسند الصّحيح وعرضته عَلَى عُلَمَاءِ الْحِجَازِ فَرَضَوا بِهِ، وَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ فرضوا بِهِ، وَعَرَضْتُهُ عَلَى عُلَمَاءِ خُرَاسَانَ فَرَضُوا بِهِ، وَمَنْ كَانَ فِي بَيْتِهِ هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي ينطق، وفي رواية يَتَكَلَّمُ، [من يحُز سنن الترمذي، وجامع الترمذي صاحب الكتاب هو الذي يقول هذا، من كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبيٌّ يتكلم].



- أيضاً الحافظ ابن كثير يقول: «والّذي يظهر من حال الترمذي أَنَّهُ إِنَّمَا طَرَأَ عَلَيْهِ الْعَمَى بَعْدَ أَنْ رَحَلَ وَسَمِعَ وَكَتَبَ، وَذَاكَرَ وَنَاظَرَ وَصَنَّفَ، ثُمَّ اتفق موته في بلده في رجب منها على الصحيح المشهور، والله أعلم».

هذا ما قاله الإمامان ابن الأثير وابن كثير.

- أيضاً للإمام الذهبي قول فيه، واخترت لكم هذا الكتاب «نزهة الفضلاء في تهذيب

سير أعلام النّبلاء»[٤]، هذّبه فضيلة الشيخ الدّكتور محمد بن موسى الشريف [فكّ الله تعالى أسره]، تحدث عن الإمام الترمذي في صفحة تقريباً، حيثُ ذكر اسمه وما له من مؤلفات، وأورد أقوالاً كثيرةً جداً عنه، قال الحاكم: سمعت عمر بن علك يقول: «مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل «أبي عيسى» في العلم والحفظ والورع والزّهد، بكى حتى عميَ وبقي ضريراً»، [وهذا فيما أحسب سر محبة الإمام الترّمذي، وشيوع كتبه، وتداولها بين الناس، كان يبكي كثيراً من خشية الله حتى عميَ من البكاء من خشية الله، رضي الله تعالى عنه].



- أبو عيسى قال: «كنتُ في طريقٍ فكتبتُ جزأين من حديث شيخ، فوجدته فسألته وأنا أظن أن الجزأين معي، فسألته فأجابني فإذا معي جزأ بياض، فبقي يقرأ عليّ من لفظه، فنظر فرأى في يدي ورقاً بياضاً، فقال: أما تستحي مني؟ فأعلمته بأمري وقلتُ أحفظه كله، قال: اقرأ فقرأته عليه فلم يصدّقني، وقال: استظهرت قبل أن تجيء، [يعني: قبل أن تجيء إليَّ حفِظتَ الحديث]، فقلتُ: حدّثني بغيره، فحدّثني بأربعين حديثاً، وقال: هات، فأعدتها عليه ما أخطأت في حرف، [عدم الخطأ هذا من أول اللّقاء أو من أول كلمة، يدلُّ على مدى صفاء القلب، ومدى صفاء العقل، والذهن، ومدى حضور وحِدّة ودقّة الحافظة، وهذا لا يتأتّى إلا بطاعة الله تعالى، والبعد عن المعاصي].

---

٤ الشريف، محمد بن موسى الشريف، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م: ٣/ ١٠٨٠-١٠٨١.

وقال الإمام الذهبي «في الجامع [يعني في جامع سنن الترمذي] علمٌ نافع، وفوائد غزيرة، ورؤوس المسائل، وهو أحد أصول الإسلام، لولا ما كدّره بأحاديث واهية بعضها كثيرٌ منها في الفضائل»، كثير من الأحاديث الواهية جاءت في الفضائل يعني لا يضره شيء، قلتُ [يعني الإمام الذهبي] جامعه قاضٍ له بإمامته، وحفظه وفقهه، ولكن يترخص في قول الأحاديث، ولا يشدّد، ونفسه في التّضعيف رخوٌ. ويقول المنصور لابن طاهر: سمعتُ أبا إسماعيل شيخ الإسلام [الهروي] يقول: «جامع الترمذي أنفعُ من كتاب البخاري ومسلم؛ لأنهما لا يقف منهما إلا المتبحر العالم، والجامع يصل إلى فائدته كل أحد»[٥]، هذا ما يتعلق بالإمام الترمذي.

٤. ٢. عن كتاب الشمائل المحمدية للترمذي:

يعتبر كتاب «الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية» من أجمل ما أُلّف في الشّمائل النبوية، ومن أعظم ما وصلنا في بابه، ويكفي فقط أن نعرف اهتمام الأمّة بهذا الكتاب، وهذه الطبعة التي بين أيدينا بتحقيق الأستاذ «عبده علي كوشك»، وفي نطق آخر «كوجك» بالجيم، وقدّم له الشيخ «عبد القادر الأرناؤوط» [رحمه الله تعالى].

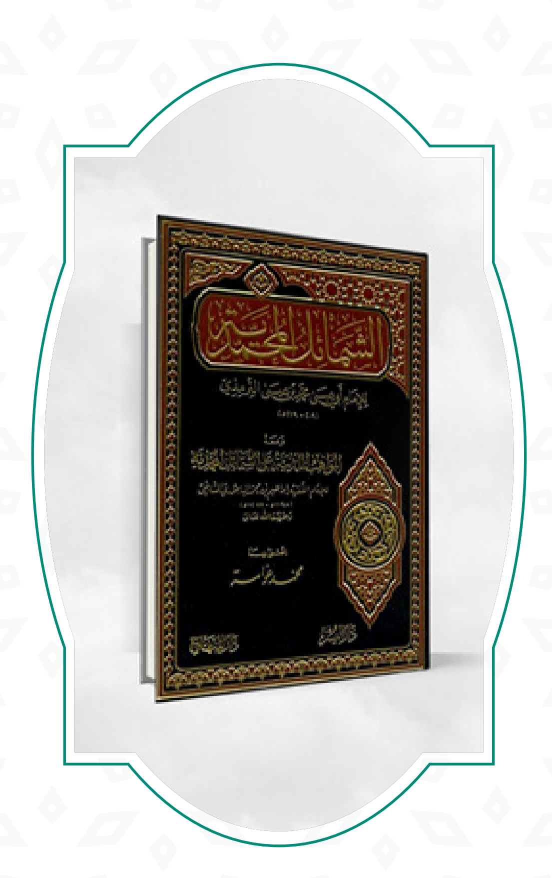
٤. ٣. اهتمام الأمة بكتاب الشمائل للترمذي شرحًا واختصارًا:

وقد أحصى الأستاذ «عبده علي كوشك» اثنين وسبعين شرحاً لهذا الكتاب، وهو لم يأت على كل الشّروح، وإنما هذا ما وقف عليه اثنين وسبعين شرحاً لشمائل الترمذي؛ كما أحصى خمسة عشر مختصراً

---

٥ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م: ١٣/ ٢٧٠-٢٧٧.

[هناك ٥١ مختصر] اختصر بها هذا الكتاب؛ الشّمائل المحمدية للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله تعالى، حسبنا فقط أن نقرأ بعض الشروح لهذا الكتاب في مقدمة المحقق ودراسته عن الكتاب[٦].



وهذا الكتاب ضمّ بين دفتيه [٤٠٢ حديث]، وزعت على ستةٍ وخمسين باباً، طبعاً في موسوعة الشمائل ألف ومائة، هنا في شمائل الترمذي ستةٌ وخمسون باباً لكل بابٍ عنوان تم اختياره بدقة، وأخرج تحته أحاديث أو أكثر يخدم الغرض من الترجمة.

٤. ٥.شهادات العلماء بحق شمائل الترمذي:

نمرّ الآن على بعض الشّهادات المتعلقة به، يقول المحقق: «للترمذي شرف السّبق في جمع شمائله في مصنفٍ مفرد، وكانت قبله مبثوثة في تضاعيف الصّحاح»، وهذا الكلام غير مُسلَّم لأنّنا ذكرنا كتباً قبل الإمام الترمذي كتباً.

أحد شرّاح الشّمائل المحمدية للتّنبيه؛ الإمام الملا القاري يقول في كتابه: «جمع الوسائل في شرح الشمائل»، قال: «ومن أحسن ما صنّف في شمائله وأخلاقه ﷺ كتاب الترّمذي، المختصر الجامع في

---

٦ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي، أبو عيسى (ت:٢٧٩هـ)، الشمائل النبوية، تحقيق: محمد علي كوشك، وقف مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، مملكة البحرين، الطبعة الخامسة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م: ٩-٢١.

سيرته على الوجه الأتم، بحيث إنّ مطالع هذا الكتاب كان يطالع طلعة ذلك الجناب، يعني: مَن يطالع هذا الكتاب كأنّه يطالع طلعة هذا الجناب، كأنما يطالع وجه النّبي ﷺ وجسده الشريف، ويرى محاسنه الشّريفة في كل باب[٧].



- العلامة الشيخ محمد عبد الرؤوف المُناوي له أيضاً شرح للشّمائل يقول فيه: «وعالم الدّراية الإمام الترمذي جعل الله قبره روضةً عَرفها أطيب من المسك الشذّي، [عَرفها يعني رائحتها] كتابٌ وحيدٌ في بابه، فريدٌ في تركيبه واستيعابه، سلك فيه عد ذلك الكتاب من المواهب وطار في المشارق والمغارب»[٨].

- الإمام الشيخ العالم الفقير محمد ابن قاسم ابن محمد جسوس المتوفى سنة ١٠٨٢ له شرح للشمائل يقول فيه: «وبعدُ، فلمّا كان كتاب الشّمائل من أحسن ما ألف في محاسن الوسائل، ومنبع الفضائل، وكان الاشتغال به خدمةً لشفيع الخلائق الأواخر منهم والأوائل، ووسيلةً إلى امتلاء القلوب بتعظيمه ومحبته، وطريقا إلى اتّباع طريقته وسنته، ومعيناً على الفوز بمشاهدة كريم طلعته .. قيَّدتُ عليه عند إقرائه وقراءاته فوائد وتحقيقات وتنبيهات بينات تغني الناظر فيه عن كثير من المجلدات»[٩].

---

٧ القاري، نور الدين ملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري (ت:١٠١٤هـ)، جمع الوسائل في شرح الشمائل، المطبعة الشرفية، مصر، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وإخوته، د.ت. د.ت:١/ ٢.

٨ المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، (ت: ١٠٣١هـ)، شرح الشمائل على هامش جمع الوسائل للقاري، المطبعة الشرفية، مصر، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وإخوته، د.ت. د.ت: ٢.

٩ جسوس، محمد بن قاسم جسوس (ت: ١١٨٢هـ)، الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية، مطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٠هـ: ٢.

- شيخ الأزهر العالم الفقيه إبراهيم الباجوري توفى سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين هجرية، له تعليقات وشرح على الشمائل أيضاً اسمها: «المواهب اللدنية على الشّمائل المحمدية»، يقول رحمه الله تعالى: «إن كتّاب الشمائل لعالم الرّواية وعالم الدّراية الإمام التّرمذي، كتّابٌ وحيدٌ في بابه، فريدٌ في ترتيبه واستيعابه، لم يأت له أحدٌ بمماثلٍ ولا بمشابه، سلك فيه منهجاً بديعًا، ورصّعه بعيون الأخبار وفنون الآثار ترصيعًا، حتّى عُدّ ذلك الكتّاب من المواهب، وطار في المشارق والمغارب».

- العلامة أحمد شاكر في مقدمة الجامع الصحيح وهو يعدّد مؤلفات الترمذي قال: «وكتّاب الشّمائل، وهو كتّابٌ نفيسٌ معروف مشهورٌ»[١٠].



يتبين من هذا أن العلماء اهتموا بهذا الكتّاب، اهتماما كبيرا، والكلام موجود في «مقدمة الكتّاب» من الصفحة التاسعة حتى الصّفحة التاسعة عشرة؛ [يعني: عشر صفحات]، ذكر فيها شروح الترمذي، كما قلنا أحصى اثنين وسبعين شرحاً، أمّا المختصرات فقد عدَّ منها خمسة عشر مختصراً آخرها «منية السائل خلاصة الشمائل» للعلامة محمد بن عبد الحي الكتّاني، وللشّيخ الألباني

---

١٠ الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الغورية، القاهرة، الطبعة الأول، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م: ١/٩٠.

مختصر مفيد، ومحمود سامي بيك مختصر، والفاسي المالكي مختصر، ومحمد بن جعفر الكتّاني مختصر، والفقيه محمد بن مصطفى البكري الفلسطيني مختصر، ومحمد بن خليل الحكيم ذكره بروكلمان، وأيضاً «العطر الشّذي في شرح مختصر شمائل الترمذي» للشّيخ الشّرنوبي.



وهكذا، فإن كثيرا من النّاس اهتموا به، وهذا يدلك على عظمة هذا الكتاب، وعلى قيمته وسبقه، وعلى فرادته أهميته، وهذا كلّه جعله محلّ اهتمام، ومحل اعتناء، ومحلّ رعاية، وأصبح من الشّهرة بمكان، يتحدث المؤلف أو المحقّق بعد ذلك عن [رجال الشّمائل] «الرّجال» يعني بذلك رجال الشّمائل، يعني بذلك الأسانيد التي وردت في أحاديث هذا الكتاب، والتي اعتمد الإمام التّرمذي الرّواية عنها، وطبعاً هذا الكتاب ترجم إلى غير العربية، ترجمة تركية وأوردية، وعدد آخر من اللغات، اعتمد المحقق أربع نسخ خطّية، حقّق بها هذا الكتاب، ثم أورد ترجمةً موجزةً للمؤلّف.

٤. ٦. السند إلى الإمام الترمذي في رواية الشمائل

(أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ الضابط الزاهد الورع عز الدين أبو محمد عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن العجمي قراءة عليه ونحن نسمع بحلب «حرسها الله» في ثاني عشر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة قال:

- أخبرنا الشيخ الإمام كمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن النصيبي قراءة عليه في سنة ثمان وثمانين وستمائة قال:

- أخبرنا الشيخ الإمام العالم الحافظ الزاهد الورع الشريف افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قراءة عليه بحلب في عشرين شهر رجب من سنة ثلاث عشرة وستمائة قال:

- أخبرنا الأديب أبو حفص عمر بن علي بن أبي الحسين الكرابيسي -يعرف بشيخ- والشيخ الصاين أبو علي الحسن بن بشير بن عبد الله النقاش قراءة عليهما في يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى سنة ست وأربعين وخمس مئة بمدينة بلخ ، والشيخ الإمام أبو شجاع عمر بن محمد بن عبد الله البسطامي قراءة عليه ببلخ أيضا، والشيخ الزاهد أبو الفتح عبد الرشيد بن النعمان بن عبد الرزّاق الولوالجي لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمس مئة بسمرقند قالوا جميعا:

- أخبرنا الدهقان أبو القاسم أحمد بن محمد بن محمد البلخي قراءة عليه قال:

- أخبرنا الشيخ الشريف أبو القاسم علي [بن محمد] بن أحمد الخزاعي قال:

- أخبرنا الأديب أبو سعد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل الشاشي قال:

- أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ الترمذي). انتهى السند[11].

***

---

١١ الترمذي، الشمائل النبوية، تحقيق كوشك: ٣٥-٣٧.



رحم الله الإمام الترمذي، وجزاه عن وعن ديننا ورسولنا أحسن الجزاء، ونفعنا بما ترك من علم نافع وعمل صالح، وجمعنا به على حوض المصطفى ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

خاتمة البحث ونتائجه:

انتهى هذا البحث إلى أن الشمائل النبوية ليست مجرد مبحث من مباحث السيرة أو السنة، وإنما يمكن أن يكون علما مستقلا، وفنا قائما بذاته من فنون السيرة أو السنة، وليس هذا بمستغرب؛ فقد كانت السيرة نفسها جزءا من كتب السنة، وكان التفسير جزءا من كتب السنة، ثم استقل هذا وذاك حتى صار علما مستقلا، وآن الأوان للشمائل النبوية أن تكون علما مستقلا.

والذي يعزز هذا هو أن المبادئ العشرة للشمائل النبوية قائمة ومستوفاة كما سبق بيانه، وله كذلك تاريخه، مما يعزز تأكيد هذه الفرضية التي استهدفناها، وهي أن المشاءل النبوية علما مستقلا.

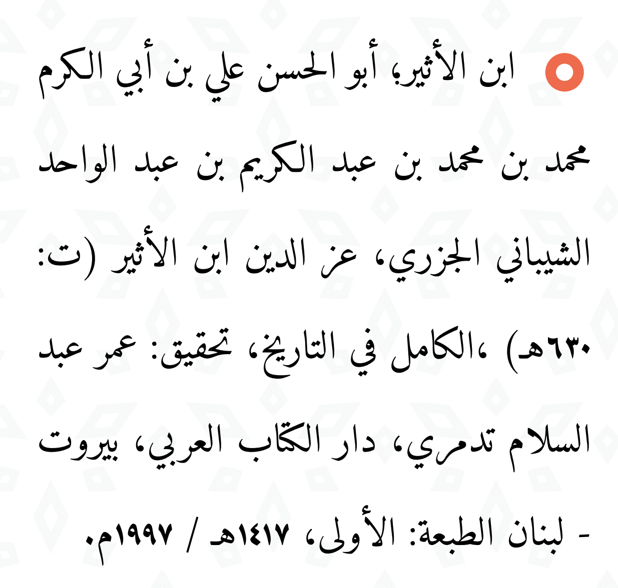
التوصيات:

أهمية التصنيف في الشمائل النبوية بوصفها علما له مبادئه وقضاياه وتاريخه وأعلامه، وجعل الشمائل مادة مستقلة في المعاهد الشرعية والكليات التي تدرس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والأخلاق الإسلامية.

أهم المراجع:



- القرآن الكريم.



- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ،الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي، أبو عيسى (ت: ٣٧٩هـ)، الشمائل النبوية، تحقيق: محمد علي كوشك، وقف مكتبة نظام يعقوبي الخاصة، مملكة البحرين، الطبعة الخامسة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السلمي الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر القاضي الشرعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الغورية، القاهرة، الطبعة الأول، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

- جسوس، محمد بن قاسم جسوس (ت: ١١٨٢هـ)، الفوائد الجليلة البهية على الشمائل المحمدية، مطبعة الجمالية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٠هـ.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الشامي، صالح أحمد الشامي، من معين الشمائل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الشريف، محمد بن موسى الشريف، نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة العاشرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠١١م.
- القاري، نور الدين ملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، جمع الوسائل في شرح الشمائل، المطبعة الشرفية، مصر، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وإخوته.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، (ت: ١٠٣١هـ)، شرح الشمائل على هامش جمع الوسائل للقاري، المطبعة الشرفية، مصر، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وإخوته.
- همام عبد الرحيم سعيد - محمد همام عبد الرحيم، موسوعة أحاديث الشمائل النبوية الشريفة، مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.






دورة بيوت النبي

دورة علمية يقدمها الدكتور/ **حاتم عبدالعظيم**، تتناول الحديث عن زوجات النبي ﷺ، ونسبهن وإسلامهن، وقصة زواج النبي بكل واحدة منهن، وكذلك الحديث عن التعاملات الأسرية في بيوت النبي ﷺ، والقواعد النبوية لبناء البيت المسلم، كما تستهدف رد الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ، وبيان الغاية والحكمة من ذلك.

أهداف الدورة

- التعريف بزوجات النبي ﷺ، ونسبهن.
- التعريف بقصة زواج النبي ﷺ بكل زوجة من زوجاته.
- بيان أهم المواقف في حياة كل زوجة من زوجات النبي ﷺ.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ معه كزوج.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ فيما بينهن.
- دفع الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ.

يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

بيوت النبي

 16 محاضرة  8 ساعات

كيف عاملهم

دورة علمية قدمها ثلة من العلماء المعتبرين تتناول الحديث عن أخلاق النبي ﷺ ومعاملاته مع كافة شرائح الناس، مثل تعامله مع أهل بيته، وأصحابه وأتباعه، وكذلك مع الشرائح الدعوية المختلفة، وكيف كانت أخلاقه مع مختلف أصناف البشر، وحتى مع غير البشر، من الجن والدواب وحتى الجمادات.

أهداف الدورة

- تكوين صورة متكاملة لأخلاق النبي ﷺ، ولكيفية تعامله مع الناس جميعًا.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع أهله وأقاربه.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الاجتماعية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الدعوية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع عموم النساء وكبار السن والصغار.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع غير البشر.
- بيان مركزية الأخلاق في الإسلام.
- تعميق محبة النبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- تعظيم قيمة الاقتداء بالنبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- بيان الأسس النبوية لبناء البيت المسلم.

 22 محاضرة  10 ساعات

يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

كيف عاملهم

الدورات العلمية القادمة









السيرة النبوية | غزوات النبي ﷺ | فقه الزكاة

لمتابعة كل جديد يرجى الاشتراك في صفحات التواصل الاجتماعي

@ansaracademy_

مناشط الأكاديمية في شهر رمضان















- ندوة هدي النبي في شعبان.
- برنامج هدي رسول الله في رمضان.
- دورة فقه الصيام.
- ندوة الاستثمار الأمثل لرمضان.
- ندوة هدي النبي في العشر الأواخر من رمضان.
- ندوة زكاة الفطر؛ الحِكَم والأحكام.



سلسلة شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء
الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

سلسلة شرح كتاب الشفا



كتاب السيرة النبوية بعدة لغات

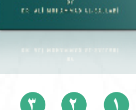
الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي



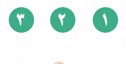


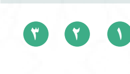
























١ ٢ | ١ ٢ ٣ | ١ ٢ | ١ ٢

مساحة إعلانية



الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية

التعليق على الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية لابن أبي العز الحنفي

تعليق الشيخ: مختار بن العربي مؤمن الجزائري الشنقيطي

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية



كتاب رياض الصالحين
للإمام النووي (صوتيا)

زبدة أحاديث السنة النبوية كما جمعها الإمام الكبير محيي الدين شرف النووي

بصوت الدكتور: بسام صهيوني

عضو مجلس الأمناء
للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

رابط الكتاب المسموع

يمكنك تحميله كتطبيق على الهاتف من هنا



أئمة الهدى

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾

•• من تراث علمائنا الراحلين ••

إحياء الموات وإعمار الأرض بالزرع والنبات ١٥٥
الإمام الشوكاني

البيئة في السنة النبوية الشريفة ١٦٥
د. عبد الله شحاتة

التلوث.. أسبابه وأضراره ١٧٦
أ.د وهبة الزحيلي

آداب استعمال الماء ١٨٥
علامة العراق: محمود شكري الألوسي

ضوابط التعامل مع موارد البيئة في حال الحرب ١٩٢
د. حسن أبو غدة



إحياء الموات وإعمار الأرض

بالزرع والنبات

الإمام الشوكاني

رحمه الله*

- عن جابر أن النبي ﷺ قال: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»[1].
- وفي لفظ: «من أحاط حائطاً على أرض فهي له»[2].
- وعن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وليس لعِرقٍ ظالمٍ حق»[3].
- وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من عَمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها»[4].
- وعن أسمر بن مضرس قال: أتيت النبي ﷺ فبايعته، فقال: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له». قال: فخرج الناس يتعادون يتخاطون[5].

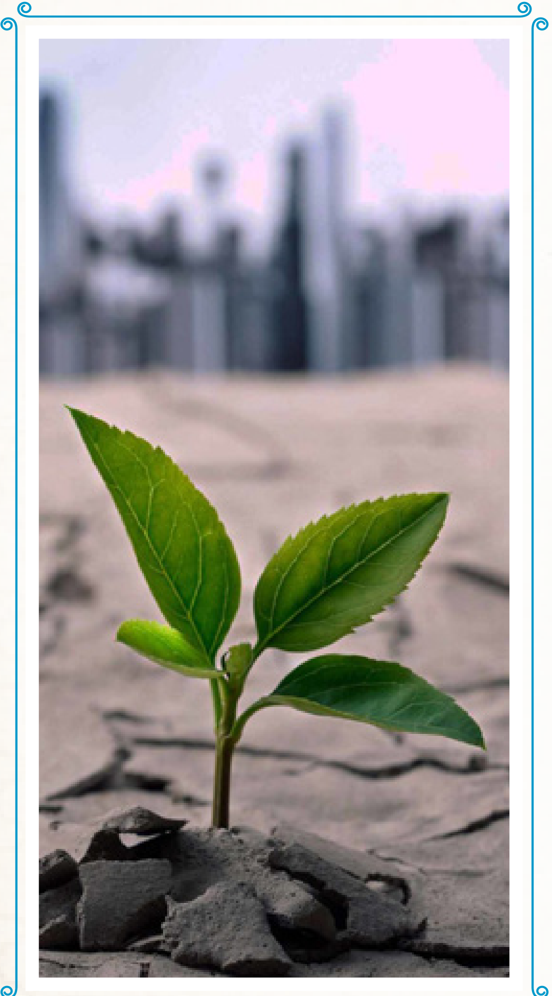


* محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تحقيق: عصام الصبابطي، ط1 (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٣م)، ٣٦١/٥ وما بعدها. (باختصار).

١ رواه أحمد والترمذي وصححه. ٢ رواه أحمد وأبو داود، ولأحمد مثله من رواية سمرة. ٣ رواه أحمد وأبو داود والترمذي.
٤ رواه أحمد والبخاري. ٥ رواه أبو داود.

قوله ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتة»

الأرض الميتة: هي التي لم تعمر، شبهت عمارتها بالحياة وتعطيلها بالموت، والإحياء أن يعمد شخص إلى أرض لم يتقدم مِلك عليها لأحد فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك مِلكه كما يدل عليه أحاديث الباب، وبه قال الجمهور.



وظاهر الأحاديث المذكورة أنه يجوز الإحياء، سواء كان بإذن الإمام أو بغير إذنه، وقال أبو حنيفة: لا بد من إذن الإمام. وعن مالك: يحتاج إلى إذن الإمام فيما قرب مما لأهل القرية إليه حاجة من مرعى ونحوه، وبمثله قالت الهادوية.

قوله ﷺ: «من أحاط حائطاً»

فيه أن التحويط على الأرض من جملة ما يستحق به ملكها، والمقدار المعتبر ما يسمى حائطاً في اللغة.

قوله ﷺ: «وليس لعِرق ظالم حق»

قال في (الفتح): رواية الأكثر بتنوين «عِرق» و«ظالم» نعت له، وهو راجع إلى صاحب العرق: أي: ليس لذي عرق ظالم. أو إلى العرق: أي: ليس لعرق ذي ظالم. ويُروى بالإضافة ويكون الظالم صاحب العرق، ويكون المراد بالعرق الأرض، وبالأول جزم مالك والشافعي والأزهري وابن فارس وغيرهم.

وقال ربيعة: العرق الظالم يكون ظاهراً ويكون باطناً؛ فالباطن: ما احتفره الرجل من الآبار أو استخرجه من المعادن، والظاهر: ما بناه أو غرسه. وقال غيره: العرق الظالم مَن غرس أو زرع أو بنى أو حفر في أرض بغير حق ولا شبهة. قال الحافظ: وكأن المراد بالغير الإمام.

قوله: «يتعادون يتخاطون»

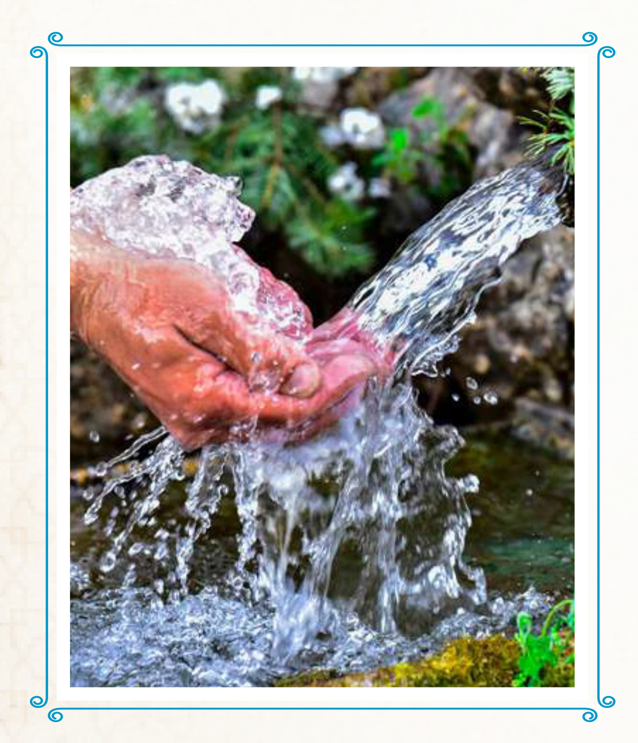
المعاداة: الإسراع بالسير، والمراد بقوله «يتخاطون»: يعملون على الأرض علامات بالخطوط، وهي تسمى الخطط واحدتها خطة، بكسر الخاء، وأصل الفعل يتخاططون فأُدغمت الطاء في الطاء، والتقييد بالمسلم في حديث أسمر يشعر بأن المراد بقوله في حديث عائشة: «ليست لأحد» أي: من المسلمين فلا حكم لتقدم الكافر، أما إذا كان حربياً.. فظاهر، وأما الذمي ففيه خلاف معروف.

باب النهي عن منع فضل الماء

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ»[٦].

ولمسلم: «لا يباع فضل الماء ليباع به الكلأ».

وللبخاري: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ».



---

٦ متفق عليه.

وعن عائشة قالت: نهى رسول الله ﷺ أن يُمنع نقع البئر[٧].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «من منع فضل مائه أو فضل كلئه، منعه الله عز وجل فضله يوم القيامة»[٨].

وعن عبادة بن الصامت: أن رسول الله ﷺ قضى بين أهل المدينة في النخل أن لا يمنع نقع بئر، وقضى بين أهل البادية أن لا يمنع فضل ماء ليمنع به الكلأ»[٩].



قوله ﷺ: «فضل الماء»

المراد به ما زاد على الحاجة، ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة بلفظ: «ولا يمنع فضل ماء بعد أن يستغنى عنه». قال في (الفتح): وهو محمول عند الجمهور على ماء البئر المحفورة في الأرض المملوكة، وكذلك في الموات إذا كان لقصد التملك.

والصحيح عند الشافعية ونصَّ عليه في القديم وحرملةُ، أن الحافر يملك ماءها وأما البئر المحفورة في الموات لقصد الارتفاق لا التملك، فإن الحافر لا يملك ماءها بل يكون أحق به إلى أن يرتحل. وفي الصورتين

---

٧ رواه أحمد وابن ماجه.

٨ رواه أحمد.

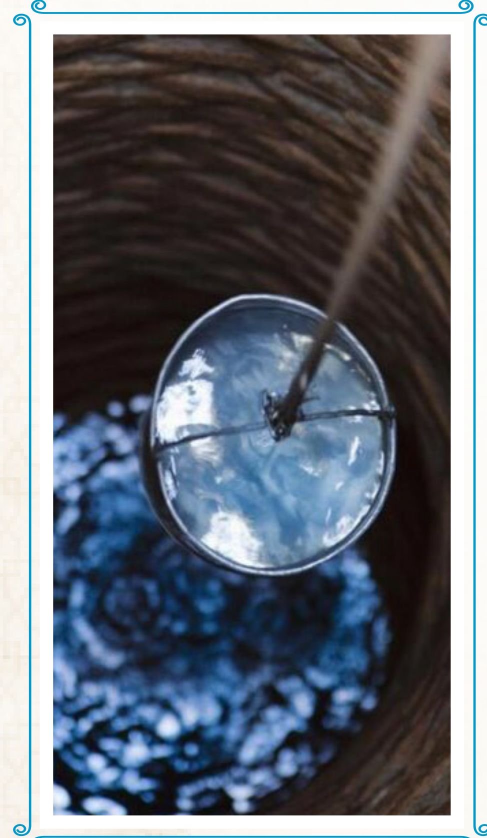
٩ رواه عبد الله بن أحمد في المسند. حديث عمرو بن شعيب في إسناده محمد بن راشد الخزاعي وهو ثقة وقد ضعفه بعضهم، لكن حديث أبي هريرة يشهد لصحة الأحاديث المذكورة بعده، ومما يشهد لصحتها حديث جابر عند مسلم: أن رسول الله ﷺ «نهى عن بيع فضل الماء» وحديث إياس بن عبد الله عند أهل السنن بنحوه وصححه الترمذي، وقال أبو الفتح القشيري: هو على شرطهما.

يجب عليه بذل ما يفضل عن حاجته، والمراد حاجة نفسه وعياله وزرعه وماشيته، هذا هو الصحيح عند الشافعية، وخص المالكية هذا الحكم بالموات، وقالوا في البئر التي لا تُملك: لا يجب عليه بذل فضلها، وأما الماء المحرز في الإناء فلا يجب بذل فضله لغير المضطر على الصحيح. اهـ.

قال في (البحر): والماء على أضرُب: حق إجماعاً، كالأنهار غير المستخرجة والسيول. ومِلك إجماعاً يُحرز في الجِرار ونحوها ومختلف فيه، كماء الآبار والعيون والقناة المحتفرة في الملك. اهـ.

والقناة: هي بفتح القاف الكظامة التي تحت الأرض، وسيأتي ذكر الخلاف في ذلك.

قال ابن بطال: لا خلاف بين العلماء أن صاحب الحق أحق بمائه حتى يروي، قال الحافظ: وما نفاه من الخلاف هو على القول بأن الماء يُملك، فكأن الذين يذهبون إلى أنه يملك -وهم الجمهور- هم الذين لا خلاف عندهم في ذلك.



وقد استدل بتوجه النهي إلى الفضل على جواز بيع الماء الذي لا فضل فيه، وقد تقدم الكلام على ذلك في البيع.

قوله ﷺ: «ليمنع به الكلأ»

بفتح الكاف واللام بعدها همزة مقصورة: وهو النبات، رطبه ويابسه، والمعنى: أن يكون حول البئر كلأ ليس عنده ماء غيره، ولا يمكن أصحاب المواشي رعيه إلا إذا مُكنوا من سقي بهائمهم من تلك البئر لئلا يتضرروا بالعطش بعد الرعي، فيستلزم منعهم من الماء منعهم من الرعي.

وإلى هذا التفسير ذهب الجمهور، وعلى هذا يختص البذل بمن له ماشية ويلحق به الرعاة إذا احتاجوا إلى الشرب؛ لأنه إذا منعهم من الشرب امتنعوا من الرعي هناك، ويحتمل أن يقال: يمكنهم حمل الماء لأنفسهم لقلة ما يحتاجون إليه منه بخلاف البهائم، والصحيح الأول، ويلتحق بذلك الزرع عند مالك.

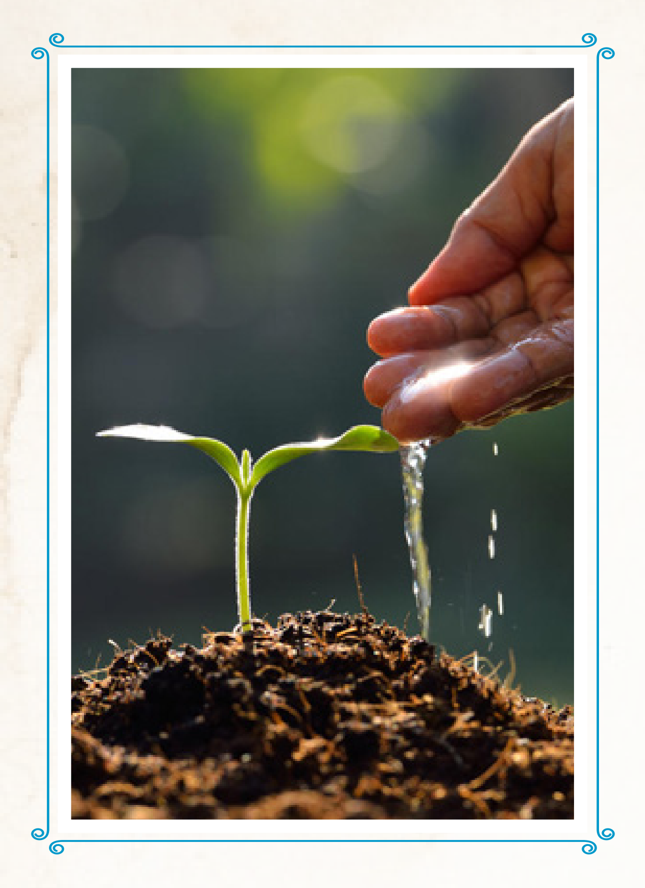
والصحيح عند الشافعية وبه قالت الحنفية: الاختصاص بالماشية، وفرّق الشافعي فيما حكاه المُزَني عنه بين المواشي والزرع بأن الماشية ذات أرواح يُخشى من عطشها موتها بخلاف الزرع، وبهذا أجاب النووي وغيره، واستدل لمالك بحديث جابر المتقدم لإطلاقه وعدم تقييده، وتعقب بأنه يُحمل على المقيد، وعلى هذا لو لم يكن هناك كلأ يرعى فلا مانع من المنع لانتفاء العلة. قال الخطابي: والنهي عند الجمهور للتنزيه. وهو محتاج إلى دليل يصرف النهي عن معناه الحقيقي وهو التحريم.

قال في (الفتح): وظاهر الحديث وجوب بذله مجاناً، وبه قال الجمهور. وقيل: لصاحبه طلب القيمة من المحتاج إليه كما في طعام المضطر، وتعقب بأنه يلزم منه جواز البيع حالة امتناع المحتاج من بذل القيمة ورد بمنع الملازمة فيجوز أن يقال: يجب عليه البذل وتثبت له القيمة في ذمة المبذول له، فيكون له أخذ القيمة منه متى أمكن. ولكنه لا يخفى أن رواية «لا يباع فضل الماء» ورواية «النهي عن بيع فضل الماء» يدلان على تحريم البيع، ولو جاز له أخذ العِوض لجاز له البيع.

قوله ﷺ: (نقْع البئر)

أي: الماء الفاضل فيها عن حاجة صاحبها. وفيه دليل على أنه لا يجوز منع فضل الماء الكائن في البئر، كما لا يجوز منع فضل ماء النهر، وأنه لا فرق بينهما، والنقع بفتح النون وسكون القاف بعدها عين مهملة.

باب: الناس شركاء في ثلاث



وشُرب الأرض العليا قبل السفلى إذا قل الماء أو اختلفوا فيه

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا يمنع الماء والنار والكلأ»[١٠].

وعن أبي خراش عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون شركاء في ثلاثة: في الماء والكلأ والنار»[١١].

وعن عُبادة أن النبي ﷺ قضى في شرب النخل من السيل أن الأعلى يشرب قبل الأسفل، ويترك الماء إلى الكعبين ثم يرسل الماء إلى الأسفل الذي يليه، وكذلك حتى تنقضي الحوائط أو يفنى الماء"[١٢].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ قضى في سيل مهزور أن يمسك حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسل الأعلى على الأسفل»[١٣].

---

١٠ رواه ابن ماجه. حديث أبي هريرة قال الحافظ: إسناده صحيح.
١١ رواه أحمد وأبو داود، ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس، وزاد فيه: «وثمنه حرام».
١٢ رواه ابن ماجه وعبد الله بن أحمد. حديث عبادة أخرجه أيضا البيهقي والطبراني وفيه انقطاع.
١٣ رواه أبو داود وابن ماجه. وحديث عمرو بن شعيب في إسناده عبد الرحمن بن الحارث المخزومي المدني تكلم فيه الإمام أحمد وقال الحافظ في الفتح: إن إسناد هذا الحديث حسن.

قوله ﷺ: (الماء)

فيه دليل على أن الناس شركة في جميع أنواع الماء من غير فرق بين المُحرَز وغيره، وقد تقدَّم في الباب الأول أن الماء المحرز في اِلجرار ونحوها مِلك إجماعاً، ومِن لازِم المِلك الاختصاص وعدم الاشتراك بين غير منحصرين كما يقضي به الحديث. فإن صح هذا الإجماع كان مخصصاً لأحاديث الباب. وأما ماء الأنهار فقد تقدم أنه حق بالإجماع.

واختُلف في ماء الآبار والعيون والكظائم، فعند الشافعية والحنفية وأبي العباس وأبي طالب: أنه حق لا مِلك، واستدلوا بأحاديث الباب، وقال الإمام يحيى والمؤيد بالله في أحد قوليه وبعض أصحاب الشافعي: إنه ملك، وقاسوه على الماء المحرز في الجرار ونحوها، ورُدّ بأنه بالسيول أشبه منه بماء الجَرة ونحوها قال في (البحر): «فصل: ومن احتفر بئراً أو نهراً فهو أحق بمائه إجماعاً وإن بعدت منه أرضه وتوسط غيرها». اهـ.

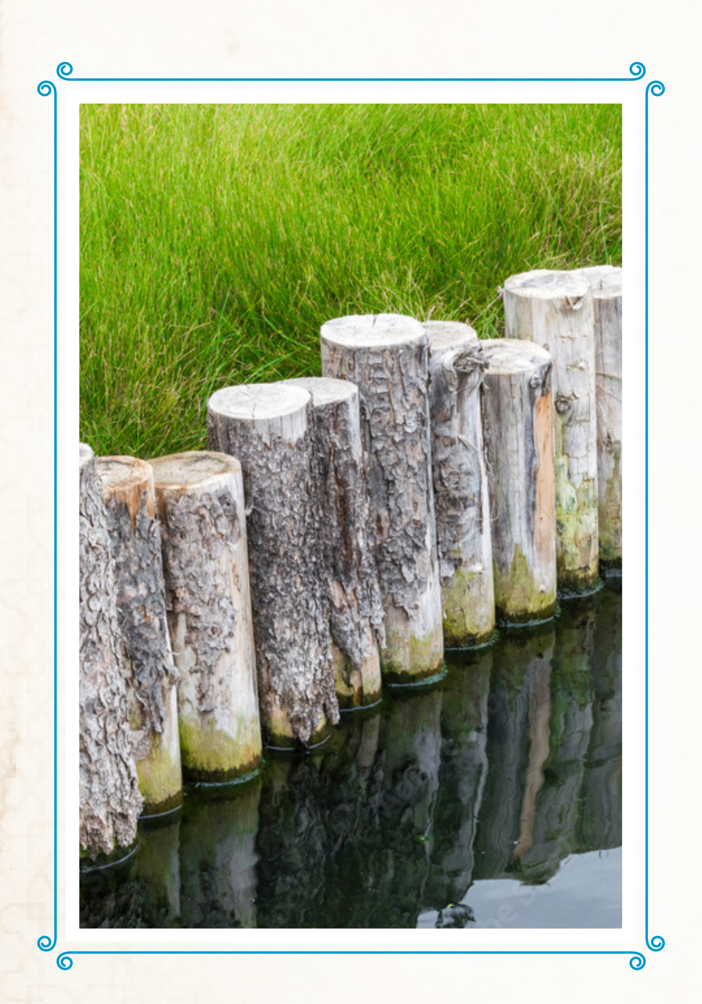
واختُلف في ماء البِرَك، فقيل: حق، وقيل: مِلك.

قوله ﷺ: (والنار)

قيل: المراد بها الشجر الذي يحتطبه الناس، وقيل: المراد بها الاستصباح منها والاستضاءة بضوئها وقيل: المراد بها الحجارة التي توري النار إذا كانت في موات الأرض، وإذا كان المراد بها الضوء فلا خلاف أنه لا يختص به صاحبه، وكذلك إذا كان المراد بها الحجارة



المذكورة، وإن كان المراد بها الشجر فالخلاف فيه كالخلاف في الحطب، وهو أعم من الخلا والحشيش؛ لأن الخلا مختص بالرطب من النبات والحشيش مختص باليابس والكلأ يعمهما، قيل: المراد بالكلأ هنا هو الذي يكون في المواضع المباحة كالأودية والجبال والأراضي التي لا مالك لها، وأما ما كان قد أحرز بعد قطعه فلا شركة فيه بالإجماع كما قيل، وأما النابت في الأرض المملوكة والمتحجرة ففيه خلاف، فقيل: مباح مطلقاً، وإليه ذهبت الهادوية. وقيل: تابع للأرض فيكون حكمه حكمها، وإليه ذهب المؤيد بالله.



واعلم أن أحاديث الباب تنتهض بمجموعها فتدل على الاشتراك في الأمور الثلاثة مطلقاً، ولا يخرج شيء من ذلك إلا بدليل يخص به عمومها، لا بما هو أعم منها مطلقاً كالأحاديث الماضية بأنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه؛ لأنها مع كونها أعم إنما تصلح للاحتجاج بها بعد ثبوت الملك وثبوته في الأمور الثلاثة محل النزاع.

وروى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة، أنه قضى ﷺ في سيل مهزور أن الأعلى يُرسَل إلى الأسفل ويُحبس قدر الكعبين».

وأعله الدارقطني بالوقف وصححه الحاكم، ورواه ابن ماجه وأبو داود من حديث ثعلبة بن أبي مالك، ورواه عبد الرزاق في (مصنَّفه) عن أبي حاتم القرظي عن أبيه عن جده: أنه سمع كبراءهم يذكرون أن

رجلاً من قريش كان له سهم في بني قريظة، فخاصم إلى رسول الله ﷺ في مَهزور السيل الذي يقسمون ماءه، فقضى بينهم رسول الله ﷺ أن الماء إلى الكعبين لا يحبس الأعلى على الأسفل.

قوله: (مهزور)



بفتح الميم وسكون الهاء بعدها زاي مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء: وهو وادي بني قريظة بالحجاز. قال البكري في المعجم: هو وادٍ من أودية المدينة، وقيل: موضع سوق المدينة وكان قد تصدق به رسول الله ﷺ على المسلمين فأقطعه عثمان بن الحارث بن الحكم أخا مروان، وأقطع مروان فَدَكَ.

وقال ابن الأثير والمنذري: أما مهروز بتقديم الراء على الزاي: فموضع سوق المدينة، وأحاديث الباب تدل على أن الأعلى تستحق أرضه الشرب بالسيل والغَيل وماء البئر قبل الأرض التي تحتها، وأن الأعلى يمسك الماء حتى يبلغ إلى الكعبين: أي: كعبي رجل الإنسان الكائنين عند مفصل الساق والقدم، ثم يرسله بعد ذلك.

وقال في (البحر): إن الماء إذا كان قليلاً فحدّه أن يعم أرض الأعلى إلى الكعبين في النخيل، وإلى الشراك في الزرع؛ لقضائه ﷺ بذلك.

البيئة في السنة النبوية الشريفة



د. عبد الله شحاتة

رحمه الله*

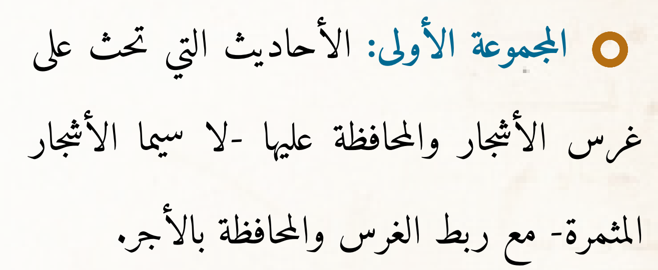
من المسلمات الأساسية في التشريع الإسلامى أن القرآن الكريم كتاب الله سبحانه وتعالى هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وقد حوى القرآن الكريم كل شيء يتصل أو يتعلق بحياة الإنسان، يقول الله سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

* د. عبد الله شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، ط/ دار الشروق- القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ، ص٥٢-٥٦، وص٥٩-٦٢. وهو أستاذ الشريعة الإسلامية ورئيس قسمها الأسبق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، رحمه الله.

وقد وردت الموضوعات في القرآن مجملة، وقد تكفلت السُّنة النبوية بتفصيلها وتفسيرها، ولذلك فإن كثيرًا من الأمور الدينية لا يمكن فهمها إلا في ضوء الكتاب والسنة. والسنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، والرسول ﷺ يقول: «إنما بعثت معلماً»، ولقد كان يعلم أصحابه رضوان الله عليهم كل صغيرة وكبيرة فيما يتصل بحياتهم وعلاقاتهم العامة وكانوا لا يجدون حرجاً في أن يسألوه حتى عن أمورهم الخاصة .

وقد تعرضت السنة النبوية بطبيعة الحال لأمر البيئة في كثير من الأحاديث والمواقف النبوية الشريفة. وبالرغم من أن المشكلات البيئية في ذلك الوقت لم تكن معقدة بهذه الصورة التي هي عليها الآن، فإن الرسول ﷺ قد تطرق في أحاديثه لكثير من المشكلات البيئية، التي يعاني منها العالم اليوم .

ويمكن حصر الأحاديث النبوية التي تعرضت لقضايا البيئة في أربع مجموعات .



- **المجموعة الأولى:** الأحاديث التي تحث على غرس الأشجار والمحافظة عليها -لا سيما الأشجار المثمرة- مع ربط الغرس والمحافظة بالأجر.



- **المجموعة الثانية:** الأحاديث التي تحث على الحفاظ على الحيوانات وحسن معاملتها، والتي تنهى عن قتلها لغير منفعة مرجوة.

- **المجموعة الثالثة:** الأحاديث التي تحث على الحفاظ على صحة البيئة.

المجموعة الرابعة: الأحاديث التي تحث على عدم الإسراف .



غرس الأشجار وحمايتها

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد سخر الأشجار للإنسان وجعله المستفيد الأول منها، فإن الرسول ﷺ أراد أن يبين لنا أهمية هذه الأشجار، ويحثنا على غرسها ورعايتها وحمايتها، وقد ربط الرسول ﷺ غرس الأشجار ورعايتها بالأجر، وجعله صدقة جارية يكتب أجرها للذي يغرسها حياً أو ميتاً. وقد حثنا الرسول ﷺ على غرس الأشجار في حديث بليغ إذ يقول: «إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

فالإنسان مطالب بغرس الأشجار في أي وقت من الزمان .

واعتبر الرسول ﷺ غرس الأشجار صدقة جارية إذ يقول: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علّم علماً، أو كرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس شجرة، أو بنى مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»[1].

ويقول أيضاً: «من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرساً في غير ظلم أو اعتداء، كان له أجراً جارياً ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى»[2].

١ الترغيب والترهيب الجزء الخامس.

٢ الترغيب والترهيب الجزء الخامس.

والرسول ﷺ يجعل من غرس الشجر والزرع أجراً وصدقة للغارس، فله بكل شيء يصاب منه صدقة وأجر، فالذى يأكله الإنسان أو الحيوان أو الطير وما يسرق منه، فله به صدقة، وله في كل ثمرة صدقة وأجر. يقول ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة»[٣].

ودخل النبي ﷺ ذات مرة على امرأة أنصارية تُدعى أم بشير في نخل لها، فقال ﷺ: «من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر؟ فقالت: بل مسلم، فقال: «لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة»[٤].



ويقول الرسول ﷺ: «من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر، كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل». ويقول الرسول ﷺ في ذات المعنى: «ما من رجل يغرس غرساً إلا كتب الله له من الأجر قدر ما يخرج من ذلك الغرس» .

ومن الآثار التي وردت فى حماية الأشجار ما جاء فى وصية سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله عنه ليزيد بن أبي سفيان عندما بعثه على

---

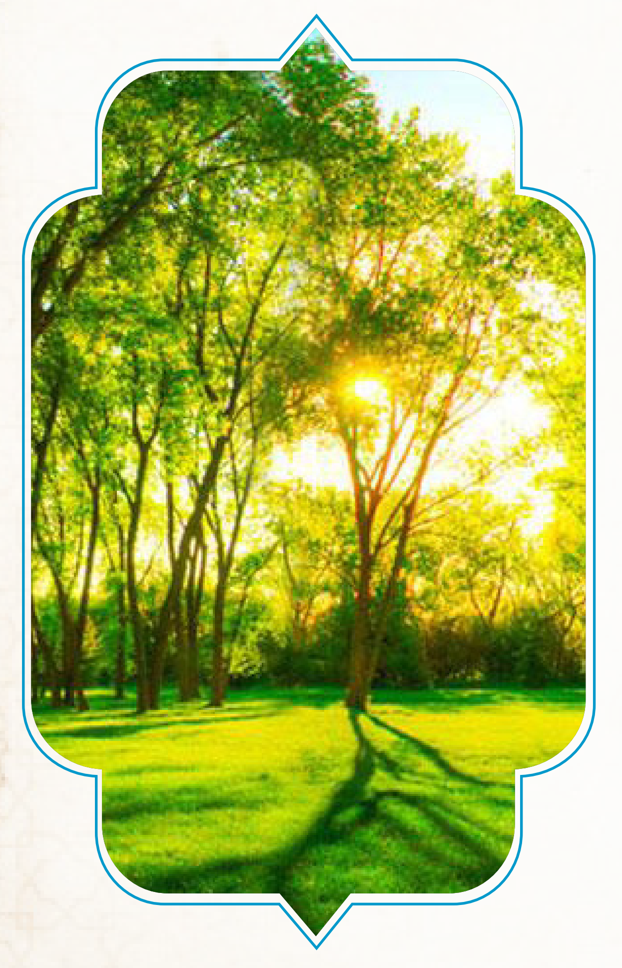
٣ الترغيب والترهيب الجزء الخامس .

٤ صحيح مسلم، الجزء الثالث.

رأس جيش إلى الشام، تلك الوصية المشهورة والتي احتوت على عشر وصايا، كانت ثلاث وصايا منها فى أمر حماية الأشجار في الغزو «ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه»[٥].

فوائد الأشجار والخضرة

ذكرنا أن الأشجار تحمل لنا الثمار والظلال وتنظف البيئة، وتحمي التربة وتنقي الهواء، وننقل هنا فقرة من كتاب «المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة» .



وكما نعلم .. فإن فوائد الأشجار والخضرة تتلخص فيما يأتي:

١. توفير المواد الغذائية للإنسان والحيوان .
٢. تخليص البيئة من كميات كبيرة من ثانى أكسيد الكربون الضار بالصحة.
٣. إنتاج كمية كبيرة من الأوكسجين اللازم لحياة الإنسان والحيوان.
٤. ظل الأشجار يحمى الإنسان من حرارة الشمس .
٥. لها فوائد مهمة في حماية النباتات والزراعات فى الأرض الصحراوية حيث تعمل كمصد للرياح، حيث تحمي الإنسان والحيوان من التيارات الهوائية.

---

٥ انظر: البيئة والتلوث، خالد محمود عبد اللطيف، ص٨٨، دار الصحوة (القاهرة).

٦ تضفي على الجو نسبة من الرطوبة نظراً لأن النباتات تقوم بعملية النتح الذي يخرج في صورة جزيئات صغيرة من المياه التي تتوزع في الجو، وتحيط المناطق المزروعة .

٧ تقوم الأشجار في المناطق الصناعية وكذا فى المدن التي تحيط بها الجبال أو الصحارى بتقليل كمية الأتربة والمواد الملوثة الموجودة بالهواء؛ حيث تعمل كمصفاة، لذلك لجأت كثير من المدن فى العالم إلى عمل ما يسمى بالحزام الأخضر حول المدن.



٨ تعمل الأشجار كمصد للرياح وتعتبر مسئولة عن تثبيت الرمال، ومنع زحف الرمال، وبالتالى فهى تمنع ظاهرة التصحر التي تهدد كثيراً من الدول .

٩ ولقد حثنا الرسول ﷺ على الاهتمام بغرس الأشجار وزراعتها لما فيها من استمرارية للحياة، وفائدة للناس.

قال رسول الله ﷺ: «إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها قبل قيام الساعة فليفعل وأجره عند الله عظيم».

ولقد حرم الدين قطع الأشجار حيث يقول الرسول ﷺ: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار». ولقد نهى الرسول ﷺ عن قطع الأشجار لما فيها من نعمة جليلة .

ولقد فقد الإنسان ثلثي الغابات في العالم، وتقوم البلديات في كثير من مدن العالم بإزالة الأشجار من الشوارع رغم شدة أهميتها للبيئة، وخصوصاً مع التزايد الخطير في السكان، والتزاحم الكبير في المدن الصناعية التي تخرج كميات هائلة من المواد الضارة بالبيئة .

ولقد أوضحت البحوث الحقائق التالية:

١- يجب زراعة ١٠٠ شجرة أمام كل سيارة نقل. ٢- يجب زراعة ١٠ شجرات أمام كل سيارة صغيرة . ٣- يجب أن يقوم كل مصنع بزراعة شجرة أمام كل لتر من الوقود الذي يستخدم في إدارة المعدات . ٤- تقوم بعض الأشجار بإنتاج أوكسجين فقط ولا تنتج إطلاقاً ثاني أكسيد الكربون . ٥- تقوم بعض الأشجار بامتصاص بعض المركبات السامة، وتقوم بهدمها. ٦- تقوم بعض الأشجار بامتصاص بعض المواد السامة من الهواء. ٧- تقوم بعض الأشجار بتصفية الهواء من الملوثات العالقة به. ٨- تقوم الأشجار بخفض درجة الحرارة، وبخفض سرعة التيارات الهوائية الصناعية والهابطة، وتلعب دوراً مهماً في تعديل المناخ[٦].

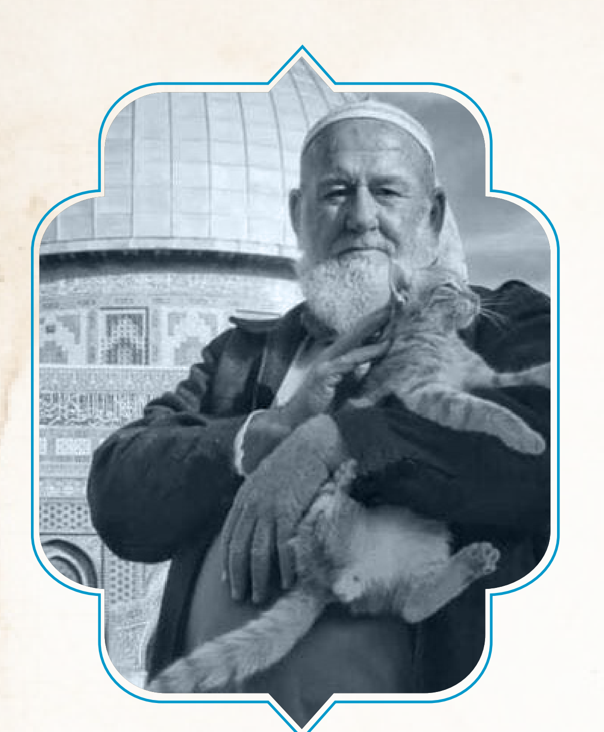
الحفاظ على الحيوانات وحسن معاملتها

وقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، حيث علمنا من خلال أوامره ووصاياه كيف نرعى هذه المخلوقات ونرحمها ونتقي الله تعالى فيها، فقال ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ... الحديث»[٧]، ولقد أمر الناس أن ينفقوا على دوابهم ما تحتاج إليه، وأنذر ﷺ بأن من يتسبب في موت حيوان جوعاً أوعطشاً يعذبه الله في نار الجحيم.

---

٦ المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، د. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، الدار العربية للنشر والتوزيع/ القاهرة.

٧ حديث حسن صحيح، رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب الرحمة، رقم٤٩٤١، والترمذي في (أبواب البر والصلة) عن عبدالله بن عمر.



قال رسول الله ﷺ: «عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». متفق عليه.

وكذلك أمر الناس أن يعتنوا بالحيوانات التي هي في حاجة إلى عنايتهم، فأخبر عن شخص غفر الله له ذنوبه لأنه سقى كلباً فأنقذه من الموت عطشاً، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجراً؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر»[٨].

وصيد الحيوان للأكل مباح في الإسلام، ولكن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً، أي صيره هدفاً فجعل حياته لعباً وعبثاً: «إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً»[٩]، ونهى رسول الله ﷺ أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل[١٠].

---

٨ حديث رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يمشى فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بى. فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقي وسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر»، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث ٦٠٠٩، وكتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، حديث ٢٢٦٣، ومسلم: باب سقي البهائم وإطعامها، حديث ٥٥٧٧ عن أبي هريرة.

٩ حديث رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، حديث ٥٥١٤، ومسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، حديث ٤٨١٦، عن عبدالله بن عمر، وحديث رواه النسائي عن الشريد في كتاب الضحايا والطبراني عن يزيد (مجمع الزوائد، كتاب الصيد والذبائح).

١٠ حديث رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد ٥٥١٣، ٥٥١٤، ومسلم: كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم، حديث ٤٨١٣ عن عبدالله بن عمر، وحديث رواه أبو داود: كتاب الأضاحي، باب النهي أن تصبر البهائم، حديث ٢٨١٦، ٢٨٢٦ عن أنس وعبدالله بن عباس وأبي هريرة، وحديث رواه الطبراني عن عبدالله بن عباس (مجمع الزوائد، كتاب الصيد والذبائح).

وقال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحدّ أحدكم شفرته وليُرِح ذبيحته»[١١] .

وقد نهى النبي ﷺ عن استيقاد النار على قرية النمل. جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تُسبح"[١٢].

ولقد أمر ﷺ رجلاً أخذ فراخ طائر من وكرها أن يرجع بهن من حيث أخذهن وأمهن معهن وهي كانت تحاول أن تحميهن[١٣]، ولقد نهى عن قطع شجرة في الفلاة يستظل بها الإنسان والحيوان غشماً وظلماً[١٤].

ويُفهم من ذلك أن الغاية هي عدم تخريب موارد سكن وعيش المخلوقات.

ولقد استدل الفقهاء من الأوامر والنواهي النبوية أن لمخلوقات الله حرمة تظل قائمة حتى أثناء الحرب كحرمة غير المقاتلين من النساء والصبيان، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النحلة ونهى أن يُقتل شيء من الدواب صبراً، ولأنه إفساد يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا

---

١١ حديث رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب إحسان الذبح، حديث ٤٨١ عن شداد بن أوس، وأبو داود في كتاب الأضاحي، حديث ٢٨١٥.

١٢ حديث رواه البخاري في كتاب الجهاد، حديث ٣٠١٩، ومسلم: باب النهي عن قتل النمل، حديث ٥٥٦٧ ، وأبو داود: حديث ٥٢٦٦ عن أبي هريرة.

١٣ حديث رواه أبو داود عن عامر الرام في كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب، ٣٠٨٩ عن عامر الرام: فبينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل عليه رجل عليه كساء وفي يده شيء قد التف عليه، فقال: يا رسول الله، إني لما رأيتك أقبلت إليك فمررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن، فوقعت عليهن معهن، فلففتهن بكسائي، فهن أولاء معي. قال: «ضعهن عنك» فوضعتهن، وأبت أمهن إلا لزومهن، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أتعجبون لرحم أم الفراخ فراخها؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «فوالذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن» فرجع بهن.

١٤ حديث رواه أبو داود: باب قطع السدر، حديث ٥٢٣٩ عن عبدالله بن حبشي قال: قال رسول الله ﷺ: "من قطع سدرة صوب الله رأسه إلى النار"، سئل أبو داود عن معنى الحديث فقال: هذا الحديث مختصر، يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها -صوب الله رأسه في النار.

﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ولأنه حيوان ذو روح فلم يجُز قتله لغيظ المشركين، ولأنه حيوان ذو حرمة فأشبه النساء والصبيان[١٥].



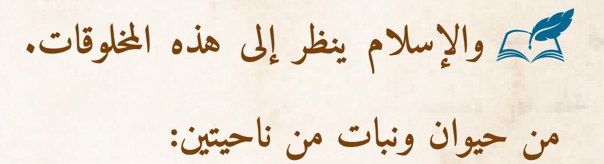
ومن مميزات الشريعة الإسلامية أن للحيوانات حقوقاً شرعية تراعى في أنظمة الحسبة والمحاكم، وقد استخلصت حقوق الحيوان على الإنسان من نصوص الأحاديث منذ أكثر من سبعة قرون وذلك على النحو التالي:

«حقوق البهائم والحيوان على الإنسان: وذلك أن ينفق عليها نفقة مثلها ولو زمنت أو مرضت بحيث لا ينتفع بها، وألا يحملها ما لا تطيق، ولا يجمع بينها وبين ما يؤذيها من جنسها أو من غير جنسها بكسر أو نطح أو جرح، وأن يحسن ذبحها إذا ذبحها، ولا يمزق جلدها، ولا يكسر عظمها حتى تبرد وتزول حياتها، وألا يذبح أولادها بمرأى منها، وأن يفردها ويحسن مباركها وأعطانها، وأن يجمع بين ذكورها وإناثها في إبان إتيانها، وألا يخذع صيدها ولا يرميه بما يكسر عظمه، أو يرديه بما لا يحل لحمه»[١٦].

---

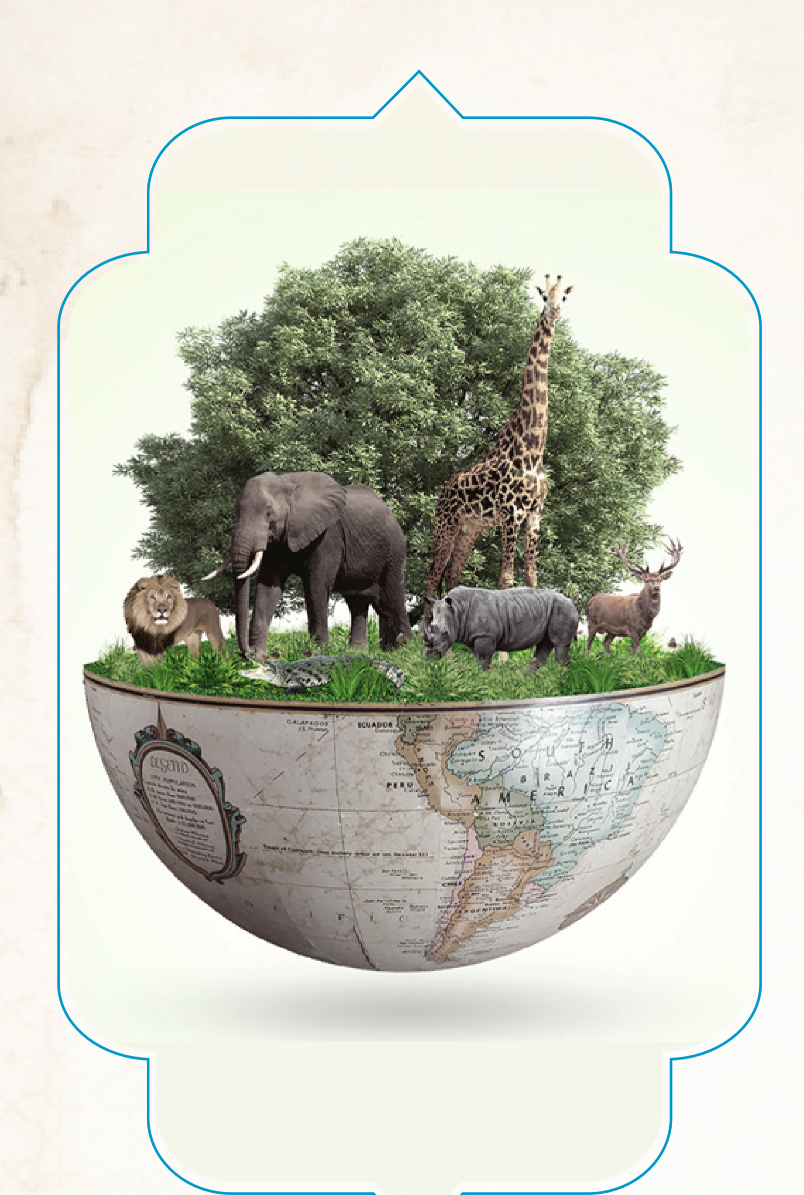
١٥ موفق الدين عبدالله بن قدامة، المتوفى ٦٢٠هـ، في (المغني)، كتاب الجهاد.

١٦ عز الدين بن عبدالسلام المتوفى ٦٦٠هـ، في (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) إن هذه الفقرة وردت ضمن الشرح على حقوق المخلوقين، وحقوق الحيوان أقل شمولية من حقوق الإنسان وهي تخضع لقيود، مثل حفظ حياة الإنسان وما له وحاجته للغذاء. ومع ذلك فإن مفهوم الإسلام في الحقوق ورعايتها من قبل السلطان أمر ذو مغزى حيث يسري على الحيوان والإنسان على السواء.



والإسلام ينظر إلى هذه المخلوقات.

من حيوان ونبات من ناحيتين:



- من ناحية أنها كائنات حية موجودة لذاتها لتحقيق وظيفتها في التسبيح وفي الدلالة على قدرة الله وحكمته.

- ومن ناحية أنها مسخرة لخدمة الإنسان، والمخلوقات الأخرى تؤدي دورها في عمارة هذا العالم .

ومن هنا أوجب المحافظة عليها وتنميتها لذاتها من ناحية، ولأهميتها كموارد حية فريدة لا يستعاض عنها، لمنفعة الإنسان وغيره من الخلق من ناحية أخرى[١٧].

---

١٧ حماية البيئة في الإسلام، الاتحاد العالمي للصون، ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالسعودية، ص١٥ .

التلوث.. أسبابه وأضراره



أ. د. وهبة الزحيلي

رحمه الله

خلق الله تعالى الكون سماءه وأرضه، بره وبحره، أنهاره وشواطئه في أحسن حال، وأبهى جمال، وأحكم إتقان، فكان الإنسان الأول سعيداً بنظافة البيئة التي حوله، يتفيأ ظلالها، ويستعذب جمالها، وتحقق له الراحة والطمأنينة والاستقرار، فلا يتعرض لكثير من مشكلات الحياة المعاصرة، الآهلة بالسكان والمزدحمة البنيان والمعكرة الأجواء، والمملوءة بالمشكلات اليومية الكثيرة.

---

* أ.د وهبة الزحيلي، حماية البيئة في الشريعة الإسلامية، ط: دار المكتبي/دمشق، ط١، ١٤٣١هـ، ص٧-١٢، و٣٧-٣٨.

وسعد الإنسان بالعيش في القرى والمدن، لأنه مدني بالطبع، لكنه لم يبذل العناية الكافية للحفاظ على جمال القرية والمدينة، وأهمل في تنظيفها وترتيبها ورعايتها العامة، وقصر همه على حماية مصالحه الذاتية أو الفردية، ولم يكن مستواه الاجتماعي على النحو الكافي.

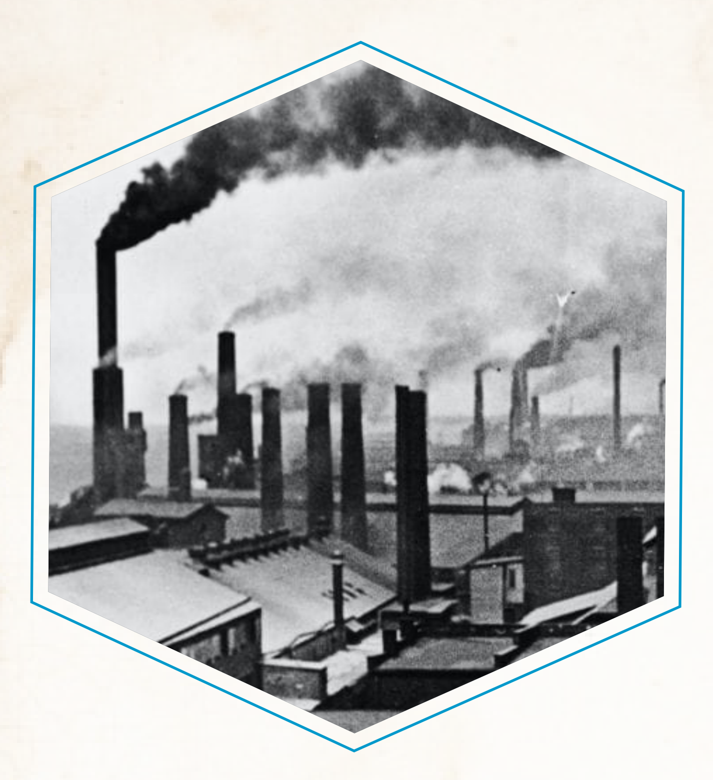


أسباب التلوث

تعددت في عصرنا الحاضر مظاهر التلوث البيئي، وتباينت في الأقطار درجاتها بحسب رقي الشعوب ودنوها، وكان أهم أسباب التلوث ما يأتي:

الإنسان وآثاره: الإنسان هو المصدر الغالب للتلوث، بسبب سوء تصرفه، وقلة عنايته بالنظافة، وجموح أطماعه في التفوق وحب الغلبة، فأساء إلى البيئة الزراعية بترك مخلفاتها تنتشر، وإلى البيئة الصناعية بنشر آثارها الضارة، وقلة الاحتياط في تطويق أنواع الدخان المتصاعد، وما تنشره الآلات الصناعية الكثيرة من حرارة، وذرات سوداء بسبب احتراق الوقود وتطاير الرذاذ الكيماوي الضار، وأساء أيضاً إلى بيئة التجارة، فتكدست الشوارع والأحياء بفضلات التعليب والشحن والنقل الداخلي والخارجي .

وأهمل كثير من الناس العناية بالنظافة في المنزل والمجلس والثياب أو الملابس والبدن والأعضاء والأماكن العامة والأحياء الخاصة والعامة، وشوهوا جمال المدينة ورونقها، وألقوا المخلفات والأطعمة والزجاجات المحطمة والفضلات في غير الأمكنة والأزمنة المخصصة لها، مع أن الحاويات متوافرة وكثيرة .



ولم يقم عمال التنظيف بما يجب عليهم من الكنس والجمع والنقل والتخلص من القمامة، وإتلافها إتلافاً سليماً بحيث لا تتسرب آثار الأدخنة إلى القرى والمدن المجاورة، وشاع الكسل والتمرد بين فئات كثيرة.

وكان من أسوأ ما تعرّضت له مياه البحار والشواطئ والأنهار الداخلية هو مصب مياه المجاري الملوثة والحاملة مختلف الجراثيم الفتاكة والأمراض السارية، حتى تنبهت الحكومات إلى تلك المخاطر، وغيرت مصب المجاري وحوّلتها إلى الصحارى، وكانت وما تزال مدن كثيرة تتناول الخضراوات والبقول والثمار التي تسقى من هذه المياه.

وتسبب الإنسان في إحداث ظاهرة التصحر، بقطع النباتات والأشجار، وبناء المنازل محلها، وامتدت يد الإنسان العدوانية إلى الغابات فأحرقتها أو قطعتها مع قلة المياه وجفاف الينابيع.

واستبد جنون التفوق الصناعي في الكثير من الدول إلى بناء مئات المعامل في الأحياء السكنية أو القريبة من ديار السكان، ونشرت هذه المصانع أدخنتها وآثارها السيئة، فأفسدت الهواء وعكرت صفو الحياة، وظهرت أمراض كثيرة بين عمال المصانع، وامتد ضررها إلى المجاورين.

ونشرت السيارات ونحوها غازاتها السامة وحرارتها مما أدى إلى ارتفاع درجة الحرارة في المدن.

وتجرّأت بعض الدول الصناعية على شحن سفنها بالنفايات النووية والغازات الكيماوية السامة وإفراغها في شواطىء بعض البلاد المتخلفة، من غير تقدير للمخاطر، وإيذاء لغيرهم من المستضعفين، وهذا لون من ألوان الاستكبار والاستهانة بالآخرين.

وفي الجملة: إن الإنسان هو في الغالب أداة التلوث العاتية، وقد تؤدي الأحداث العامة كالحروب والكوارث من الفيضانات والحرائق والزلازل وانتشار الأمراض الوبائية، وتركز الأوبئة السامة في بعض المناطق إلى التلوث، مما يوجب على الإنسان تفادي ذلك، وعلاج الأحوال الطارئة بنحو من السرعة والجدية التامة، حتى إن الإنسان أصبح هو الجاني على نفسه بالجناية على بيئته .

وهذا هو الذي نبّه إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ١٤].



مظاهر الفساد

ومظاهر الفساد كثيرة، منها العام ومنها الخاص،

فالعام: جفاف الأنهار والآبار والينابيع، وفيضانات المحيطات واحتمال ذوبان الجليديات، فيرتفع منسوب المياه في كثير من المحيطات والبحار، ويؤدي الارتفاع إلى اختفاء معالم كثير من المدن الساحلية.

كما أن من مظاهر التلوث العامة: ازدياد الحرارة صيفاً في العامين الأخيرين في أوربة وغيرها وفي

أمريكا، وبلدان الشرق الأوسط ، مما لم يسبق له مثيل، وأصبحت التغيرات المناخية موضع عناية بالغة، ولاسيما بعد اكتشاف ثقب الأوزون: وهو التصدع في سماء الكرة الأرضية، مما أسهم في زيادة معدّل الحرارة والاضطرابات المناخية.



وأدى إهمال حماية البيئة في داخل بلاد بعض الدول إلى الكثير من أمراض التنفس والغدد، وانتشار الأوبئة، وتفاعل الميكروبات أو الفيروسات مع بعضها بعض، وتوليد أمراض جديدة.

وتوقع العلماء تغيّر خريطة الأرض في العقود الخمسة القادمة، وتبدل أشكال الحياة إذا ظلت الأوضاع أو الأحوال على حالها، وطالبوا بعقد مؤتمرات لاحتواء أزمة البيئة العالمية، مثل مؤتمر (هلسنكي) ومؤتمر (مونتريال) في كندا عام ١٩٨٧، وتمخضه عن (بروتوكول مونتريال) في خريف عام ١٩٨٧ وصادقت عليه الدول الصناعية الكبرى، لدراسة أسباب الأزمة الخاصة بالأوزون، ووافقت ٢٤ دولة صناعية على تخفيض إنتاجها بنسبة ٥٠% حتى عام ١٩٩٩ من مركبات «الكلورو فلورو كاربونات» المستخدمة في شتى أشكال البخاخات لمستحضرات التجميل وأثاث المنازل والمشافي ووسائل النقل، وصناعة الثلاجات ووسائل التنظيف المذيبة. ثم طرأ تعديل على هذا البروتوكول يقضي بحظر كامل على إنتاج هذه المركبات في نهاية التسعينيات.

وفي عام ١٩٩٢ عُقد في «ريودوجانيرو» بالبرازيل مؤتمر لحماية الغابات، باسم «مؤتمر قمة الأرض» وتمخض فقط عن إقرار مبادئ عامة لحماية التربة والبيئة والأرض، ولم تعالج المشكلة من جذورها بسبب جشع الشركات وحرصها على تحقيق أرباح غير محدودة من جراء قطع الغابات في الأمازون.



أضرار التلوث

إن تلوث البيئة خطر محقق على الحياة ذاتها، وعلى المدن والقرى، وعلى الإنسان في أحوال أنشطته المتعددة، وعلى الصحة العامة والخاصة، فتكثر الوفيات، وتتشوه مظاهر جمال المدينة والقرية، بل يُعْصَف بها، فتصبح الحياة كئيبة حزينة بائسة، وتتأثر أنشطة الإنسان كلها، فيضعف إنتاجه أو ينعدم، ويدمر نفسه بنفسه، وتنتشر أمراض كثيرة ومعقدة، وتعم أوبئة فتاكة تهدد الحياة بالتراجع، ويكون فساد البيئة سبباً يقضي على كثير من مظاهر الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية.

ويكون تسرب المواد المشعة، وانفجار المفاعلات النووية، كانفجار مفاعل تشرنوبل النووي في روسيا عام ١٩٨٩ أخطر المضار التي تؤدي إلى التشوه الجسدي، وظهور الأمراض المستعصية، وإضرار التربة والمزروعات والخضار، ويصاب الناس بذعر شديد ومخاوف كثيرة .

وصاحب ظهور الثورة الصناعية الكبرى في أوربة واكتشاف الكربون السام تدمير متواصل للبيئة، فقطعت الغابات، وأبيدت المراعي، وقلعت الأشجار التي هي من أكبر عوامل تنقية الأجواء وتصفية الهواء، وانتشرت أدخنة مداخن المصانع التي ملأت الهواء بالسموم .

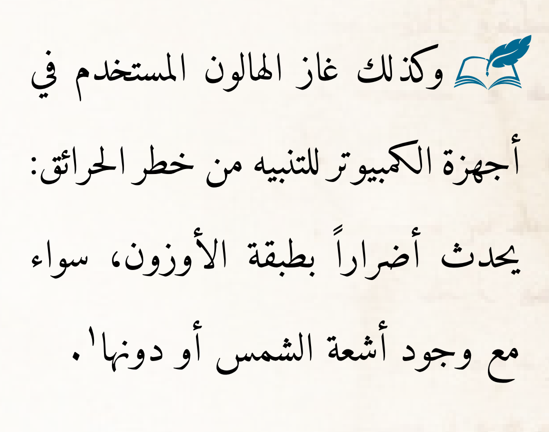


ثم ألقيت نفايات المعامل في الأنهار والبحار، فتضرر النبات والحيوان والأسماك، وأضر كل ذلك بصحة الإنسان .وكان قطع أشجار غابات الأمازون طمعاً في أثمان الأخشاب سبباً في تهديد مصادر المطر وكميته. وتسبب إلقاء أو دفن النفايات النووية الناجمة عن الصناعات الذرية إلى إيجاد مشكلات بيئية متنوعة، لوّثتها، وأضرت بالبلاد والسكان المجاورين.

وأدى تعاظم ثقب الأوزون في الأجواء لما يوازي الثلث منه، أو ضعفي مساحة الولايات المتحدة الأمريكية، لزيادة حرارة الأرض وغير ذلك من المشكلات الغامضة. وكان تزايد نسبة الأوزون في غلاف الأرض بسبب احتراق وقود السيارات سبباً في تخرشات العيون واحتقانها، وتلوث الرئتين، والتسبب في أمراض السرطان.

وحينما تمتزج المواد الكيماوية الخطيرة المعروفة باسم (الآريلامينات) مع غاز الأوزون، ينتج خليط من الغاز القتال الذي يسبب سرطان الرئة.كما أن استنشاق دخان التبغ مع الأوزون يؤدي لإصابات سرطان الرئة بنسبة كبيرة .

وتقع أضرار كبيرة في الطبيعة كهجرة الأسماك، وموت الحيوانات المائية، وتصدّع تربة الحقول والمزارع والغابات، وتتراجع بسبب ذلك المحاصيل الزراعية، عند نزول أو هطول المطر الحامضي الذي ينشأ من الغازات السامة، التي تلقيها مداخن المصانع كأوكسيدات الكبريت، ثم تمتزج مع قطرات المطر المتجمعة في الغيوم قبل هطولها. وهذا فساد بحري، يعقبه فساد بري، حيث يتأذى القاطنون في المدن الصناعية الممطرة، وتتضرر هياكل الأبنية الخارجية، وصفائح الآلات والسيارات والمراكب.



وكذلك غاز الهالون المستخدم في أجهزة الكمبيوتر للتنبيه من خطر الحرائق: يحدث أضراراً بطبقة الأوزون، سواء مع وجود أشعة الشمس أو دونها[1].



مما لا شك فيه أن قوة الأمة بقوة أفرادها مالياً وصحياً وجسدياً، وأن توفير المناخ الطيب، والصحة العامة، وسلامة البيئة عنصر ضروري لتوفير مقومات الحياة المطلوبة شرعاً، وأن الحفاظ على الصحة والعافية واجب مفروض على كل مسلم ومسلمة، ومقصد من مقاصد التشريع الإسلامي الأساسية، لأن الحفاظ على الحياة والنفس من ضروريات الدين الخمس، كما هو معلوم، وهي (الدين، والنفس، والعقل، والنسب، أو العرض، والمال).

---

١ انظر كتاب «سنريهم آياتنا» للأستاذ عدنان السبيعي: ص ٥٩-٦٢.

فليست الحياة مجرد حق مقدس، وإنما الحفاظ على الحياة واجب شرعي أصيل، بدليل أن تناول الطعام والشراب، وإن كان في الأحوال العادية مباحاً، فهو فرض واجب يأثم تاركه عند التعرض لخطر الموت والهلاك، فقال الله تعالى:



﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وكما أن المجتمع أو البيئة ليس ملكاً خاصاً لأحد، وإنما هو من حق الجميع ومشاع لكل الناس، كذلك النفس الإنسانية ليست ملكاً لصاحبها، يتصرف فيها كيفما يشاء بهواه، وإنما البيئة والحياة الإنسانية والنفوس البشرية ملك لله عز وجل، ولا يحق لأي إنسان فرداً أو جماعة أو دولة الاعتداء على ملك الله الذي جعله حقاً في الحياة الهانئة لكل إنسان وجماعة، فقال الله سبحانه:

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٩].

آداب استعمال الماء



علامة العراق: محمود شكري الألوسي

رحمه الله*

فمن آدابه الشرب قاعداً.

فقد نهى ﷺ عن الشرب قائماً، وصحّ عنه أنه أمر الذي شرب قائماً أن يستقيء. وصحّ عنه أنه شرب قائماً.

قالت طائفة من أهل العلم: هذا ناسخ للنّهي. وقالت طائفة: بل مبيّن أن النهي ليس للتحريم، بل للإرشاد وترك الأولى. وقالت طائفة: لا تعارض بينهما أصلاً، فإنه ﷺ إنما شرب قائماً للحاجة؛ فإنه جاء إلى زَمْزَم وهم يستقون منها فاستقَى فناوَلُوه الدلو، فشرب وهو قائم. وهذا كان موضع حاجة.

---

* محمود شكري الألوسي، الماء وما ورد في شربه من الآداب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، ط١ (الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مارس ١٩٨٥)، ص٧١ وما بعدها باختصار.

آفات الشرب قائماً



وللشرب قائماً آفات عديدة:

١ منها أنه لا يحصل له الريّ التام، ولا يستقر في المَعِدة حتى تقسمه الكبد على الأعضاء، وينزل بسرعة وحدّة إلى المَعِدة، فيُخشى منه أن يبرد حرارتها ويشوّشها، ويسرع النفوذ إلى أسفل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب.

وأما إذا فعله نادراً أو لحاجة لم يضره. ولا يُعترض بالعوائد على هذا، فإن العوائد طبائع ثوانٍ ولها أحكام أخرى، وهي بمنزلة الخارج عن القياس عند الفقهاء.

٢ ومن آدابه: أن يقطع عن الشرب ثلاث مرات. ففي صحيح مُسلم من حديث أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يتنفّس في الشراب ثلاثاً، ويقول: «إنه أروى وأمرأُ وأبْرأُ».

والشراب في لسان الشارع وحَمَلة الشرع هو الماء. ومعنى «تنفّسه في الشراب» إبانته القَدَحَ عن فيه، وتنفسه خارجه، ثم يعود إلى الشراب كما جاء مصرحاً به في الحديث الآخر: «إذا شَرِبَ أحدكم، فلا يتنفّس في القَدَح ولكن لِيُبِن الإناء عن فيه».

وفي هذا الشرب حِكَم جمَّة، وفوائد مهمة. وقد نبه ﷺ على مجامِعها بقوله: «إنه أرْوَى، وأمْرَأ، وأبرأ». في «أروى»: أشدّ رياً وأبلَغُه وأنفَعُه، و«أبرأ»: أفعل، من البرء، وهو الشفاء، أي يُبرىء من شدَّة العطش

وريّه لتردّده على المَعِدة الملتهبة دفعات، فتسكّن الدفعة الثانية ما عجزت الدفعة الأولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت الثانية عنه. وأيضاً فإنه أسْلَم لحرارة المَعِدة، وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهْلة واحدة ونهلة واحدة. وأيضاً فإنه لا يُروي لمصادفته لحرارة العطش لحظة، ثم يُقلع عنها، ولم تُكْسَر سَوْرتُها وحِدَّتها، وإن انكسرت لم تبطل بالكلية، بخلاف كسرها على التمهل والتدريج.

وأيضاً فإنه أسلم عاقبة، وآمن غائلة من تَنَاوُلِ جميع ما يُروي دفعة واحدة، فإنه يُخاف منه أن يطفئ الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته، أو يُضعفها فيؤدي ذلك إلى فَساد مِزاج المعدة والكبد، وإلى أمراض رديئة، خصوصاً في سكان البلاد الحارة، كالعراق والحجاز واليمن ونحوها. وفي الأزمنة الحارة كشدّة الصيف، فإن الشرب وهْلةً واحدة مَخُوف عليهم جداً، فإن الحارّ الغريزي ضعيف في بواطن أهلها وفي تلك الأزمنة الحارة.



وقوله: «وأمرأُ» هو أفعل من: مرئ الطعام والشراب في بدنه، إذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع. ومنه: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئاً مرِيئاً﴾: هَنِيئاً في عاقبته مَرِيئاً في مَذاقه. وقيل: معناه أنه أسرع انحداراً عن المريّ لسهولته وخفته عليه، بخلاف الكثير، فإنه لا يسهل على المريّ انحداره.

ومن آفات الشرب نَهْلةً واحدة أنه يُخاف منه الشرَق بأن ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغص به. فإذا تنفس رويداً ثم يشرب أمن ذلك. وقد روى عبدالله بن المبارك والبيهقي وغيرهما عن النبي ﷺ:

«إذا شرب أحدكم، فَلْيَمَص الماء مصاً، ولا يَعُبْ عباًّ، فإنه من الكُبَاد».

والكُبَاد، بضم الكاف وتخفيف الباء، هو وجع الكبد. وقد علم بالتجربة أن وُرُودَ الماء جُملة واحدة على الكبد يُؤلمها ويُضعف حرارتها. وسبب ذلك المضادة التي بين حرارتها وبين ما ورد عليها من كيفية المَبرود وكميته. ولو وَرَد بالتدريج شيئاً فشيئاً، لم يضادِد حرارتها، ولم يضعفها. وهذا مثاله صب الماء البارد على القدر وهي تَفُور، لا يضرها صبه قليلاً قليلاً.



وقد روى الترمذي في (جامعه) عنه ﷺ: «لا تشربوا نفَساً واحداً كشرب البعير، لكن اشربوا مثنى وثلاثَ، وسمُّوا إذا أنتم شَرِبتم واحْمَدُوا إذا أنتم فَرَغتم».

وللتسمية أول الطعام والشراب وحَمْد الله في آخره، تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع مَضَرّته.

قال الإمام أحمد: «إذا جمع الطعام أربعاً فقد كَمُل.. إذا ذُكِر اسم الله في أوّله، وحُمِد الله في آخره، وكثُرت عليه الأيدي، وكان من حِلّ».

٣ **ومن آدابه:** أن يُغطى الإناء الذي هو فيه. فقد رَوَى مُسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبدالله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «غطّوا الإناء، وأوكُوا السّقَاء، فإن في السَنة ليلة ينزل فيها وَبَاء لا يمر بالإناء ليس عليه غِطَاء أو سِقَاء ليس عليه وِكاء، إلّا وقع فيه من ذلك الداء».

وهذا مما لا يناله علوم الأطباء ومعارفهم، وقد عَرَفه مَن عرفه من عقلاء الناس بالتجربة.

وصح عنه أنه أمر بتخمير الإناء ولو أن يَعرض عليه عُوداً. وفي عرض العود عليه من الحِكمة أنه لا ينسى تخميره، بل يعتاده حتى بالعُود. وفيه أنه ربما أراد الدَّبِيبُ أن يسقط فيه، فيمر على العُود فيكون العُود جسراً له يمنعه من السقوط فيه.

وصح عنه ﷺ أنه أمر عند إيكاء الإناء بذكر اسم الله، فإن ذكر اسم الله عند تخمير الإناء يطرد عنه الشيطان، وإيكاؤه يطردُ الهَوَامَ.. ولذلك أمَر بذكر اسم الله تعالى في هذين الموضعين لهذين المعنيين.

النهي عن الشرب من في السقاء



وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ نهى عن الشرب من في السقاء.

وفي هذا آداب عديدة:

١. منها أن تردّد أنفاس الشارب فيه، يُكسبه زُهُومَة ورائحة كريهة يُعافُ لأجلها.

٢. ومنها أنه رُبما غَلَب الداخل إلى جَوْفه من الماء فتضرر به.

٣ ومنها أنه ربما كان فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه.

٤ ومنها أن الماء رُبما كان فيه قذاةٌ أو غيرها لا يراها عند الشرب، فتلج جَوْفَه.

٥ ومنها أن الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء، فيضيق عن أخذ حظ من الماء، ويُزاحمه، أو يؤذيه.

ولغير ذلك من الحكَم.



ومن آدابه: أن لا يشرب من ثلمة الإناء

ففي سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري، قال: نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من ثُلْمَة القَدح، وأن ينْفُخَ في الشراب.

وهذا من الآداب التي يتم بها مصلحة الشارب، فإن الشرب من ثُلْمَة القَدَح فيه عِدة مفاسد:

- **أحدها:** أنّ ما يكون على وجه الماء من قَذى أو غيره، يجتمع إلى الثلمة، بخلاف الجانب الصحيح.
- **الثاني:** أنه رُبما يُشوش على الشارب، ولم يتمكن من حسن الشرب من الثلمة.
- **الثالث:** أن الوَسَخ والزهومة يجتمع في الثلمة، ولا يصل إليها الغسل كما يصل إلى الجانب الصحيح.

- **الرابع:** أن الثلمة محل العيب في القدح، وهي أردأ مكان فيه فينبغي تجنبه وقصد الجانب الصحيح، فإن الرديء من كل شيء لا خير فيه. ورأى بعض السلف رجلاً يشتري حاجة رديئة، فقال: لا تفعل، أما علمت أن الله تعالى نزع البركة من كل رديء؟



- **الخامس:** أنه ربما كان في الثلمة شِق وتحديد يجرح شفة الشارب.

ولغير هذه المفاسد.

وأما النفخ في الشراب فإنه يُكسبه من فم النافخ رائحة كريهة، يُعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغيّر الفم. وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه.

ولهذا جمع رسول الله ﷺ، بين النهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه، في الحديث الذي رواه الترمذي في صحيحه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ، أن يُتنفس في الإناء ويُنفخ فيه.



ضوابط التعامل مع موارد البيئة

في حال الحرب



د. حسن أبو غدة

رحمه الله*

ما هو الإتلاف؟

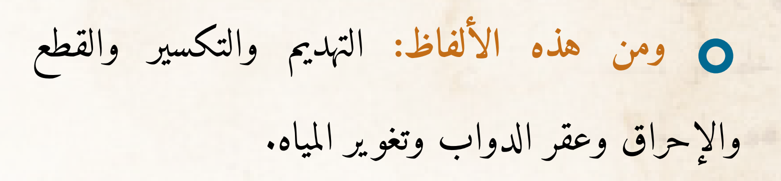
يقصد بالإتلاف: الإفناء والإهلاك والإعطاب، الذي يُخرج الشيء من أن يكون منتفَعاً به عادةً، سواء كان هذا بإتلاف عَيْنه أو بإبطال مَنفعته.

وبعد الاستقراء والتتبع تبين أن هناك ألفاظاً ترادف الإتلاف، وردت في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنصوص الفقهية، وهي تلتقي به إجمالاً في الدلالات من حيث النتائج والنهايات بل والأحكام، لا من حيث الأسباب والبدايات.

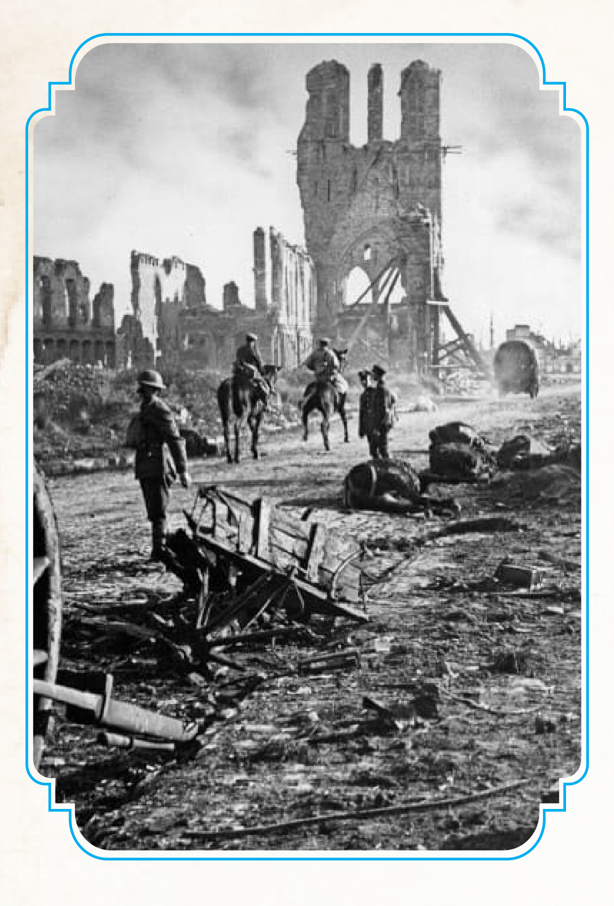
---

* د. حسن أبو غدة، قضايا فقهية في العلاقات الدولية حال الحرب، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠م)، ص١٠٢ وما بعدها.
و الدكتور حسن أبو غدة أستاذ في الفقه الإسلامي ومن علماء الشام، رحمه الله تعالى.

- **ومن هذه الألفاظ:** التهديم والتكسير والقطع والإحراق وعقر الدواب وتغوير المياه.



الأموال غير المستخدمة في القتال



- **المراد بالأموال غير المستخدمة في القتال:** الأعيان والمنافع التي يملكها الأعداء ولا يستخدمونها في القتال، ولا تَحول بينهم وبين المسلمين أثناء العمليات الحربية، بغض النظر عن توفّر صفة التقوّم فيها التي هي صفة خاصة في حق المسلم إذا أراد أن يتملك شيئاً، لأن البحث يعالج حكم إتلاف المسلم أموال العدو لا حكم تملكه إياها.

- **ومن أموال العدو التي عالجها هذا البحث:** أسلحتهم كافة، وأبنيتهم على تنوع وظائفها وأغراضها، وزرعهم ومستودعاتهم، وخزانات وقودهم ومياههم، ووسائل مواصلاتهم وطرقهم وجسورهم، وكافة أدواتهم وأجهزتهم ذات الصبغة الاقتصادية والمعيشية، إضافة إلى ثروتهم الحيوانية من خيول وأبقار وأغنام وخنازير.

- **توضيح:** المراد بالحربيين الكفار من أهل دار الحرب، التي غلب عليها حكم الكفر، وبينها وبين المسلمين حالة حرب، ولو نظرياً.

أجمع العلماء على مشروعية إتلاف أموال العدو المستخدمة فعلاً في القتال، والتي تباشر بها العمليات الحربية، سواء كانت جماداً أو حيواناً يقاتلون عليه. ويلحق بهذا فيما يبدو الأدوات والوسائط غير المستعملة في القتال إذا كانت صبغتها عسكرية كالمطارات العسكرية ومخازن الأسلحة وخزانات الوقود العسكرية، التي يمكن أن تستخدم كإمدادات في القتال.

واتفق جميع الفقهاء في الإسلام على حرمة إتلاف المال المتقوم إتلافاً محضاً، بلا موجب شرعي ولا مصلحة راجحة، لا فرق في هذا بين ما يملكه المسلمون، وبين ما يملكه أعداؤهم، لما ورد في النهي عن الفساد وإهدار الثروة والمال، فضلاً عما في ذلك من عبث وتخريب محض.

أما إتلاف أموال العدو غير المستخدمة في القتال فهو أمر مختلَف فيه بين فقهاء المسلمين، حيث ظهر -بعد التتبع والاستقراء- أن للعلماء فيه اتجاهين اثنين رئيسين:

الاتجاه الرئيس الأول



تحريم الإتلاف مطلقاً في الجمادات والحيوانات، ويُنسب هذا إلى أبي بكر الصديق وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، وهو قول الأئمة: الأوزاعي والليث وأبي ثور، وهو أيضاً أحد قولي الإمام أحمد، رحمهم الله تعالى جميعاً، لكنه قول مرجوح.

الاتجاه الرئيس الثاني

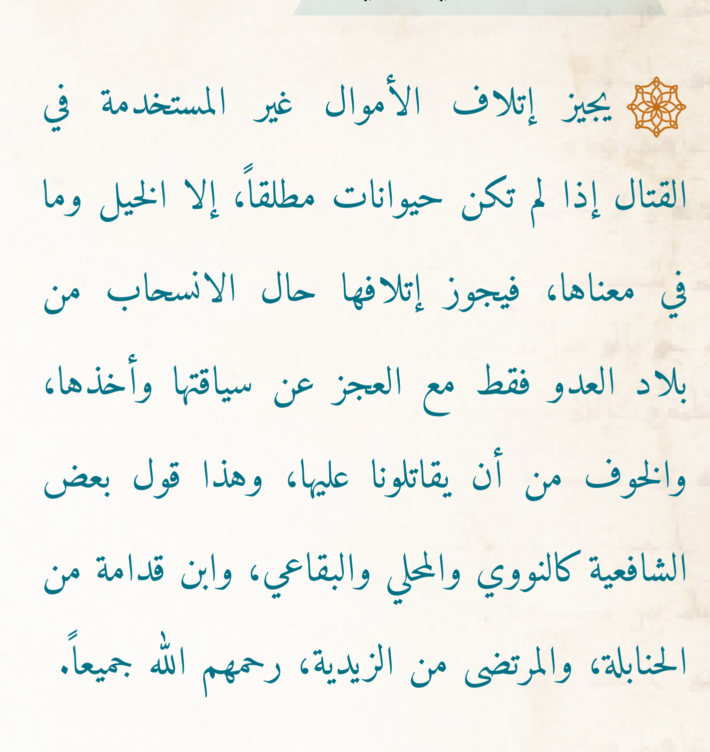
مضمونه إباحة مبدأ الإتلاف -على اختلاف في مشمولات هذه الإباحة- وهو قول جمهور علماء المسلمين، وبه قال أكثر الصحابة والتابعين ومَن بعدهم، منهم: نافع مولى ابن عمر وعبدالرحمن بن القاسم وإسحاق والثوري وعمر بن عبدالعزيز وعبدالله بن الحسن وأصحاب المذاهب الثلاثة وأتباعهم: الحنفية والمالكية والشافعية، وهو القول الراجح للإمام أحمد والمفتَى به عند الحنابلة، وبه قال ابن حزم رحمهم الله تعالى جميعاً.



البحث نتبع واستقرأ الاتجاهات الفرعية اللاحقة التي ذهب إليها جمهور الفقهاء، حيث اختلفوا -بعد اتفاقهم على مشروعية مبدأ الإتلاف- وكان لهم ثلاثة أقوال -اتجاهات فرعية- هي كما يلي:

الاتجاه الفرعي الأول

يجيز إتلاف أموال الحربيين غير المستخدمة في القتال إذا كانت من الجمادات فقط لا من الحيوانات، إذا كان في الإتلاف مصلحة أو نكاية بالعدو أو إغاظة لهم. وهو قول نافع مولى ابن عمر وعبدالرحمن بن القاسم وإسحاق والثوري وعمر بن عبدالعزيز وعبدالله بن الحسن ومحمدبن الحسن الشيباني، وهو الرواية الأظهر للإمام أحمد والمعتمدة عند الحنابلة، وبه قال الشافعي وأكثر فقهاء الشافعية ومالك في أحد قوليه، وابن وهب من المالكية، وابن المنذر وابن حزم رحمهم الله تعالى جميعاً.



الاتجاه الفرعي الثاني

يجيز إتلاف الأموال غير المستخدمة في القتال إذا لم تكن حيوانات مطلقاً، إلا الخيل وما في معناها، فيجوز إتلافها حال الانسحاب من بلاد العدو فقط مع العجز عن سياقتها وأخذها، والخوف من أن يقاتلونا عليها، وهذا قول بعض الشافعية كالنووي والمحلي والبقاعي، وابن قدامة من الحنابلة، والمرتضى من الزيدية، رحمهم الله جميعاً.



الاتجاه الفرعي الثالث

ومضمونه جواز إتلاف الأموال غير المستخدمة القتال، سواء كانت جماداً أو حيواناً، إذا اقتضت المصلحة ذلك، أو كان فيه إغاظة للعدو ونكاية بهم، وهذا قول أبي حنيفة وعامة فقهاء مذهبه إلا محمد بن الحسن، وهو أحد قولي الإمام مالك، وبه قال عامة فقهاء المالكية إلا ابن وهب رحمهم الله تعالى جميعاً.

ثمرات البحث ونتائجه

- **من معالم هذا البحث وثمراته:** تتبع واستقراء وجمع الأدلة التي احتجّ بها أصحاب هذه الاتجاهات جميعاً، وبيان الاعتراضات والردود والمناقشات التي أوردوها على بعضهم.

- **ومن معالم هذا البحث وثمراته أيضاً:** التعقيب على ما وقع من بعض العلماء المعاصرين في معرض كلامهم عن الاتجاه الفقهي الرئيسي الأول وتحديدهم لأصحابه، وفي أثناء كلامهم أيضاً عن آية (اللِينة) وحديث «الطائف».



- **ومن نتائج هذا البحث:** اختيار واعتماد قول الحنفية والمالكية في جواز إتلاف كافة ممتلكات العدو غير المستخدمة في القتال، حيوانات أو جمادات، إذا كانت المصلحة ولو على سبيل إغاظة العدو. ولكن مع عدم موافقة المالكية في قولهم بجواز إحراق نحل العدو طلباً للعسل.

- **وقد قام هذا الاختيار على اعتبارات عدة، منها:** استبعاد قول الأوزاعي ومن معه رحمهم الله جميعاً؛ لمعارضته أدلة من الكتاب والسنة وردت صريحة في محل النزاع ذاته.

- **ومنها:** وجود مرجحات خارجية لأدلة الحنفية والمالكية على أدلة الشافعية والحنابلة، حيث إن أدلة الطرفين -في منع إتلاف الحيوان- هي من قبيل تعارض العموم، فرجح قول الأولين بعقر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فرسه يوم مؤتة، إضافة إلى مرجحات أخرى قياسية خارجية، رجحت أقيسة الحنفية والمالكية على أقيسة الشافعية والحنابلة.

ومنها التأكيد على أن سماح الإسلام بمبدأ إتلاف أموال العدو غير المستخدمة في القتال -مع مراعاة تعدد وجهات نظر الجمهور في مشمولاته- هو حالة استثنائية جائزة غير واجبة، وهي تعود إلى تقدير



الجهات المسؤولة المختصة، ولا شك أن الضغط على العدو بإتلاف ممتلكاتهم -في الحالات والأوصاف المتقدمة- أفضل من تركها لهم، ليؤججوا نار الحرب -عاجلاً أو آجلاً- ويُزهقوا مزيداً من الأرواح ويسفكوا الدماء ويوقعوا مزيداً من الخسائر والدمار، وهذا ما تتجه إليه بعض الاجتهادات الدولية القديمة والحديثة في بعض تطبيقاتها[١].

ولا شك أن الإتلاف المسموح به لا يراد به التخريب المحض والفساد، بل يراد به تصحيح الانحراف في العلاقات الدولية، وهو أشبه بالعلاج لطرد المرض من الجسم، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ * وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧٠، ٧١]. وهو القائل أيضاً: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

والحمد لله رب العالمين.

---

١ انظر: القانون الدولي، للدكتور جابر، ص٣٠٦-٣٠٩، والعلاقات الدولية في الكتاب والسنة، للدكتور الحسن، ص١٧١-١٧٣.

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى

التوازن في الكون
د. سفر الحوالي
٢٠٠

حماية البيئة وإماطة الأذى
الشيخ محمد صالح المنجد
٢١٢

بين التعمير والتدمير
د. صلاح سلطان
٢١٥

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾
د. صالح أبو طالب
٢١٩

بلطجية الكنيسة برعاية الحكومة
خالد حربي
٢٢٨



التوازن في الكون



د. سفر الحوالي

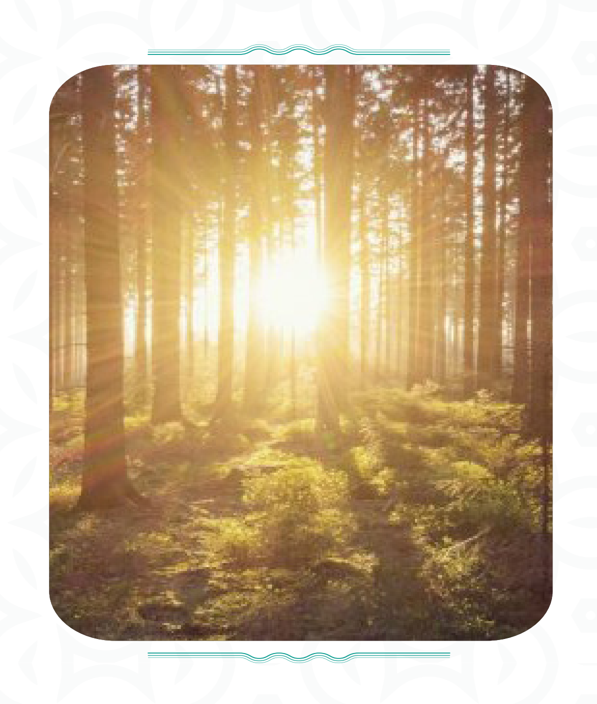
فك الله أسره*

الله تعالى جعل البيئة متوازنة وجعل الكون قائماً على هذا التوازن ولكن الإنسان يفسد البيئة ويجعلها غير صالحة للحياة، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩] إلى أن يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

* الشيخ الدكتور سفر الحوالي، كتاب: المسلمون والحضارة الغربية، ص١٥٤٦ وما بعدها.

وهو سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ورتب المخلوقات ترتيباً عجيباً. ففي أعلى الهرم الغذائي مثلاً تقع آكلات اللحوم ثم آكلات الأعشاب وفي أسفله تجد آكلات الديدان والحشرات. فلو أن الإنسان بجهله وظلمه قضى على شيء من ذلك لاختلت أجزاء أخرى وتضخمت. فلما قضى الصينيون على الطيور الآكلة للحبوب كي تسلم المحصولات في رأيهم كثرت الديدان وقضت على المحصول. ولما قضى الأمريكيون على الذئاب كثرت الغزلان والتهمت كل ما استطاعت من الأوراق الخضراء في الغابات فاضطروا إلى استيراد الذئاب من كندا. ولو أن دولة قضت على الأفاعي لكثرت السحالي والفئران فيضطر الناس إلى إعادتها.

وقل مثل ذلك في السمك الكبير الذي يأكل السمك الصغير، إن البشر استطاعوا القضاء على الأسماك الكبيرة لامتلأت البحار من الصغيرة وهكذا.



ومن التوازن في خلق الله أنه ليس في شيء من المخلوقات ما هو عبث أو بلا حكمة بل التعاون والتكامل قائم بين الكائنات، حتى الطفيليات «كالهدال» الذي يمد الأشجار والنباتات بحاجتها من المواد التي قد نعلمها، وقد لا نعلمها.

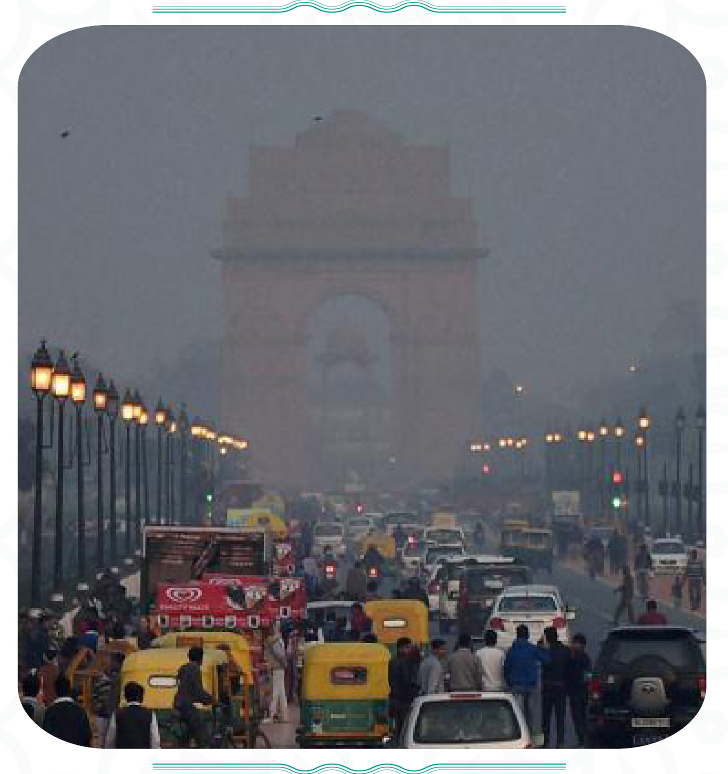
وقل مثل ذلك في التكافل القائم بين الفطريات والنبات أو بين بعض النباتات البحرية والأسماك وبين بعض الطيور وبعض الزواحف وكل شيء له حكمة، وقد وقع ذباب على أحد الجبابرة فسأل من حضر من علماء السلف لماذا خلق الله الذباب؟ قال: ليذل به الجبابرة، هذا مع أن للذباب حِكَماً أخرى يعرفها المختصون. كما أن البكتيريا تتعاون مع الحبوب لإنتاج الخميرة.

وتبعاً لهذا التوازن البيئي تجد النباتات تمد البهائم بالغذاء، والبهائم تمد الإنسان باللحوم وهكذا حتى ما تخرجه البهائم من الرجيع تجده أوفر وأرخص سماد للنبات وإذا ماتت الغزلان أو حمر الوحش مثلاً تحولت الجثث إلى سماد للأرض. والنحل يمتص الرحيق وفي الوقت نفسه يحمل اللقاح، والربية أو ما يسمى «النمل الأبيض» تتغذى بالخشب الذي لا يستطيع غيرها التغذي به.

وأي محاولة بشرية لتغيير ذلك النظام البيئي مثل القضاء على إحدى طبقات الهرم الغذائي لابد أن يؤدي إلى خلل وفساد كما سبق. وهذا التوازن والتعاون مما يبيّن بطلان ما يدعيه التطوريون إذ يزعمون أن الأحياء تنتقل من نوع إلى نوع آخر طفرة، ولو أنها تتحول حسب قانون الطفرات الوراثية المزعوم لانتفت الحكمة من وجودها، والتمساح مثلاً والطائر الذي يخلل له أسنانه موجودان معاً. فإذا كان هذا ميزانه وحكمته في خلقه فما ظنك بشرعه؟



مشكلة التلوث من المشاكل البيئية المستعصية مع أن العالم كله يعرف أن مصدره ليس النيجر أو شيلي وإنما هو العالم الصناعي لاسيما الولايات المتحدة، وأكثر مدن العالم تلوثا هي عواصم الدول الفقيرة مثل نيودلهي، ومكسيكو سيتي، والقاهرة.



وللتلوث تأثيرات صحية ضارة لاسيما على النساء اللاتي يعملن في الطبخ على الغلايات ذات الأبخرة. ومن أخطر أنواع التلوث ما يسبب السرطان والأمراض القاتلة، وهو لا يعرف الحدود، فلما ألقت أمريكا اليورانيوم المنضّب والنووي التكتيكي على العراق امتدت آثاره إلى شمال السعودية ووصل إلى الرياض بل إلى الخميس فضلاً عن حائل وبريدة وآنذاك كانت جزيرة العرب كلها تحت رحمة الأمريكان، فما يؤمننا أن تكون أمريكا دفنت النفايات النووية في الصحراء أو ألقتها في بحارنا، مثلما دفن الغرب نفاياته في أبيدجان بساحل العاج أو في غانا!

ويتعمد الغربيون اغتيال زعماء الحركات الرافضة لقواعدهم، والتي ترفض تلوثهم، وترفض أن تكون بلادها مجرد مكب للنفايات الغربية كنفايات الحاسوبات أو المصانع أو النفايات النووية. بل يصف الغرب تلك الحركات الوطنية بأنها إرهابية ومنها مثلاً حركة حماية الموارد الطبيعية (شيبكو) في الهند، وحركة حماية دلتا نهر النيجر من شركة شل، وحركة المحافظة على الغابات في حوض الأمازون.



وقد عقدت ١٥٠ دولة في باريس مؤتمراً عالمياً للمناخ والبيئة سنة ٢٠١٥ وأقر المؤتمرون أن أكبر ملوث للبيئة في العالم هو الدول الصناعية لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك أيام أوباما، وعلى ذلك وقعت أمريكا، فلما تولى ترامب أعلن انسحابه من ذلك!

كما أن هناك منظمات غربية تسعى للهيمنة على العالم باسم حماية البيئة، لكنها تنشر الثقافة الغربية خصوصاً الأمريكية باسم العولمة، ومن أمثلة تلك المنظمات اللجنة الثلاثية والمنتدى الاقتصادي، وقمة الدول الصناعية السبع أو قمة الدول العشرين الأقوى اقتصاداً في العالم. أما السعودية فيعوّل اللصوص المطففون على ارتفاع القدرة الشرائية لشعبها، وكثرة استهلاكه وتبعاً لذلك ينشرون فيه ثقافة الاستهلاك لمنتوجاتهم وإغراق أسواقه بها ويشغلونه بمشروعات خيالية مثل: سحب الثلوج من القطب الجنوبي إلى جدة، وشربه من مياه نهر الكونغو، فإن لم ينفع أسلوب الجزرة فلا بد من أسلوب آخر وهو التهديد بأن الاحتباس الحراري سوف ينتج عنه تغيرات مناخية كبيرة منها غرق جدة، ومنها التصحر وشدة الحر، واستحالة سكنى الرياض، والأمم المتحدة تصدر تقريرًا عن التلوث البيئي وعن ترتيب المدن الملوثة في العالم وحسب التصنيف العالمي تكون نيويورك وكثير من المدن الأمريكية ملوثة، وكذلك كثير من العواصم الغربية، أما المدن الأكثر نظافة وخضرة فهي مدن ماليزيا.



الفساد الكوني

قد ذكر الله تعالى أن الفساد الكوني سببه الذنوب وإنما تفسد البيئة بما كسبت أيدي الناس، ومن الفساد الكوني:



١. اتساع الخرق الذي في طبقة الأوزون.

٢. التلوث الذي تنتجه المصانع لاسيما الغربية وتزخر به بعض المدن الأخرى مثل نيومكسيكو، والقاهرة، ونيو دلهي وبكين.

٣ ارتفاع منسوب المياه الذي متى اكتمل غرقت جدة.

٤ كثرة الزلازل، وهذا ليس في نطاق الزلازل الجغرافية المعروفة فقط، بل في كل بقعة، وأصبح معتاداً في مكة واليمن والساحل والسراة والعيص، ويقولون إن حي الجامعة في جدة سيكون مركز زلزال قادم والله أعلم. ومن المعلوم أن منطقة الأخدود العظيم البحر الأحمر منطقة زلازل، فمتى نتوب ونستغفر ونتضرع إليه أن لا يؤاخذنا بذنوبنا؟ أما في أمريكا فالأمر محسوس لمسته بنفسي حيث كان السرير يهتز بي في غرب أمريكا، ويقول الخبراء اليوم أن الغرب الأمريكي سوف يبتلعه المحيط نتيجة زلزال قوي. وقريب من الزلازل البراكين وبعضها لو ثار لتعطلت حركة الطيران في العالم، وزادت حرارته، وأنا لما أخبروني أن أحد الأماكن بالسراة يخرج منه بخار تأكدت من ذلك بنفسي فرحماك ربي.

٥ كثرة الفيضانات كما ترى اليوم في أمريكا وبريطانيا واستراليا وغيرها.

٦ الجفاف الذي يقول عنه بعض الباحثين إنه سوف يهدد الولايات المتحدة.

٧ كثرة الأعاصير والعواصف الثلجية والرملية.

٨ انقراض كثير من الحيوان والنباتات حتى أن بعضها يكاد يصبح مجرد تاريخ كما أصبحت الديناصورات والبيسونات، والماموثات.

٩ كثرة حرائق الغابات لاسيما في الغرب، وكاليفورنيا من أوضح الأمثلة على ذلك.

وغير ذلك مما لا نعلم وهذا كله بما كسبت أيدي الناس، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، فانظر كيف أن هذا الفساد إنما هو ببعض الذي عملوا لا كله ثم كيف أنه يعرض عليهم التوبة والرجوع. فالحل لذلك هو الاستغفار والإقلاع عن الذنوب وأن يستسقي أهل كل بقعة كما يشاؤون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف : ٩٦].

وقد حرص ديننا الحنيف على نظافة البيئة وحماية الحياة الفطرية وأرشدنا إلى أصول تؤدي لذلك، منها:

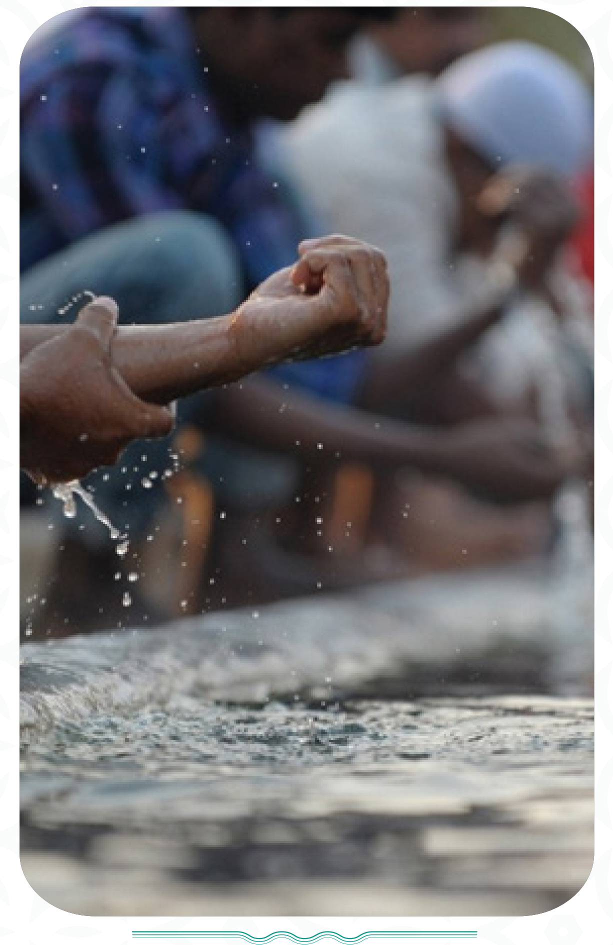


١. أن البيئة النظيفة إنما تكون حيث يماط الأذى عن الطريق وهو من شعب الإيمان، كما ثبت في السنة. والأذى أعم مما قد يظن، فإن النبي ﷺ أخبر عن رجل دخل الجنة في غصن شوك نحاه عن الطريق، كما أن إماطة الأذى أعظم من أن تكون سلوكاً حضاريًا كما نقرأ، ولو أن الدعايات كانت كلها إيمانية وربطت ذلك بالأجر في الآخرة لكان خيرا ولتغيرت أحوالنا عما هي عليه.

٢. أن الخضرة مشروعة إما أصلاً وإما تبعاً، فلا يجوز قطع الشجر في الحرم وهذا ما لا نظير له اليوم عند أي أمة، كما أنه يجوز في الإسلام الحمى بدلاً مما يسمى اليوم «حماية الحياة الفطرية»، وسيأتي لذلك مزيد إيضاح بإذن الله.

٣ يقولون اليوم إن البيئة النظيفة هي التي تستخدم الطاقة الشمسية، وبلاد المسلمين هي التي تطلع فيها الشمس كل يوم، وكثير منها صحاري لا تكاد تغيب عنها الشمس، أما في الغرب فهم يموتون لو بلغت الحرارة ٤٠ درجة مئوية ولا يكادون يرون الشمس، فسبحان الذي اختار لنا أفضل بيئة، والرئة الشرقية التي يتنفس منها العالم اليوم هي الغابات الكثيفة في ماليزيا وإندونيسيا وهما بلدان إسلاميان.

والإنسان مهما اتحد أصله تؤثر فيه البيئة والتربية والمحيط فمثلا قبيلة قحطان واحدة لكن يختلف قحاطين اليمن عن قحاطين نجد، ورعاة الغنم يختلفون عن رعاة الإبل ويختلف أهل الحجر عن أهل الوبر. وقل مثل ذلك في شمر حيث يختلف من كان منهم في حائل عمن منهم في العراق، وهم في العراق أيضاً يختلفون وكذا من كان منهم في الشام أو الكويت.



النظافة الشخصية

كما أن الإسلام يحث على البيئة النظيفة فهو كذلك يحث على النظافة في البدن والمظهر فيأمر بالوضوء والاغتسال والسواك والختان وأمثال ذلك.

ومن النظافة قديماً أنه كان لكل بيت مسلم مرحاض لقضاء الحاجة في الوقت الذي كان الغربيون يبولون كالبهائم ويتبرزون في الخلاء، وقد بنو قصر اللوفر مثلا وهو قصر ملكي في باريس جعلوه الآن متحفاً ولم يجعلوا فيه مرحاضاً واخترعوا المظلة

(الشمسية) كي تقيهم الأبوال النازلة عليهم، ثم جاءوا بنجاساتهم وأبوالهم ليدنسوا بها المطارات والعمارات في جزيرة العرب، ويأخذون على القواسم أنهم كانوا يطهرون السفن إذا استولوا عليها من الانجليز.

ومع هذه القذارة الغربية يقول الغربيون إن المسلمين أمة قذرة، ويصدقون المناهج التعليمية الإسرائيلية في قولها إن العرب إذا أرادوا أن يغتسلوا بصقوا في أيديهم ودلكوا بها أجسادهم، ولا ترد عليهم مناهجنا لأنها مناهج تيمية وهابية تحكمها عقلية القطيع كما يزعم الليبراليون، كما ولا يرد عليهم إعلامنا المحلّي الذي يذكرنا بأحداث مضى عليها عقود حتى لا نسى.



ومن عظمة هذا الدين أنه شرع لنا النظافة، فلما رأى النبي رجلاً ثائر الرأس وسخ الثياب قال: «ألم يكن هذا يجد ما يسكن به شعره؟» الحديث.

وشرع لنا السواك وله فوائد أو ميزات ليست في غيره:

١ أنه يجمع بين فوائد الفرشاة وفوائد المعجون، حيث يقوم بالعمل الميكانيكي والكيميائي معاً.

٢ أنه يمكن حمله في كل مكان بخلاف الفرشاة والمعجون.

٣ أن الإنسان يستعمل السواك خمس مرات على الأقل قبل الصلوات الخمس أما المنظفات الصناعية فلا يستخدمها إلا أقل من ذلك.



٤ أن التسوك ممكن للفلاح في الغيط وللبدوي في البادية ولساكن الغابات و لمن لا يجد المعاجن والفرش.

وقد نهانا ديننا الحنيف عن النجاسات الحسي منها والمعنوي، فأخبرنا الله تعالى أن المشركين نجس، قال تعالى: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس﴾ [التوبة: ٢٨]، وهم كذلك حسًا ومعنى، فالإنسان الكافر غالباً كريه الرائحة قذر قذارة حسية مشاهدة غير قذارته المعنوية. فهو لا يستنجي ولا يتسوّك وهو يصطحب كلبه معه! وقد ذهب أحد السعوديين إلى أمريكا فلما رآهم قال: كلاب يربون كلاباً.

والنساء الغربيات يلبسن الثوب نفسه طوال الأسبوع وربما الشهر أو طول العمر. وحليهن لا تقبل كثير من المسلمات أن تحلى بها، وكذا العطور التي يتعطر بها الغربيات، ويستطيع من يمتهنون الغسيل في الغرب التفريق بين ثياب المسلم وبين ثياب الكافر بسهولة، وقد أسلم أحد الغربيين لما رأى الفرق بين بنطال المسلم وبنطال الكافر. والمسلم النظيف تكون قدمه أنظف من وجه الكافر كما قال أحد المسلمين الهنود لرئيسه الكافر (قدمي أنظف من وجهك!) وأنف المسلم قطعاً أنظف من أنف الكافر، وشتان بين من يستنثر في اليوم عدة مرات وبين من لا يعرف الاستنثار إلا في أوقات محددة.

ومع الحرص على النظافة أباح الإسلام التمتع بما أودعه الله في مخلوقاته من جمال وتناسق، وأنه ليس في خلقه تفاوت، وهو تعالى كما وصفه نبيه: جميل يحب الجمال، ويختلف الفلاسفة قديماً وحديثا في حقيقة الجمال، وكان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وأطيبهم رائحة، وأعطي يوسف عليه السلام شطر الجمال.

وقد ذكر شيخ الإسلام جواز النظر في الأزهار والأشجار والخيل والبهائم.

والله تعالى أنشأ لنا الحدائق ذات البهجة.



ومن مظاهر الجمال: جمال الطبيعة وجمال الأنهار والعيون والبحار والنجوم، وخلق الإنسان في أحسن تقويم.

ومن الجمال ما يحرم النظر إليه كالنساء الأجنبيات والمردان، على أن مظاهر الجمال في الدنيا إنما هي ليعتبر المؤمن ليعلم مقدار الجمال في الآخرة الله حيث يكون الجمال أكثر وأوضح.

ومن فوائد التربية الصحية التكيف مع البيئة ولذلك لا يبالي المسلم أينما نقلوه أو أينما وضعوه فكل ذلك بتقدير من الله وهو وسيلة لنشر الحق في تلك البيئة.

والتكيف مع البيئة هداية الله للإنسان سماها «أرنولد تويني» التحدي والاستجابة، وقد رأيت بعيني كيف أن أهل فيفا تكيفوا مع البيئة الجبلية وأجروا الخرسانة في أنابيب من الأماكن العالية إلى المنازل المراد بناؤها، فالإنسان آتاه الله عقلاً وعلماً وهو أقدر المخلوقات على التكيف، وعلى الاستجابة للتحديات البيئية، وهو مع ذلك عبد مخلوق لله تعالى، وكذلك تكيفت الأحياء في القطب مع برودته، وتكيفت الأسماك في قاع البحر مع ظلامه.

أما أمريكا فقد قررت وزارة البيئة العراقية حاجتها إلى العدالة البيئية، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وحرم الكفار من هذه الميزة.

وقد سبق المسلمون الغربيين في حماية البيئة ولا يزالون، فقد جعل الله تعالى حرماً آمناً لا يعضد شوكه ولا يختلى خلاه ولا ينفّر صيده وهذا أعظم الحمى، وحمى بعده خلفاؤه المهديون فجعلوا لكل مدينة



أو قبيلة حمى، وإنما أجاز للناس أن يقتلوا ما يضر بالإنسان الذي هو أغلى المخلوقات وسيدها كالأفاعي والوحوش وبعض الطيور.

فمن الانتكاس المحافظة على ما يسمى اليوم الكوبرا العربية أو النمر العربي وأشباهها وترك الإنسان في فقره وعوزه كما تركوا أهل تهامة والساحل وزعموا أن في جبل «شدا» نمراً عربياً!

كما لا يجوز كذلك الاستيلاء على الأراضي أو الغابات بذريعة حماية الحياة الفطرية أو السياحة، ولا أن يترك وزراء الدفاع واجباتهم الكثيرة ويهتموا ببيض النعام كما حصل فعلاً، حيث ذهب الوزراء إلى مكان ما كما ذكرت جريدة الرياض فوجدوا ١٧ بيضة!

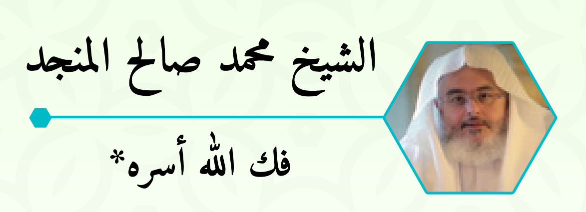
فبالتمسك بديننا واتباع آدابه لا نحتاج إلى «الأحزاب الخضر» كما في الغرب ولا توصياتها، ونزرع ولا نقطع عملاً بقوله: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها».

وماذا بعد قيام الساعة من منفعة مادية مرجوة؟

وفي نهاية هذا المبحث ندعو أنفسنا وكل ذي عقل في بلاد الحرمين أن يتفكر ويقول بصدق من الذي اختطف المجتمع؟ أهو الليبراليون أم المتدينون؟ والله تعالى قد قال وقوله الحق: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩]، فبعد صدور القرارات الأخيرة وبعد الموقف الإعلامي الواضح من ثوابت الدين من علمائه الأحياء منهم والأموات، ظهرت الحقيقة وأخرج الله الأضغان ونطق الرويبضات.

ومن هنا يجب علينا أن نسأل أنفسنا: من الذي اختطف المجتمع وسار ضد قيمه وثوابته وسبح عكس التيار المحلي والعالمي؟

حماية البيئة وإماطة الأذى



الشيخ محمد صالح المنجد

فك الله أسره*

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين:

خلق الله سبحانه وتعالى لنا ما في السماوات وما في الأرض، وهذا الخلق منه عز وجل خلق متقن: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السجدة: ٧].

---

* المقال منتقى من لقاء للشيخ محمد صالح المنجد، بعنوان: حماية البيئة وإماطة الأذى، عام ١٤٣٨هـ، موقع إلكتروني: (almunajjid.com).

وهو سبحانه وتعالى خلق كل شيء بقدر وقدره تقديرًا، وجعله موزونًا، والكون هذا شاهد ببديع صنعته سبحانه وتعالى، هذه السماوات وما فيها والأرضون والنباتات والزروع والثمار، وعالم البحار والأسماك والطيور والحيوانات والحشرات والفيروسات، كل هذا الفلك الدوّار في الأعلى والأرض في الأسفل فيها أشياء عظيمة، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣].

وجعل الله سبحانه وتعالى لنا هذه الأرض مهدًا وسلك لنا سبلًا، وأنزل من السماء ماءًا، وأخرج لنا أزواجًا من نباتٍ شتى لمرعى أنعامنا، وأيضا لطعامنا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر ٧٩-٨٠]. ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: ٦٦]

هذه الأجواء، والطير مسخراتٍ في جو السماء ما يمسكهن إلا الله. كل هذه الأشياء التي خُلقت من أجلنا نعمة من الله سبحانه وتعالى، شاهدة على قدرة الله عز وجل.



لا ضرر ولا ضرار

الإنسان الذي جعله الله في هذه الأرض مطلوب منه أن يعيش فيها بشرع الله، والله

سبحانه وتعالى حرم كل ضار، والنبي عليه ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار»، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

فالله عز وجل جعلنا لنا فيها أقواتًا، فلا يجوز إفساد الأقوات، وجعل لنا فيها مصادر للطعام من نبات وحيوان، ولا يجوز الإفساد في هذه، وجعل لنا فيها الهواء والماء ولا يجوز الإفساد في هذه، وجعل الله عز وجل من الماء كل شيء حي، وسخر لنا تعالى ما في السماوات وما في الأرض من أجلنا نحن وأولادنا والأجيال القادمة، فلا يجوز للإنسان عموماً أن يعتدي على هذه الأشياء التي خلقها الله عز وجل، خصوصًا وأن هذه الأشياء فيها رزقه، فيها أرزاق الناس.

مسؤولية الإنسان في حفظ البيئة



البيئة هي: كل ما يحيط بالإنسان من مكونات طبيعية؛ كالماء والهواء والحيوان والنبات. وعناصر البيئة: الأرض والمناخ والماء والهواء والمعادن ومصادر الطاقة.

وأعظم مخلوق في الأرض هذا الإنسان، الذي خلق الله سبحانه كل هذه الأشياء من أجله، هذا الإنسان هو الذي يعمر هذه الأرض بمنهج الله تبارك وتعالى، وهو المسئول عن أن تُعمر على شريعة الله، وبالتالي حماية هذه البيئة، بإماطة الأذى، ومنع التلوث، ومنع الإفساد، ومنع الضرر، ومنع الإتلاف.. كلها من مسئوليات الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض.



بين التعمير والتدمير

د. صلاح سلطان

فك الله أسره

- التعمير من واجبات الإنسان تكليفة عن الله في هذه الأرض، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، والتدمير هو تصرف هوجائي أرعن يهلك الحرث والنسل ممن تخلى عن إنسانيته، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥].

---

* د. صلاح سلطان، مقال: بين التعمير والتدمير، بوابة جريدة الشرق، ٢٦-٣-٢٠١٤م.

- التعمير هو خُلق المسلم الذى يجب أن يتعامل مع الأرض عمارةً، ومع الناس رعايةً، والقانون طاعةً، والسُلطة معاونةً فيما لا يخالف قرآنًا أو سُنة، والتدمير هو التعامل مع الأرض هدمًا وتخريبًا، ومع الناس قتلاً وإرهابًا، ومع القانون خروجًا وانفلاتًا، ومع السُلطة نفاقًا وتلفيقًا.

- التعمير أن تترك البلدان والمكان والزمان خيرًا مما كان، والتدمير أن تترك البلدان والمكان والزمان أسوأ مما كان، كنت صغيرًا أكره من الطلاب المشاغبين أن يكتبوا على جدران الفصول والطاولات وظهر الكراسي في الأتوبيسات عبارات فارغة تدل على فراغ وخراب نفوس أصحابها مثل: «للذكرى الهباب، وأيام العذاب» والتوقيع باسم حركي في التدمير والفساد، وغالبًا يكون له دلالة الشقاوة والعفرتة مثل: «خيشة، وحنش، والوحش و...»، وبحكم أني فلاح كنت أسعد كثيرًا بأن نكدَّ في الأرض الجرداء حرثًا، وبذرًا، وريًا، وعنايةً بالزرع حتى نرى الخضرة تكسو الأرض بعد خوائها، كنا نتعب جدًا ونسعد بنفس القدر بهذه العمارة للأرض بالخضرة وهي أصل الخير ففيها الزرع يكسو الأرض جمالاً، ويعطي الإنسان الأوكسجين مجانًا، ويستنفد ثاني أكسيد الكربون ليزداد الجو نقاء، أما المحصول فتأكل منه الناس والطيور والأنعام، وفي كل صدقة للحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «ما من مؤمن يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه إنسان، أو طير، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة».



ولازلتُ أضيق صدرًا بالمدن التي تقل فيها الخضرة وتكثر فيها عوادم السيارات والمصانع، أما أكبر تدمير يجري في العالم فهي هذه العوادم التي ينتجها الكبار في الدول الصناعية الكبرى وتحمل النفايات إلى البلاد الفقيرة عن طريق سماسرة الفساد والتدمير؛ لكي تلوث الماء والغذاء والهواء وتنتشر أمراض السرطان والفقر، حيث يموت كل ٥ ثوانٍ إنسان بسبب التدمير، بينما يجلس أدعياء التعمير يفركون أيديهم طربًا أنهم يحصدون الأموال، ويكسبون الانتخابات ويحركون السياسات للتدمير طول المدى وإن بدا أنه تعمير قصير المدى، وإلى الله المشتكى.



التعمير في الإسلام يجمع بين محاور ثلاثة:

- العمران العقدي في أرقى علاقة مع الله.
- والعمران الأخلاقي في أحسن تعامل مع الإنسان وكل كائن حي.
- والعمران المادي بزيادة الأشجار والثمار والمخترعات والابتكارات التي ترطب الحياة.

وهو عمران يمتد من هذه الدنيا الفانية إلى الآخرة الباقية؛ لينقلب الإنسان من عمران الدنيا إلى نعيم الآخرة، وينتقل المسلم من عيش رغيد إلى قصر مشيد، ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٠-٣٣].



أما التدمير:

- فهو إما تخريب وإفساد في الدنيا والآخرة
- أو تعمير الدنيا وإفساد الآخرة

بأن يُعنى الإنسان بالعمران المادي مع التحلل الأخلاقي والفساد العقدي، مما يتبعه أن يكون الإنسان كما قال تعالى عن هؤلاء المترفين: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٦].

وشأن المسلم دائما أن يرى العمارة للدارين، كما نصح أهل العلم قارون فقالوا:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

لكنه اغتر بماله، واستغنى بعمرانه، فخسف الله به وبداره الأرض، وصار عبرة قرآنية على مَن يعمرون دنياهم ويُخربون آخرتهم، وهو النمط السائد في حياتنا وحضارتنا المادية المغرقة في الفساد الأخلاقي والانحراف العقدي.

يا قوم، يجب أن نقاوم التدمير مهما كان سماسرته وسدنته، لأنهم يستحقون لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وهذا تخلية. أما التحلية: فبالتعمير بأن نغرس الأشجار، ونكثر من الثمار والمخترعات كلٌّ في مجاله ومكانه وموقعه ليلقى الله راضياً عنه، وهو غاية كل حصيف.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾



د. صالح أبو طالب

فك الله أسره*

دين الإسلام هو دين القسط والميزان والعدل والوسطية والتوازن تميز بهذه المبادئ في كل النواحي وفي كل المجالات، في أحكامه وتوجيهاته، ومواقفه في العادات والعبادات والمعاملات والتصرفات، والأخلاق والسلوك والعقل والفكر.

* المقال في الأصل خطبة للشيخ الدكتور صالح آل طالب، بتاريخ: ٤ جمادى الأولى ١٤٢٩، موقع (يوتيوب).

ومن هذا التوسط والاعتدال والتوازن جاء الإسلام بالقصد في كل الأمور، وحذر من خصلة تنافي هذه المبادئ، وذم سلوكاً يتعارض مع أصوله ومبادئه: إنه الإسراف، ذلكم التصرف المشين والسلوك المنحرف المنافي للعقل والشرائع، ذمه القرآن في ثلاثة وعشرين موضعاً، كما ذم أخاه التبذير في مواضع أخرى.



الإسراف هو: مجاوزة الحد وتعدي المشروع، وكل ما بذل في غير وجهه فهو تبذير، نهى الله عنه وذمه وخوّف من عاقبته فقال سبحانه: ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾.

وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

وكره صاحبه: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

وإذا غرق المسرف في بحر إسرافه وأشرب هواه عميت بصيرته فيضل ولا يهتدي، وربما لا يوفق للتوبة حتى يموت على معاصيه وآثامه وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، ويقول الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

والإسراف مذموم في كل حال، حتى ورد النهي عنه عند ذكر الزكاة والصدقات، قال الله عز وجل: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وقال رسول الله ﷺ: «كلوا وتصدقوا والبسوا، في غير إسراف ولا مخيلة»[١].

---

١ حديث صحيح: رواه النسائي وابن ماجه.

ووصف الله تعالى حال كثير من الأمم التي أهلكها بأنها كانت مسرفة، وأن هلاكها بسبب إسرافها، ويكفي في ذم التبذير أنه صفة للشيطان، وأن المتصف به من حزب الشيطان، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

ومع ذلك فهو إضاعة للمال، وحسرة في المآل، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»، وفي صفات عباد الرحمن الواردة في آخر سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

هذا هو منهج الإسلام وخصال أهل الإيمان، والقوام هو القصد والاعتدال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

هذا المنهج الرباني المأمور به هو الاقتصاد، وهو التوازن، والتزامه يعني الكفاف والاستغناء عن الخلق، وتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتوفير المال للنافع المفيد، فيصرف في قنوات المصالح العامة والخاصة بما يعود بالخير على الجميع. والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي، وإما بزيادة الترفّه والتنعم، وربما يتجاوز الحلال إلى الحرام، وهذه أقبح صوره.

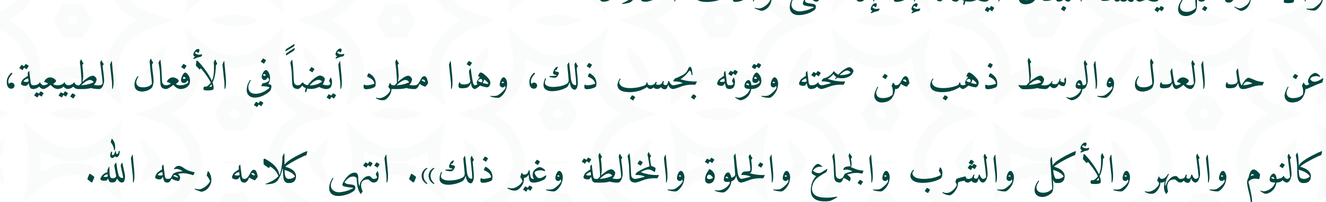


وإن التحذير من الإسراف لا يعني الأمر بترك المباح؛ لذا جاء في الآية الكريمة: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣١].

البخل والشُّح

وكما أن الإسراف مذموم، فذلك البخل والتقتير، وكنز المال والشح به: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

والبخل والشح من أقبح الصفات والخصال، وإنما المطلوب الاعتدال فلا إسراف ولا تقتير، قال ابن القيم رحمه الله: إن مجاوزة الحد في كل أمر يضر بمصالح الدنيا والآخرة بل يفسد البدن أيضاً، إذ إنه متى زادت أخلاقه عن حد العدل والوسط ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وهذا مطرد أيضاً في الأفعال الطبيعية، كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والخلوة والمخالطة وغير ذلك». انتهى كلامه رحمه الله.



آفات الإسراف

ومن آفات الإسراف أنه يطبع المجتمع على الانحلال وعدم المبالاة، والبعد عن الجد والاجتهاد، كما أنه يغيظ الفقراء من حال الأغنياء، ويزرع العداوة والبغضاء حين يرون تبديدهم للثروة والعبث بها،

بينما هم في الضنك والعِوز والفاقة والحاجة إلى الضروريات، وربما سعى أصحاب الدخل الضعيف أو حتى المتوسط لمجاراة الأغنياء في إنفاقهم وإسرافهم فانقلبت كثير من موازين الاقتصاد على مستوى المجتمع، وربما على مستوى الدولة كما هو واقع في مجتمع اليوم، فمن أين لك بالقنوع الراضي؟



إن الناظر في حال غالب الناس اليوم يرى أن نفقتهم تضيق بهم مع وفرة المال، وترى غالب الإنفاق في مجال الكماليات والمجاملات على حساب الضروريات والحاجيات، بل ترى بعض الناس يستدينون ويقترضون لا لسد الحاجة، وإنما للكماليات ولمجاراة الأغنياء والمترفين؛ فيقلد بعضهم بعضاً ويسرفون كما يسرفون، ويركضون خلف التقليد ويلهثون حتى يسقطون في حمأة الديون، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الشعراء: ١٥١].

ومع كل ذلك فإن الجهول يعمى عن هذه العواقب وصدق الله إذ يقول: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

إن الاقتراض شُرِع للإرفاق ولسد الحاجة، لا للترفه بما لا يدركه الإنسان ولا يقوى عليه، وقد نص العلماء على كراه الاستدانة لغير حاجة كراهةً شديدةً، قال وهب بن منبه رحمه الله: «من السرف أن يلبس الإنسان ويأكل ويشرب مما ليس عنده، وما جاوز الكفاف فهو تبذير».

ومما يلفت النظر في هذا المجال الكثرة الهائلة للمحلات التجارية والأسواق خاصة فيما يتعلق بأمور النساء، والنسف الهائل للمال من أجل شراء ما لا يحتاجون إليه! حتى أصبحت مجتمعاتنا سوقاً استهلاكية كبرى لكل بضاعة، وأصبحت بيوتنا معارضَ لكل ما تنتجه مصانع العالم وتسوّق له الشركات، ولعبت الدعاية بعقول الناس حتى لكأنما خُلقت النساء للأسواق!

ويحمل الإعلام المقروء والمرئي بدعاياته وبرامجه مسؤولية وصول المجتمع إلى هذا المستوى، فأين دور الإعلام في صيانة الناس وتوعيتهم بالاقتصاد وتدبير المعيشة؟

وفي هذا المجال أيضاً ترى الإنفاق الضخم على الحفلات والمناسبات والأعراس والزواجات، سرفٌ عظيم وإنفاق ليس له مردود، يكفي لإعاشة المحتفلين دهراً طويلاً، وعلى العاقل ألا ينهزم أمام رغبات ضعاف العقول والأهواء من أهل بيته وممن حوله؛ لأنه المسئول عنهم وعن تدبيرهم، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].



عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ما أنفقتَ على نفسك وأهل بيتك في غير سرف ولا تبذير وما تصدقت.. فهو لك، وما أنفقت رياءً وسمعةً فذلك حظ الشيطان».

ولقد كان العرب في الجاهلية ينفقون أموالهم ويطعمون الطعام ويقيمون الولائم للتفاخر والسمعة، ويذكرون ذلك في أشعارهم؛ فنهى الله عن ذلك الصنيع، فهل عادت تلك الخصلة الجاهلية بالمباهاة والتكلف في المناسبات ليقال ما صنع آل فلان؟

إن وفرة المال ليست عذراً ولا مسوغاً للإسراف حتى وإن كان المنفق مقتدِراً، وقد علمتم ما جاء في السرف فإن صاحب المال مسئول عنه يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قَدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس...». ومنها: «وعن ماله، من أين اكتسبه وفيم أنفقه»[٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. أي ما تنعمتم به في الدنيا، فهل أعددنا للسؤال جواباً؟ وهل أعددنا للجواب صواباً؟



عباد الله: إنها ليست دعوة للبخل والتقتير، وليس اعتذارا للشحيح المضيّق على أهله المقتّر عليهم، ولكن يجب أن يُعاد النظر في كثير من العادات في الإنفاق على ضوء الصفة الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

فالقصد والعدل والتوازن والتوسط، وقد قيل: لا عقل كالتدبير.

---

٢ رواه الترمذي، بإسناد صحيح.

من صور الإسراف

ومن صور الإسراف التي بان خطرها وتنادت الدول والمنظمات لتداركها الإسراف فيما الناس شركاء فيه، وهو الإسراف في هدر المياه، والإسراف في طاقة الكهرباء، والتي تكلف شيئاً كثيراً من جهة إنتاجها وجلبها وتوفيرها، حتى تكاد الدول تتقاتل على مصادرها، وإن الإسراف مع هدرها يحرم آخرين هم في أمس الحاجة إليها مع تعرضها للنفاد.



والعالم اليوم مقبل على أزمة في المياه حذر من مغبتها العقلاء والمراقبون، خاصة في بلادنا التي تنعدم فيها الأنهار وتندر فيها الأمطار، وأوشكت أن تغور فيها الآبار.

أيها المسلمون: القصد في استهلاك الماء هو السُّنة حتى في الوضوء والطهارة، مع أنها عبادة يتقرب بها إلى الله باستعمال الماء فيها، وقد كان النبي ﷺ يتوضأ بالمُد، ويغتسل بالصاع[3].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء، فأراه الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: «هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم»[4].

---

٣ رواه البخاري، ومسلم.

٤ حديث صحيح: أخرجه النسائي، وأبو داود، وابن ماجه.



قال ابن قدامة رحمه الله: ويُكره الإسراف في الماء والزيادة المثيرة فيه؛ لما روينا من الآثار.

وكان يقال من قلة فقه الرجل ولوعه بالماء.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مرّ بسعد وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف»؟ فقال: أفي الماء سرف؟ فقال ﷺ: «نعم، ولو كنتَ على نهرٍ جارٍ[٥].

وإذا كان هذا في الوضوء والعبادة، فما بالك بغير ذلك

إن المحافظة على الماء والطاقة والاقتصاد فيهما لهو واجب عام على المجتمع والأفراد، وهو حق مشترك ونقصه نقص على الجميع، والواجب على كلٍ بحسبه اتخاذ جميع التدابير اللازمة للحفاظ على هذه الثروة من الهدر والضياع، مع سنّ الأنظمة وتفعيلها لأطْرِ الناس على القصد فيها.

أيها المسلمون.. إن التواصي بالقصد والاعتدال في الإنفاق والاستهلاك، وإن التحذير من الإسراف والتبذير.. لهو من التواصي بالبر والتقوى، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن النُصح للمسلمين؛ بل هو ما وصى به القرآن وتكرر في مواضع كثيرة منه، وإن التعاون مع الجهات التي تسعى لتحقيق هذه المصالح بالتوعية والتثقيف والتربية والتعليم.. لمما يُحتسَب فيه ويُرجى له الثواب.

---

٥ رواه ابن ماجه.

بلطجة الكنيسة

برعاية الحكومة



خالد حربي

فك الله أسره*

لم تدَع أحداث الأسبوع الأخير مجالاً للشك في دور الحكومة المصرية في إشعال الفتنة في مصر، فقد تجاوزت الحكومة المصرية موقف المغلوب على أمره أمام (بلطجة الكنيسة) إلى موقف المشارك والمعاون في بلطجة الكنيسة على مسلمي مصر.

* خالد حربي، مقال: بلطجة الكنيسة برعاية الحكومة، منشور عام ٢٠١٠م، بموقع (طريق الإسلام) الإلكتروني.

نعيد نشر هذا المقال، بمناسبة اختطاف الكنيسة القبطية للدكتورة مريم سمير فايز، بعد دخولها الإسلام وظهورها في لقاء إعلامي للتأكيد على إيمانها بالله وحده.

- فالحكومة التي أحالت حمام الكوني ورفاقه لمحاكمة عسكرية ومنعت المحامين من الدفاع عنه أو لقائه ومنعت حتى أهله من زيارته، هي نفسها التي تماطل في محاكمة الوغد الصليبي جرجس بارومي مغتصب طفلة فرشوط المسلمة، بل إنها ألقت بالطفلة الضحية يسرا عبد الوهاب بين أنياب المحامين النصارى ليستجوبوها مراراً وتكراراً تحت ضغط عصبي عنيف يهدف لإرهابها للتنازل عن الدعوى القضائية، وعندما اعترض القاضي على هذا الأسلوب اللا إنساني أُجبر على التنحي عن القضية وتمت إحالة القضية لدائرة أخرى لتبدأ معها رحلة أخرى من العذاب للطفلة الضحية على يد المغتصب وجلاديه.

- والحكومة التي فرضت حصاراً قاتلاً على خمسة ملايين مسلم في غزة بحجة سيادة الدولة واحترام القانون، هي نفسها التي ركعت باكيةً تحت قدمي البابا تستجدي رضاه وتهدئ غضبته على القانون المصري الذي قضى بأحقية المطلقين بالزواج الثاني، ولم تسترح الحكومة حتى أنجزت أسرع قانون للأحوال الشخصية تم تفصيله على مزاج البابا وطُغمته.

- والحكومة التي فتحت الطريق للقمّص مرقص عزيز (الأب يوتا) ليهرب من مصر، بعد الغضب الشعبي من كتابه تيس عزازيل، الذي سب فيه الرسول الكريم ﷺ بأقبح السباب وتطاول فيه على عرضه الشريف، هي نفسها التي أحالت الدكتور محمد عماره والدكتور زغلول النجار والدكتور يوسف زيدان للمحاكمة لأن كتاباتهم لم تعجب البابا.

- والحكومة التي سمحت للعاهرة المتنصّرة نجلاء الإمام بحرية الحركة والسفر والظهور على الفضائيات التنصيرية والتطاول على الإسلام ومقدساته، ووفرت لها ولكل المتنصرين الحماية الأمنية والقضائية، هي نفسها التي استنفرت أجهزتها الأمنية في طول البلاد وعرضها لملاحقة امرأة ضعيفة أرادت الإسلام، فتم اعتقالها وتسليمها لضباع الكنيسة الذين استقبلوها بالويل والثبور لتلقى في القبو المظلم الذي ألقيت فيه من قبل وفاء قسطنطين وأخواتها الأسيرات.

- والحكومة التي غضت الطرف عن مسرحية الخيانة والفسق في كنيسة محرم بك في الإسكندرية، هي ذاتها التي منعت فلم (أجورا) الإسباني، الذي تعرض لحقبة إبادة الوثنيين المصريين على يد الإرهابي كيرلس الرابع.

- والحكومة التي فتحت السينما والإذاعة والتلفزيون لفيلم (آلام المسيح) التنصيري، هي نفسها التي منعت فيلم (المسيح رؤية إسلامية)!

وعشرات الأمثلة الأخرى التي تضع علامات استفهام حقيقية على موقف الحكومة المصرية تجاه الجرائم الصليبية في مصر.

البعض يظن أن ما يحدث هو ضغط خارجي على الحكومة المصرية، لكن الحقيقة هي أن النظام

المصري شريك ومؤيد ومناصر للكنيسة في كل جرائمها الطائفية في مصر. والحقيقة أن النظام المصري يستقوي بالأقباط والعلمانيين على الشعب المصري بعد أن عجز عن محو الدين من حياتهم ومجتمعهم.

النظام المصري يعلم أن الشعب يكرهه وهو يبادل الشعب كراهية بكراهية ويستقوي عليه بأعدائه من الأقباط والماركسيين والعلمانيين. تماماً كما كان يحدث في الدولة الفاطمية الشيعية التي لم تأمن للمصريين أهل السُنة فاستخدمت الأقباط وقربتهم ومكنتهم وسلطتهم على رقاب المسلمين.



العزيز بالله كان له وزيران أحدهما يهودي اسمه منشا والآخر نصراني اسمه عيسى بن نسطورس، ترك لهما إدارة شئون الدولة فأذلوا المسلمين ذلاً كبيراً، ومكنوا قومهم من كل شئون الحياة في مصر، وارتفعت قامة اليهود والنصارى بمصر على المسلمين!

حتى كتب أحدهم رسالة إلى العزيز بالله قال له فيها:

«بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذلّ المسلمين بك، ألا كشفت ظلامتي»؟!

وإلى الله عاقبة الأمور.



﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾



رئيس الهيئة

د. محمد الصغير

رئيس التحرير

محمد إلهامي